جمال سليم

الصامتون في... الميزان

من أجل الحقيقة.. والأمانة.. والتاريخ

خالد ثابت

جمال سليم

الصامتون فى ... الميزان

القاهرة
للثقافة
العربية


الغلاف والاخراج الفنى
عادل ثابت

مقدمة

ثورة يوليو لم يصنعها الصامتون الثلاثة الذين تكلموا وأغدقوا في الكلام .

لم تكن الثورة من صنع البغدادى أو كمال حسين أو حسن ابراهيم .

هم لم يكونوا سوى أفراد فيها . . شاركوا بجزء فى صنعها ، وأصبحوا بعدئذ واجهة من واجهاتها فى مجلس قيادة الثورة المعبر عن الضباط الأحرار . . الطليعة التى قامت بالثورة .

كانوا صوتاً من أصوات الثورة . . لكنهم لم يستطيعوا أن يكونوا صوتها القوى .

كان الصوت القوى هو صوت الضباط الأحرار الذين قاموا بالثورة . . وكان المايسترو الذى يضع لهذا الصوت ألحانه وأغانيه هو : جمال عبد الناصر .

كان جمال عبد الناصر هو الوحيد الذى يكتب أجمل ألحان الشعب . . وأعذب أغانيه . . وكان الصوت عندئذ ينطلق نقياً . . جميلا . . جذاباً .

كان الضباط الأحرار يعرفون لغة ناصر التى يكتب بها الأغانى والأناشيد . لأن هذه اللغة هى لغة الشعب . . وكانت لغة الشعب هى أقوى اللغات . . وصوته أجمل الأصوات . . ولحنه أعذب الألحان . . وهكذا نجحت الثورة . . وتقدمت الثورة .

وكما كانت انتصارات الثورة كثيرة . . كانت عثراتها كثيرة . . وكان من الطبيعى . . أن تكون هناك عثرات . . وأخطاء مادامت هناك انتصارات .

لكن الثورة لم تتوقف أبداً عن نقد نفسها . . وتصحيح مسارها . وقد أعطى هذا للثورة الحيوية الدائمة .

وفى طريق الثورة كان يتخلف من لا يستطيع أن يفهم لغة الشعب . ولا يردد أغانيه . . ولا يستسيغ ألحانه .

وكان الصامتون الثلاثة من هؤلاء الذين تخلفوا . . لم يستطيعوا أن يلاحقوا الثورة فى مسيرتها فتخلفوا . . وأدركوا ـ فى لحظة ما ـ أنه إذا ما فاتهم قطار الثــورة فسوف يسقطون فى هاوية النسيان . . فكانوا يعودون إلى صفوف الثورة . . يتشبثون

بقطارها . . يحاولون الاقتراب من جذوتها الملتهبة . . لكنهم فى نهاية الأمر كانوا يعجزون بينما الثورة تسير قدماً . . وتتقدم . . ومن هنا تولدت لديهم عقدة « الدونية » ودفعتهم هذه العقدة إلى مواقف متناقضة .

الثورة ليست من صنع هؤلاء .

الثورة حصيلة كفاح الشعب على مر العصور والأجيال . . وجدت تعبيرها فى جمال عبد الناصر . . والضباط الأحرار .

والضباط الأحرار ليسوا هم التسعة أو الإثنا عشر الذين كانوا أعضاء فى مجلس قيادة الثورة . . إنما هم القاعدة . . والطليعة الذين جندهم جمال عبد الناصر . . ونظمهم . . وقادهم . . ووضعوا قلبهم مع قلبه على نبض الشعب . . ومشاعره . . وأحاسيسه . . وآلامه وآماله .

الضباط الأحرار كانوا قوة الثورة الضاربة . . الذين قاموا بالعمل الحقيقى لإنجاح الثورة . . والدفاع عنها وحمايتها وحراستها من قطاع الطرق والمقامرين والأفاقين .

هم الذين لعبوا الدور الأساسى فى الأحداث والانتصارات . . كانوا هناك على طريق السويس لمنع الإنجليز من التدخل . . وانتشروا على حافة القناة وفى مدنها لمحاربة الاستعمار . . هم الذين

أنقذوا الثورة من محاولة تصفيتها فى مارس عام ١٩٥٤ .. وهم الذين التحموا بالشعب وجماهير الأمة خـلال عدوان ١٩٥٦ ودافعوا وقاوموا جحافل الغزاة .

هم الذين كانوا سند الثورة ودرعها فى مقاومة الاستعمار والأحلاف والرجعية داخل مصر وخارج حدود مصر .

هم الذين كانوا يفهمون لغة جمال عبد الناصر .. ولذا كانوا يعملون فى صمت وتفان لتحقيق أهداف الثورة .

أما الذين كانوا قد تخلفوا عن اللحاق بالثورة .. وركبوا إحدى موجاتها .. فقد أحنقهم وأفزعهم أن يفهم الضباط الأحرار لغة الشعب ولا يفهموها هم .. وكانت عقدة « الدونية » قد سرت فى مجرى الدم منهم ووصلت حتى النخاع .. فانقلبوا يريدون الثورة مغنماً ومأرباً . ووقفت الطليعة الثورية أمامهم .. فعادوا ينظمون صفوفهم .. ويصطفون الأنصار والأصفياء .. ويشترون العبيد .. وهكذا أصبحوا قوة شوهاء في جسم الثورة .. يمتصون دمها بينما الثورة تخوض المعارك تلو المعارك فى الداخل والخارج .

ولم تكن هذه القوة الشوهاء يعنيها المعارك .. إنما كان يعنيها السلطة والسلطان .. وبالمريدين والاتباع سارت نحو هدفها وسقط فى يدها عدد من المواقع الهامة والحساسة .. ومن خلال

هذه المواقع بدأت تضرب فى جسم الثورة .. وإلى عمودها الفقرى تصوب رصاصها ..

وعندما كان الضباط الأحرار يعودون من المعـــارك .. ويخلعون ثيابهم .. يجدونها غارقة فى الدماء .. فيتحسسون أجسادهم .. ويهولهم عدد الثقوب التى تنزف دماً .. ليس هذا رصاص الأعداء .. بل رصاص الأصدقاء .

لكنهم لم يكفروا بالثورة .

كانوا وقود الثورة .. وضحاياها .. وشهداءها .. لكنهم أحبوا الثورة .. لأنها ثورة الجماهير .. أبناء الوطن .. الذين يعيشون على ثرى مصر ، وقد ظلوا يؤمنون بالثورة.. وبإمكانياتها الهائلة لتحقيق أهدافها .. لم يكفروا أبداً بها .. ولم يخرجوا فى يوم ما من صفوفها .

وكان هذا هو السر فى أن كثيرا من الضباط الأحرار كان مغضوباً عليهم .. تلمع أسماؤهم حيناً ثم تنطوى صفحتهم .. بعضهم يبعد وينفى .. وبعضهم يعتقل ويسجن .. ذلك لأن مواقع السلطة سقط بعضها فى يد الغرباء .. فى يد الأتباع والمريدين وأصفياء القوم .. وكان الأتباع يريدون أن يتخلصوا منهم ..

كانت عقدة « الدونية » مازالت تعمل وتعمل . . وكان مرض « الدونية » يتسع وينتشر .

وهكذا لم يجد الصامتون ويوحى من أتباعهم وأصفيائهم ومريديهم فى ثورة يوليو إلا النقائص . . والسلبيات .

نسوا الثورة . . التى قضت على الملكية . . وأقامت الجمهورية . . وتذكروا ـ فقط ـ قراراً بفرض الحراسة على شقيق أحدهم .

إن التاريخ لن يذكر على الإطلاق هذا الشقيق أو ذاك . . ولن يذكر بعد عدة سنوات النصائح الغالية لكمال الدين حسين . . ولا رسائله الطويلة للمشير عامر . . سينسى التاريخ كل هذا . . وسيذكر فقط أن ثورة يوليو حققت الاستقلال المصرى . . وحددت الشخصية العربية لمصر . . وحاربت سياسة مناطق النفوذ فى العالم العربى . . وجعلت سيطرة الشعب على موارد ثروته حقيقة ناصعة .

سيذكر التاريخ تأميم القناة وبناء السد العالى . . ومد شبكات القوى المحركة فوق وادى النيل .

سيذكر التاريخ أننا ساعدنا شعب اليمن على خروجه من ظلمات العصور الوسطى إلى رحابة القرن العشرين .

سيذكر التاريخ أن مصر فتحت ذراعيها لكل حركات التحرر فى العالم .. وسيذكر التاريخ أن مصر كانت أول بلد فى المنطقة العربية وأفريقيا قضى على الإقطاع ورأس المال . . لتمهيد الطريق لبناء الاشتراكية .

هذا بعض ما سيذكره التاريخ من ثورة يوليو .

أما ما قاله البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم . . لن يبقى منه شيء للتاريخ .

لأن التاريخ لا يتوقف عند هذه الأشياء الصغيرة .. إنما يتوقف عند جلائل الأعمال . . ويسجل .

ان ما قالوه وما سوف يقولونه لا ينقص من الثورة ولا ينال منها لأنهم لم يكونوا إلا صوتاً منها . . صوتاً تأخر وعجز عن ملاحقة الثورة .

وعندما يتكلم الصامتون . . فلن يسمع منهم أحد . . إنما استمع من استمع إليهم لأنهم أوردوا كلمات مضيئة . . وعزيزة على جماهير الشعب المصرى . . وهى : ثورة يوليو . . وجمال عبد الناصر . . والاشتراكية .

وهكذا ظن الناس - عندما تكلموا بعد صمت - أنهم - أى

عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم - سوف يكشفون فى حديثهم عن الحياة السياسية المصرية بعد صمت دام أكثر من عشر سنوات وهم الذين كانوا ملء السمع والبصر .. وفى حديثهم سوف يجيبون على أسئلة كثيرة منها :

لماذا وقفوا ضد الزعيم الراحل . . ابن مصر البار : جمال عبد الناصر ؛ لماذا كانوا ضد الاشتراكية . . ؟ . . لماذا تظاهروا بمناصرة الديمقراطية بينما كانوا يتشوقون إلى الفاشية . لماذا كانوا ضد حركة التاريخ . . وتطور المجتمع . ثم لماذا وقفوا ضد ثورة يوليو العظيمة . . لماذا انزووا . . لماذا نسيهم الناس . . ؟! .

ظن القراء أنهم سوف يظفرون بإجابات شافية ومقنعة عن الأسئلة المثارة .. والحائرة منذ عشر سنوات .. ظن القراء ذلك ولكن بعض الظن إثم . .

فالرجل يظل رجلا فى نظر الآخرين حتى يفتح فمه ويتكلم .. فإما أن يرفعه حديثه .. وإما أن يسقطه ..

وقد يقال أن النـــاس أحرار . . الذين يصمتون دهراً وينطقون كفراً . . والذين يتكلمون دهراً ويصمتون فى الوقت المناسب .. نعم ، الناس أحرار . . ولكن عندما يكون الحديث

عن أشياء عزيزة لدى الناس ، وعندما يتطور الحديث إلى التحوير ويبتعد عن الحقيقة . . ويتقدم إلى منطقة التضليل والتلفيق . . فإنه من الضرورى أن يقال لهؤلاء الذين تكلموا . . واستطردوا . . وثرثروا : عندكم . . قفوا . . فتاريخ هذه الأمة ونضالها ليس نهباً مباحاً . . إنما فيه شيء من القدسية . . والصدق . . والاحترام . . والشرف السياسى . .

إن مصر لم تسقط أيها السادة لتنهالوا على جسدها وتاريخها وثورتها . . وأبطالها . .

إن مصر تغسل مآسيها بدموعها . . وتمحو هزيمتها ببحر من دماء أبنائها وأرواحهم . .

إن الوفاء عبادة فى ضمير هذه الأمة . . ، وقد أعاد أنور السادات إلى ضمير هذه الأمة هذه العبادة التى كادت أن تنسى فى غمار مشاكل الناس ومآسيهم .

وليس من الوفاء . . أن يلطخ تاريخ هذه الأمة . . وثورتها . . وأبنائها البارين تحت أسماء وألوان وشعارات كاذبة ومضللة .

إن مصر تستعيد مجدها ، وشرفها ، وحريتها فى هذه الأيام .

إنها تتوج اشتراكيتها بالديمقراطية .. ونضالها بالتحرير ..

إننا نهيب بكل الشرفاء أن يقفوا ضد هذه الموجة الوحشية التى تريد أن تطوى صفحة من أنصع صفحات تاريخنا المصرى .. صفحة ثورة يوليو العظيمة .

جمال سليم

١

قد نسأل أنفسنا كيف ستزدهر هذه الثورة ؟؟

ومن أي نموذج ستكون ؟؟!

« أرنستو جيفارا »

. . لم يعد هناك أمل ، لم يعد هناك أدنى أمل . . .

كان ذلك هو ما صاح به اليوزباشي محمد رياض قائد حرس اللواء محمد نجيب رئيس جمهورية مصر . . صباح يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٥٤ .

واستطرد اليوزباشي :

إنهم يملأون الشوارع ، ويهتفون : تحيا الثورة ، لا أحزاب بعد اليوم ! .

لم تكن هذه مفاجأة لرئيس الجمهورية المولود فى الخرطوم بالسودان فى العام الأول من القرن العشرين ، كان رئيس الجمهورية يعلم أن برميل البارود يتدحرج منذ مدة طويلة .. وأنه قد يتوقف قبل أن يصل إلى السفح وينفجر . . أو يتردى فى الهاوية .

إنما المفاجأة كانت فى السرعة التى تم بها تدبير كل شىء .

ووقف اليوزباشي محمد رياض وقفة عسكرية منتظراً أوامر من رئيس الجمهورية .. إلا أن هذه الأوامر لم تصدر على الإطلاق . . ولذا فقد تقدم خطوة نحو رئيس الجمهورية ليكون قريباً من

أذنه ، وأخرج ورقة صغيرة من جيبه وأخذ يقرأ منها الخطة الكاملة للظاهرات والاضطرابات والاعتصامات التي تقدر لها أن تبدأ عنيفة في صباح ذلك اليوم من أيام شهر مارس حيث كانت تبدو القاهرة وقد أكسبتها أنفاس الربيع ، الذي جاء مبكراً ، هالة من العذوبة والرقة لا تتناسب مع التوتر السائد بين الرجلين .

وأخذ رئيس الجمهورية يستمع بينما كان يبحث عن إجابة لسؤال يلح عليه هو : هل وصلت الأمور إلى طريق مسدود مع هؤلاء الضباط الشبان ؟ أو يمكن أن تتطور الأمور إلى أكثر من هذا .. ؟ .. أيمكن مثلا أن تنطلق رصاصة بمحض الصدفة فتودى بحياته .. ؟!

كان الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ملك العربية السعودية في زيارة للقاهرة .. وفي هـــذا اليوم سوف يرافقه في زيارة للاسكندرية .. أيطلب منه الحماية .. ؟

لقد مرت الأيام التي سبقت هذا اليوم من شهر مارس مثقلة برياح الغضب والعنف والثورة .. ولا يعرف بالضبط متى بدأت السحب تتجمع .. وتنذر بالعاصفة ؟ ..

انما من المؤكد أن أسباب كل هذا ترجع إلى الأيام الأولى من ثورة يوليو يوم أن وجد الضباط الشبان الذين قاموا بالثورة أنه

لابد لهم من وجه أبوى يطلون به على الجماهير . . فكان وجه اللواء محمد نجيب . . فألبسوه التاج وأشاروا بأنه قائد الثورة . . وهكذا رأت الجماهير أول ما رأت من الثورة وجهها . . الأبوى . . الطيب .

لكن الطيبة لا تصنع ثورة . . والأبوة عاطفة تعود إلى الغريزة وليس العقل .

كان لابد من وجود إرادة للتغيير . . ولم تكن هذه الإرادة لدى اللواء نجيب . . ونجيب نفسه لم يكن يشعر أنه فى مكانه ، كان يشعر بحق أنه يجلس على مقعد رجل آخر .

نعم . . لم يكن نجيب قائداً للثورة ، ومع ذلك سمى بقائد الثورة . . . !

ولم يكن رئيساً للجمهورية . . انما أصبح رئيساً للجمهورية بالتعيين . . !

لم تجل بخاطره أن يصنع سياسة أمة ، أو يغير شكلا من أشكال النظام والحكم . . ومع ذلك كانت السياسة تصنع باسمه . . والتغيير عليه خاتمه وبصمته . . . !

كان يحس إحساسا عميقاً بأنه ضيف . . ثم . . وفى لحظة

ضائعة فى التاريخ . . أحس أنه صاحب البيت . . وله حقوق صاحب البيت . . وأكثر من حقوق صاحب البيت . . وقد أقنعه أصدقاء السوء وأوهموه أنه يمكنه الاحتفاظ بهذا المكان، وما دام له الاسم والرسم والشكل . . فكل شيء له . . وفى التاريخ أمثلة كثيرة على الذين سرقوا الثورات وتحولت على أيديهم إلى نكسات. وكان المطلوب أن يسرق نجيب الثورة وتنتكس على يديه، وتعود الأحزاب . . ويعود الإقطاع ورأس المال يحكم . . مع الاستعمار الذى كان يملك ٨٠ ألف جندى فى القناة . ويصبح الاستقلال مجرد كلمة وصورة ورسم . . وبدلا من فاروق الذى ذهب . . يجىء نجيب . . كأن الثورة ليست إلا تغيير الأسماء والعناوين واللافتات .

وكان هناك وراء الأبواب رجال ينتظرون ليعلنوا الموافقة والتأييد وتقديم المساعدة . . أقصى مساعدة . . لتحقيق هذا الهدف . . أن تتحول الثورة إلى صالحهم وتسقط بين أيديهم .

وكان هؤلاء الذين ينتظرون وراء الأبواب ولا يريدون الكشف عن وجوههم :

١ — حزب الوفد المصرى .

٢ — الإخوان المسلمين .

٣ — الشيوعيون. وبالذات الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني « حدتو » .

وكان الاستعمار الانجليزي . . والنفوذ الأمريكي الذي كان قد بدأ يطرق أبواب المنطقة على استعداد للمباركة بما تعنيه هذه المباركة من كل شيء وأي شيء !

وبصرف النظر عن الاختلافات الإيديولوجية الواضحة بين أصحاب هذه الوجوه . . فقد كانوا يتفقون جميعاً على ضرب الثورة التي يمثلها مجلس قيادة الثورة، وهو نفس الهدف الذي كان يسعى إليه اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية . . وكان لابد من البحث منذ البداية عن شعار يوحد هذه القوى ويجمع بينها ويجذب الجماهير ويسيل له لعاب المثقفين . . واهتدوا إلى هذا الشعار سريعاً وهو : الديمقراطية !

كان مجلس قيادة الثورة مكوناً من :

١ — جمال عبد الناصر .

٢ — عبد اللطيف البغدادي .

٣ — كمال الدين حسين .

٤ — أنور السادات .

٥ — حسن ابراهيم .

٦ — عبد الحكيم عامر .

٧ — جمال سالم .

٨ — صلاح سالم .

٩ — خالد محي الدين .

ثم ضم إلى المجلس بعد الثورة اللواء محمد نجيب ليكون وجهاً للثورة ، وضم زكريا محي الدين لأنه كان مديراً للعمليات ليلة ٢٣ يوليو وحسين الشافعي لقيادته للدرعات ، ويوسف صديق لدوره البطولى فى اقتحام القيادة العامة ليلة ٢٣ يوليو .

وكان جمال عبد الناصر هو رئيس المجلس نظراً لأنه رئيس الجمعية التأسيسية للضباط الأحرار وقد انتخب مرتين .. وهذا المجلس هو الذى استدعى محمد نجيب ليلة الثورة ليتولى قيادتها ويكون صوتها أمام جماهير الشعب .. ومن ثم انضم للمجلس وأصبح رئيسه .

وكان لأعضاء مجلس قيادة الثورة اتجاهات مختلفة .. فبعضهم كان ينتمى إلى الاخوان المسلمين .. وبعضهم كان ينتمى إلى الحزب الاشتراكى ، مصر الفتاة سابقاً ، وبعضهم كان ينتمى إلى

الوفد .. ثم كان من الطبيعى أيضاً أن ينتمى أحدهم إلى الحركة الشيوعية .

ومن الملاحظ أن أعضاء مجلس قيادة الثورة قد ذابوا جميعاً فى ثورة يوليو ولم يبق منهم على انتمائه سوى خالد محي الدين الذى كان ينتمى إلى « حدتو » (الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى) وبدرجة أقل كان كمال الدين حسين ينتمى إلى الإخوان المسلمين .

وبينما كان ذوبان أعضاء مجلس قيادة الثورة فى ثورة يوليو يكاد يكون كاملا .. فإن الضباط الأحرار قد ظلوا على ولائهم وانتماءاتهم السابقة .. على أن جزءاً كبيراً منهم .. وهو الجزء الفعال – لحسن الحظ – قد ظل على ولائه لثورة يوليو ونحى جانباً انتماءاته السابقة .

وعندما قامت الثورة لم تضيع وقتاً .. واعتبرت المسألة الوطنية هى قضيتها الأولى .. ولذا فقد تحركت مجموعة من الضباط الأحرار إلى منطقة القناة وبدأت حرب التحرير الشعبية بهدف الضغط على الانجليز فى المفاوضات التى كانت وشيكة البدء ، ولتجعل وضع المفاوض المصرى أفضل .. وقد أعلن عبد الناصر بلا مواربة « على الاستعمار أن يحمل عصاه ويرحل .. »(١) .

وكانت القضية الثانية هى ضرب الاقطاع والرأسمالية التابعة للامبريالية . . والتى لابد أن تتحالف مع الاستعمار وتضغط اقتصادياً لاجهاض الثورة مستغلة الأوضاع الاقتصادية المتردية التى كانت البلاد ترزخ تحت يدها .

هاتان القضيتان هما اللتان حددتا مسار ثورة يوليو فى أول الأمر . .

وتحركت الثورة ضد الاستعمار . بالسلاح والرجال فى القناة .

وتحركت ضد الاقطاع والرأسمالية بقوانين الإصلاح الزراعى وبإصدار قانون العمل الذى منع الفصل التعسفى .

وبمجرد أن سارت الثورة فى هذين الاتجاهين وجدت نفسها فجأة أمام الثورة المضادة .. وعلى الفور ارتفعت راية الديمقراطية .

وهكذا بدأت الأحداث التى أدت إلى أزمة مارس .

إن السادة الصامتين عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم يقولون : إن أزمته كانت صراعاً على السلطة . .

فهل كانت أزمة مارس صراعاً على السلطة بين اللواء نجيب وجمال عبد الناصر . . ؟

لندع إجابة هذا السؤال الآن . . فسوف يجيب عنه فى الصفحات المقبلة :

* الرئيس نورأ السادات .
* زكريا محي الدين .
* كمال رفعت .

ولنعد إلى يوم ٢٨ مارس . . وإلى بيت محمد نجيب فى الحلمية . في ذلك الصباح المبكر .

كانت الصورة واضحة تماماً لدى اللواء نجيب . . الوفد لن يستطيع التحرك . . والإخوان قرروا التريث . . أما الشيوعيون فانهم يتكلمون كثيراً ويعملون أقل من القليل . .

ما العمل . . ؟

كانت هناك محاولات قام بها الوفد(٢) لرشوة عدد من قادة العمال لمنعهم من الاضراب يوم ٢٨ مارس . . تأييداً لبقاء مجلس قيادة الثورة . ولكن قادة العمال رفضوا هـــذا العرض ، كذلك فقد روجت رواية غير حقيقية عن محاولة قام بها القائمقام يوسف صديق والصاغ خالد محي الدين لتقديم عشرة آلاف جنيه للصاوى أحمد صاوى رئيس اتحاد نقابات النقل المشترك الذى يسيطر على مواصلات القاهرة للاشتراك فى اضراب محدد له يوم ٢٨ مارس تأييداً لتصفية مجلس قيادة الثورة وبقاء نجيب رئيساً للجمهورية . . (٣) هذا ولم يترك اليوزباشى محمد رياض قائد حرس

رئيس الجمهورية الأمر للصدفة ، فاتصل في الليلة السابقة أي في ٢٧ مارس سنة ١٩٥٤ بالاخوان المسلمين للوقوف مع اللواء نجيب ضد مجلس قيادة الثورة والمطالبة بالحياة النيابية وعوده الأحزاب .. لكن الإخوان المسلمين رفضوا ، قائلين . إن أملنا ألا تعود الأحزاب بفسادها القديم .. ، ولم يكن اليوزباشي محمد رياض قد قام بهذا الاتصال من فراغ .. انما سبقه عدة اتصالات أخرى. وكانت الأرضية التي قامت عليها هذه الاتصالات هي التوافق بين الأهداف .. وعبرت الجماعة عنه ـ في البداية ـ بالاستقبالات التي نظمتها لعودة اللواء نجيب وبمظاهرات التأييد ، وعندما تشكل الجهاز السرى بقيادة جديدة حاولت هذه القيادات اجتذاب عدد من ضباط الجيش الذين كانوا ينتمون إلى الإخوان كما قامت بنفس المحاولة في البوليس .. وقام الاخوان بالاتصال باللواء نجيب بعد أن تأكدوا أن هناك تناقضا بينه وبين زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة (٤) ولم يجر الاتصال مباشرة مع محمد نجيب .. بل مع قائد حرسه اليوزباشي محمد رياض حيث قابله كل من حسن العشماوي ومنير الدلة عدة مرات خلال عام ١٩٥٣ .. وكان للاخوان المسلمين مطالب منها الإفراج عن رشاد مهنا وبقاؤه قائداً عاماً للقوات المسلحة والغاء فكرة عودة الأحزاب ، وعودة الضباط إلى الثكنات .. وتشكيل وزارة يرضى عنها الاخوان ..

ويذكر أحمد حمروش فى كتابه « قصة ثورة ٢٣ يوليو » أن نجيب رفض هذه الطلبات .ونحن نشك فى هذا .. فالأحداث التى تلت هذه الفترة توحى بوجود علاقة قوية بين الاخوان وبين اللواء نجيب . . فأثر حدوث الاشتباك الذى وقع فى جامعة القاهرة يوم ١٢ يناير سنة ١٩٥٤ . . وأصيب فيه عدد من الطلبة وصدر قرار مجلس قيادة الثورة بحل جماعة الإخوان المسلمين يوم ١٤ يناير سنة ١٩٥٤ . . لم يوافق نجيب على قرار الحل . . ويقول نجيب فى هذا : « لم أرفض قرار الحل لأنى كنت مشايعاً للإخوان المسلمين وانما رفضت اعتبارهم خارجين عن قانون الأحزاب .. كان رفضى مبنياً على أساس مبدئى وليس على أساس موقف ذاتى » ولا يمكن الاعتداد بهذا القول . . لأننا نرى قائد حرسه يتصل يوم ٢٧ مارس ١٩٥٤ بالإخوان لانقاذ نجيب .

ولم يرفض الإخوان انقاذ نجيب لأنهم لا يريدون نجيب . . انما كان رفض الاخوان — حسب تقديرنا — نابعا من ادراكهم أن الزمام قد أفلت ، وأن الوقت أصبح متأخراً للتدخل . . وأن فى الساحة المصرية قوى كثيرة منظمة وغير منظمة لا قبل لهم بالتصدى لها أو مقاومتها . . ثم — وهذا هو الأهم — كانوا قد تلقوا تأكيداً بأن قرار حل الاخوان سوف يصرف النظر عنه إذا ما وقفوا على الحياد . . ، وأنهم سيعودون إلى سابق نشاطهم

.. ومنوا أنفسهم بأنهم قد يطلبون الثمن .. فيعطى لهم ! ومن ناحية أخرى فقد كانت عودة الأحزاب وهى الفكرة التى احتضنها نجيب كانت لا تعنى لهم شيئاً .. لأنهم حينئذ سوف يوجدون مع غيرهم .. انما كانت الفكرة التى يقدمها مجلس قيادة الثورة بإلغاء الأحزاب تستثير خيالهم .. لأنهم حينئذ سيكونون فى الساحة وحدهم دون مزاحم .

على أن هذا لم يكن هو سبب التوتر الذى كان واضحاً فى حركات اليوزباشى محمد رياض .. وانعكس بدوره على رئيس الجمهورية .. كان التوتر مبعثه هذه المناقات التى تخترق زجاج النوافذ .. والجدران .. وتصك أسماعهما .

كانت حرب القرارات قد بدأت بين اللواء محمد نجيب وبين مجلس قيادة الثورة .. عندما أحس كل منهما أنه يسير فى طريق غير الطريق الذى يسير فيه الآخر .. وكانت هذه القرارات على طرفى نقيض .. كان نجيب مع الثورة القديمة يرفع شعار الديمقراطية وتؤيده القوى القديمة والقوى الانتهازية .. وكان مجلس قيادة الثورة يرفع شعار الثورة حتى يتحقق تحرير البلاد .

* فى ١٧ يناير سنة ١٩٥٣ أعلن القائد العام للقوات المسلحة – محمد نجيب – حل الأحزاب وقيام فترة انتقال لمدة ثلاث سنوات تنتهى فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٦ .

* وفى ١٠ فبراير سنة ١٩٥٣ أعلن اللواء نجيب النظام الدستورى المؤقت، ويقضى بأن يتولى أعمال السيادة العليا وله حق اتخاذ التدابير لحماية الثورة وحق تعيين الوزراء وعزلهم .

* وفى ١٨ يونيو أعلنت الجمهورية وعين نجيب أول رئيس لجمهورية مصر . . وأصبح مجلس الثورة يضم : محمد نجيب ، جمال عبد الناصر ، صلاح سالم ، عبد الحكيم عامر ، أنور السادات ، زكريا محيى الدين ، حسن ابراهيم ، كمال الدين حسين ، حسين الشافعى ، عبد اللطيف البغدادى ، خالد محيى الدين .

* فى ٢٥ فبراير أذاع مجلس قيادة الثورة بياناً باستقالة اللواء محمد نجيب(٥) .

ولا بد من التوقف قليلا عند هذا القرار الأخير . . الذى قضى بقبول استقالة نجيب وتعيين جمال عبد الناصر رئيساً لمجلس الوزراء .

فهو فى جوهره يحمل معنى التناقض الصريح بين نجيب والمجلس ويكشف للجماهير علانية ولأول مرة أن ثمة صراعا فى القمة . . وأن الصراع يحمل فى تضاعيفه التناقض والاختلاف على أشياء غير محددة . . وغير واضحة . أشياء فى النفوس . . وبين الجوانح عجزت العلانية عن كشفها وفضحها .

وقد تضمن البيان كما هو واضح كلمات جذابة . . كالديمقراطية وتحقيق أهداف الشعب . . وكلمات مكروهة كالدكتاتورية وحكم الفرد .

وفى هذا المجال لابد من سماع بعض التفسيرات من السادة حسن ابراهيم وكمال الدين حسين والبغدادى فى هذه النقطة بسرعة للانتقال إلى الموضوعات الأخرى .

يقول حسن ابراهيم : كان محمد نجيب قائداً للثورة أو هكذا كان مفهوماً للناس جميعاً ، لكافة الطبقات . . وأحس عبد الناصر بخطورة نجيب ، بدأ يتجاهله . . يدعو إلى جلسات لمجلس الثورة لا يحضرها نجيب . . وللتاريخ كان جمال رئيس تنظيم الضباط الاحرار ولكنه آثر عدم الكشف عن شخصيته ، ولكن التنظيم كان برئاسته وكان يرفض إلا الرئاسة ومن أجل ذلك تم انتخابه مرتين رئيساً « لتنظيم الضباط الأحرار » .

وهـــذا الكلام لا يحتاج لرد . . لأن التناقض واضح فيه بطريقة لا تلتبس على القارىء . . فإذا كان جمال عبد الناصر كان يرفض إلا الرئاسة . . فلماذا انتخب مرتين رئيساً لتنظيم الضباط الأحرار . . ؟ . . وبالطبع تم هذا الانتخاب قبل الثورة . . أى عندما لم تكن هناك سلطة يملكها أى عضو فى تنظيم الضباط

الأحرار .. بل كان الضباط الأحرار فى تهديد مستمر .. وعرضة للقبض عليهم إذا تناهى إلى علم مسئول كلمة واحدة عن تنظيمهم .

فما هى أداة الضغط - إذا كان ثمة أداة ضغط - التى استعملها ناصر ليحوز الثقـــة مرتين ويصبح رئيساً ، لتنظيم الضباط الأحرار .. ؟ .

ويعود حسن ابراهيم ليلفق واقعة أخرى لإثبات وجهة نظره أن « ناصر يحب الرئاسة » فيقول « إننا كنا مجتمعين وكتبنا خطة التحركات والعمليات .. ومضى زكريا محى الدين وأعطاه عبد الناصر الورقة ليقرأها ويطلع عليها بصفته المسئول عن التحركات وقرأها زكريا وقال : كويس على بركة الله .. ثم وضع الورقة وانصرف . وهنا التفت إلينا عبد الناصر وقال مستنكراً تصرف زكريا : عايز يبقى ريس والا إيه .. » .

وهذه واقعة مختلفة تماماً ..

فمن أوثق المصادر أن :

١ - الذى وضع خطة التحركات ليلة ٢٣ يوليو هو زكريا محى الدين نفسه .. ! .

٢ – أن الاجتماع الذى عرضت فيه خطة التحركات لم يكن السيد حسن ابراهيم موجوداً فيه !

ويقدم كمال الدين حسين أسبابا موضوعية إلى حد ما لقصة الخلاف بين نجيب ومجلس قيادة الثورة .. فيقـول : « كنا قد اتفقنا فى بداية الثورة وبعد أن فشلت محاولاتنا أن تقوم كل الأحزاب بتطهير نفسها ، أن نتولى الحكم بأنفسنا لفترة انتقال حددناها بـ ٣ سنوات ثم اضطرتنا الظروف أن تمتد سنة أخرى .. إننا فوجئنا بمحمد نجيب يجرى اتصالات مع رجال الأحزاب السابقين ، يعقد اجتماعات مع الشيوعيين ومع الإخوان المسلمين .. مع الوفديين والسعديين .. كان محمد نجيب فى ذلك يعمل لحماية نفسه برجال الأحزاب .. أحسسنا أنه يريد الاستئثار بالسلطة . وقررنا إبعاده .. »

أى أن الإبعاد طبقاً لرواية كمال الدين حسين كان بسبب :

١ – إجراء اتصالات مع رجال الأحزاب السابقين الذين سبق أن اشتركوا فى إصدار قرار بتطهير أحزابهم ثم حلها .. وتقديم بعضهم إلى المحاكمة .

٢ – بدأ يعمل لحماية نفسه برجال الأحزاب .

٣ – الاستئثار بالسلطة .

أما عبد اللطيف البغدادى فيقول : « فى يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٤ بدأت الأزمة » . ويقول إن نجيب طلب الاجتماع بمجلس قيادة الثورة . . إلا أن حسين الشافعى رد عليه بأن العدد لم يكتمل بعد . . وبعد ربع ساعة سمعنا البروجى ينطلق معلناً خروج محمد نجيب . وكان الصحفيون فى الخارج فى انتظار اجتماع مجلس الثورة . . وأوقعنا محمد نجيب فى مأزق . . إذا اجتمعنا بدونه وبعد انصرافه ستطلق الإشاعات وإذا لم نجتمع بعد الإعلان عن الاجتماع ستنطلق الإشاعات أيضاً . . وأثناء جلوسنا نبحث الأمر حضر اسماعيل فريد يحمل مظروفا . . وقدمه لجمال عبد الناصر قائلا : استقالة سيادة اللواء !

ويستطرد بغدادى :

وجلسنا نبحث فى المشكلة . . كل منا يقترح . . والوحيد الذى لايتكلم هو عبد الناصر ، كانت استقالة نجيب وإعلانها قد يؤدى إلى ثورة داخل البلد نتيجة حب الناس المتزايد له . . ورأى البعض إقالته وإعلان ذلك للناس وأسبابه . . ورأى البعض أن يترك رئاسة الوزارة لجمال عبد الناصر ووافقنا على هذا الرأى بالأغلبية واعترض اثنان فقط هما جمال سالم وحسين الشافعى .

الأغلبية وافقت إذن على :

١ — إقالة نجيب

٢ — تعيين عبد الناصر رئيساً لمجلس الوزراء

لم يعترض سوى جمال سالم والشافعي .. لماذا ..؟

أي أن الموافقين كانوا هم :

١ — عبد اللطيف البغدادي

٢ — كمال الدين حسين

٣ — حسن ابراهيم

٤ — صلاح سالم

٥ — خالد محيي الدين

٦ — عبد الحكيم عامر

٧ — أنور السادات

٨ — زكريا محيي الدين

ويختلف أحمد حمروش في كتابه قصة ثورة ٢٣ يوليو ص٣٢٧. وباعتباره من الضباط الأحرار فلروايته قدر كبير من الصدق .. يختلف في أسماء الذين عارضوا إقالة نجيب وتعيين ناصر رئيساً لمجلس الوزراء .. فحمروش يذكر أن الذين عارضوا القرار هما :

عبد اللطيف البغدادى وخالد محي الدين .. وأن هذا الأخير هدد بتقديم استقالته بعد أسبوع !

ولكن رغم تسليمنا بأن رواية حمروش تحتوى على قدر كبير من الصدق . فانها تتعرض لهزة عنيفة لان عبد اللطيف البغدادى نفسه اعترف بأن المعارضين هما جمال سالم والشافعى ولم يكن هو معهما .

على أن المعلومات التى يقدمها كل من كتابى «الصامتون يتكلمون» و« ثورة يوليو » حول هذا الموضوع ناقصة . . فلسنا نعلم بالضبط . . كيف كانت المعارضة . . وهل كانت المعارضة ـ مهما كانت ـ تنصب على قبول استقالة نجيب التى قدمها . . أم على تعيين جمال عبد الناصر رئيساً للوزراء ؟ !

وإذا ما سلمنا بالروايتين ـ وهذا مستحيل بالطبع ـ . . رواية البغدادى ورواية حمروش .. فاننا نرى أن القرار صدر بالأغلبية أيضاً . . لأن عدد أعضاء مجلس قيادة الثورة فى هذا التاريخ ١٢ عضواً . . وباستبعاد نجيب وناصر من عملية التصويت . . سينحصر العدد فى ١٠ ، وافق منهم ٦ على استقالة نجيب وتعيين عبد الناصر . . واعترض ٤ منهم ! هذا إذا سلمنا جدلا بصدق روايتى بغدادى وحمروش . . وهذا مستحيل كما قدمنا !

ويرى البغدادى (ص ١٨٥) أن جمال عبد الناصر قال إن يوم ٢٣ مارس سيأتى و « مش حييقى نجيب » .

وفى أسلوب دراماتيكى يقول بغدادى أنه عندما سمع ذلك « وجدت نفسى أبكى وأصرخ إزاى واحد مننا نخلص منه ؟ . . »

فلماذا يبكى ويصرخ هذا الضابط . . ؟ ألم يوافق مع الموافقين . . أماكان يستطيع أن يعارض بقوة . . ؟ أما كان قادرا على أن يذهب إلى نجيب ويقف بجانبه . . ؟ . . ما موقفه غـــير البكاء والصراخ . . ؟ أماكان يستطيع أو يقدر على غير البكاء والصراخ ؟!

وبعيداً عن البكاء والصراخ . . فالقرار صدر بقبول استقالة نجيب . . فما هو السحر الذى يملكه عبد الناصر . . ليفرض على مجلس الثورة . . والجيش والشعب . هذا القرار ؟ . . ما تفسير هذا القرار . . وأية قوة كانت تقف وراء جمال عبد الناصر . . ؟!

لا تفسير لهذا ـ فى تقديرنا ـ إلا أن هذا القرار . . كان قراراً صائباً . . وأنه كان يستمد قوته من استجابته البسيطة لإرادة الجماهير التى رأت الثورة تبدأ بتغييرات جذرية فى واقعها المرير . . ويستمد قوته أيضاً من ثقة الجيش . . ومن التأييد الواضح — الذى سوف نأتى على ذكره — فى قاعدة الضباط الأحرار .

إن البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم لا يستطيعون الادعاء بأن عبد الناصر قد قبض عليهم وأرغمهم على الموافقة .

على كل يستطرد بغدادى : « واقتنعنا بهذا الرأى وتركنا إلى عبد الناصر طريقة تحقيقه . . »

فهل هذا أسلوب عمل ثوار فى وقت يواجهون فيه أزمة حقيقية تهدد بتصفية الثورة . . وتهدد حياتهم ذاتها . . ؟ أن يترك الامر لعبد الناصر وحده . . كيف . . ؟

إن الطريق الذى سار فيه عبد الناصر حتى هذه اللحظة . . كان معبداً بالديمقراطية على عكس نجيب تماماً . . ويؤكد هذا ما جاء فى خطاب الرئيس أنور السادات عن اجتماع مجلس قيادة الثورة فى اليوم التالى لخروج فاروق . . أى يوم ٢٧ يوليو سنة ١٩٥٢ .

يقول أنور السادات(٦) :

يوم ٢٧ يوليو دعا جمال - الله يرحمه - إلى اجتماع فى القيادة العامة . . الأعضاء كانوا تسعة ولكن فى هذا الاجتماع كنا ٨ وواحد فى الاسكندرية وقال جمال احنا الآن أمام مسئولية تاريخية بعد خروج الملك وأعتقد أنه لابد أن نأخذ قرار حيوى وأساسى اليوم لأنه بناء على هذا القرار يجب أن نتحمل مسئولياتنا تجاه

الشعب الذى خرج مؤيداً للثورة . . عرض فى الأول بأسلوب سليم ، إنه وقد أنجزت الثورة مرحلتها الأولى وتحولت الهيئة التأسيسية إلى مجلس لقيادة الثورة . . وكان جمال منتخباً من الأول رئيساً لمجلس قيادة الثورة . . تنحى وانتخب بالإجماع منا نحن السبعة وهو الثامن وفى أقل وقت رئيساً لمجلس قيادة الثورة ، ثم قال إحنا لابد أن نباشر مسئوليتنا أمام البلد ولابد أن نتفق على شكل الحكم . . هل هى دكتاتورية أم ديمقراطية . . فتحنا المناقشة وكأى وطنيين منفعلين ببلدهم وثائرين أساساً على كل المفاسد اللى كانت فيما قبل الثورة وما تعانيه البلد وضح أن التيار فى المناقشة هو للدكتاتورية وليس للديمقراطية . . بعد مناقشة طويلة أخذت الأصوات وظهرت نتيجة التصويت ٧ للدكتاتورية وأنا واحد منهم ، وواحد للديمقراطية هو جمال عبد الناصر .

كان التصور أمامهم أنه للحاق بالعالم اللى تخلفنا عنه نتيجة للاستعمار وللحزبية التى أساءت لمصر فى كل ناحية من النواحى . . كان التصور أن الدكتاتورية هى أقصر طريق لإعادة البناء واللحاق بسرعة بركب العالم ، ولكنه مش تبرير لما أقوله إنما أنا باحكى حتى تكون الحقائق واضحة . . استمرت المناقشة أيضاً فترة لساعات ثم أخذ التصويت لثانى مرة وفعلا طلع التصويت كما كان فى المرة الأولى ٧ للدكتاتورية وواحد للديمقراطية .

بعد هذه الجلسة جمال قال أنا ما أستطيع أن أشترك مادام ده رأيكم وده رأى الأغلبية واضح تماماً لا أستطيع أن أشترك وأنسحب . قعدنا ناقشنا فى نفس الليلة لمدة ساعتين وبعدين بعتنا لجمال باعتباره كان رئيس لمجلس قيادة الثورة وكان كان رئيس الهيئة التأسيسية زى ما حكيت لكم قبل قيام الثورة وقلنا له تعال والمسألة مش ديكتاتورية لذاتها احنا عايزين أقصر طريق ممكن لإعادة البناء ولتحقيق أهداف هذا الشعب بعد المظالم الرهيبة التى تعرض لها .

* * *

ولنعد الآن إلى أحداث هذا اليوم من أيام فبراير سنة ١٩٥٤ على أثر إعلان استقالة نجيب وتعيين جمال عبد الناصر رئيساً للوزراء .

هل استسلم نجيب لهذا القرار . . ؟ .

لقد رفض نجيب هذا القرار .

كان قد قدم استقالته فعلا ليس بقصد الاستقالة بالطبع إنما بقصد وضع مجلس قيادة الثورة فى كمين . . وكان يجرى الإعداد للكمين منذ أن بدأ التزل واضحا بين نجيب والإخوان المسلمين من جهة . . وبين اليسار الذى كان يمثله خالد محيى الدين من جهة

أخرى . . ومن جهة ثالثة بين نجيب ومجموعة السياسيين القدامى وعلى رأسهم الوفد . . كانت كل قوة من هذه القوى تريد الحكم من خلال نجيب . . وتحت قيادة نجيب . . المهم هو الحكم .

وكانت هذه المجموعات السياسية من الضباط — مثل خالد محى الدين . والتى ساعدت فى إقامة الجسور بين نجيب والوفد والإخوان — قد وقعت فى خطأ الظن أنه يمكن تحقيق أهداف الثورة مع وجود الأحزاب . . وكل أشكال الحكم القديمة .

ثم كان الخطأ الفاحش . . هو اعتبار التناقض الأساسى بين الثـــورة والديمقراطية . . والتناقض الثانوى بين المجتمع والاستعمار الممثل فى ٨٠ ألف جندى إنجليزى فى القناة . .

وقد نستبق الحوادث عندما نقول أن هذا ما أوقع بمجلس قيادة الثورة . . وجمال عبد الناصر فيما بعد . . فى كارثة رفع شعار الثورتين معاً: الوطنية والاجتماعية استجابة للشعارات التى تطرحها هذه المجموعات ولاستيعابها من جهة أخرى . .

كان الكمين الذى أعده نجيب بواسطة مستشاريه اليمينيين واليساريين . . هو أن تؤدى هذه الحركة الضاغطة إلى إزهاق أنفاس مجلس قيادة الثورة فيجمع أوراقه ويذهب ويبقى هو . .

ثم لا يعنيه بعد ذلك من الأمر شيئا إذا حكم الوفد بالاشتراك مع الإخوان والشيوعيين . . المهم أن يبقى هو . . وهكذا . . بدأ الصراع وكأنه صراع بين نجيب كممثل للديمقراطية ينادى بعودة الأحزاب والحياة النيابية وبين الديكتاتورية ، التى يمثلها مجلس قيادة الثورة باعتباره يرفض عودة الأحزاب ويضرب الإقطاع ويعادى القوى القديمة كلها .

ولنتتبع الحوادث أثر إعلان قبول استقالة اللواء نجيب من رئاسة الجمهورية وتولى جمال عبد الناصر رئاسة الوزارة يوم ٢٥ فبراير سنة ١٩٥٤ .

حدثت ردود فعل فى الجيش . . وفى الشوارع . . وفى المدن الرئيسية . . ولكنها كانت ردود فعل محدودة . . إلا أن سلاح الفرسان كان شيئاً آخر . . ويفسر حمروش (ص٣٢٨) رد الفعل فى سلاح الفرسان ، حيث كانت الأفكار الديمقراطية تجد مجالا معيناً للنمو ، كنتيجة لوجود خالد محى الدين ضابطا لمخابرات السلاح ، وثروت عكاشة أركان حرب السلاح وهو المعروف بصلة النسب التى تربطه بأحمد أبو الفتح رئيس تحرير المصرى » .

ونعتقد أن هذا تفسير ساذج . . لأن التفسير الصحيح لسرعة رد الفعل وقوته وحدته فى سلاح الفرسان هو أن سلاح الفرسان

فى ذلك الوقت كان يضم أولاد الذوات الذين ترجع أصولهم الطبقية إلى الإقطاعيين . . والرأسمالية : رؤساء مجالس إدارات الشركات . . . والبنوك . . وهؤلاء كانوا يمثلون زعامات الأحزاب القديمة التى وجهت الثورة إليها بعض ضرباتها . وما كان نجيب قد بدأ فى مغازلة الأحزاب القديمة ، الإخوان المسلمين . . ومع الوفديين ومع السعديين(٢) ، . فهو الأمل أمامهم فى عودة الامتيازات القديمة . . والسلطة التى غربت عنها الشمس وحجبها مجلس قيادة الثورة عنهم . وما يقال عن صلة النسب التى تربط ثروت عكاشة بأحمد أبو الفتح فهى حجة تؤيد وجهة نظرنا لأن أحمد أبو الفتح رئيس تحرير المصرى المعبرة عن حزب الوفد الذى اعتقلت الثورة قياداته . . وحددت إقامة زعيمهم مصطفى النحاس . . فمن الطبيعى أن ينتصر عكاشة وزملاؤه لأبو الفتح وحزبه المعادى للثورة !!

هذا بالإضافة إلى أن سلاح الفرسان كان من الأسلحة الاستعراضية فى أيام الملكية . . وله وضع ممتاز عن بقية الأسلحة الأخرى ، ومن هنا فشوقه أشد إلى عودة القوى القديمة تحت أى شعار . « شعار الديمقراطية » .

هذا هو التفسير الوحيد لرد الفعل السريع فى سلاح الفرسان.

ولذا فقد دعا السلاح إلى اجتماع عام يوم الجمعة ٢٦ فبراير ١٩٥٤ حضره حسين الشافعي الذي ما كاد يواجه ضباط السلاح حتى صرخوا في وجهه مطالبين بعودة محمد نجيب والحياة الديمقراطية .. وهرول الشافعي .. ونادى جمال عبد الناصر .. وكان في القيادة التي تبعد عدة خطوات عن سلاح الفرسان.

وجاء عبد الناصر. واجتمع بهم ابتداء من الساعة السابعة مساء.

في صباح هذا اليوم كان جمال عبد الناصر في بيته يتوافد عليه كثير من الضباط الأحرار.

يقول كمال رفعت:

كنت في القناة .. وكانت المعركة مع الإنجليز في عنفوانها .. وإزاء الموقف المنفجر في القاهرة .. والذي سوف ينعكس على معركة القناة .. عدت إلى القاهرة في رحلة سريعة .. وذهبت إلى عبد الناصر في بيته .. جلسنا قليلا ... لم يكن يبدو عليه أي قلق .. حتى أنني فكرت أن أعود ثانية إلى القناة .. إلا أنه طلب مني التريث قليلا في القاهرة .. وهكذا عدت إلى البيت .. وفي المساء - وكانت الساعة الثامنة تقريباً - دق التليفون فأسرعت إليه..

فإذا بالمتحدث زكريا محيى الدين ، قال لى زكريا : تعالى دلوقتى فى القيادة بالقبة .

ارتديت ملابسى بسرعة وبعد عشر دقائق كنت عنده قال : فيه اجتماع فى السوارى . . وجمال هناك بقى له ساعتين . . ومش عارفين إيه اللى حصل . . تروح تشوف إيه اللى هناك ؟

وذهبت إلى السوارى .

كان السلاح يموج بحركة . . وضجة . . وأصوات كثيرة ترتفع . . ووجوه تتحدث . . والطابع العام فى الاجتماع هو الاستفزاز ... كان الضباط الذين يتناقشون صغارا فى السن . . لم يكونوا قد تخرجوا بعد عندما قمنا بالثورة منذ سنتين .

كانوا يقولون : ليه نجيب يمشى . . ؟ إحنا عايزين الديمقراطية . . عايزين الأحزاب . . لازم نجيب يرجع .

عدت إلى القيادة . . قلت لزكريا : الاجتماع حامى جداً . . ويدل على انعدام الضبط والربط العسكرى .

وبعد ساعة ونصف تقريباً فى انتظار عودة جمال . . لم يعد . . عدت إلى السوارى . . وكان الاجتماع كما هو . . لم تخف حدته .

كان جمال عبد الناصر يشرح لهم تصرفات اللواء نجيب وكيف يريد الانفراد بالسلطة . . وكيف يريد أن يلغى مجلس قيادة الثورة .

وعدت إلى القيـــادة . وكان الضباط الأحرار قد بدأوا يتوافدون . أذكر أنني رأيت عندئذ في القيادة : حسن التهامي ، سعد زايد ، أحمد أنور ، أبو اليسر الأنصاري ، عبد الحليم عبد العال ، وجيه أباظه ، أبو الفضل الجيزاوي ، صلاح نصر ، مجدى حسنين ، . . وآخرين لا أذكرهم .

وعاد جمال عبد الناصر حوالى الواحدة أو الثانية صباحاً وكان خالد محي الدين قد عاد هو الآخر ، من حفلة السواريه في إحدى دور السينما . . .

وعقد اجتماع لمجلس قيادة الثورة . . تقرر فيه :

١ — حل مجلس قيادة الثورة .

٢ — عودة محمد نجيب رئيساً لجمهوريه برلمانية .

٣ — يشكل خالد محي الدين حكومة انتقالية لمدة ٦ شهور (٨)

٤ — تجرى الحكومة انتخابات لجمعية تأسيسية لتضع دستوراً دائماً .

٥ — عودة أعضاء مجلس قيادة الثورة إلى وحداتهم .

وقد ذهب جمال عبد الناصر ومعه خالد محي الدين إلى سلاح الفرسان الساعة الثالثة صباحاً وأبلغهم هذه القرارات .

ثم عاد جمال عبد الناصر إلى القيادة بينما ذهب خالد محي الدين مع اليوزباشى شمس بدران إلى منزل محمد نجيب لإبلاغه بقرار مجلس قيادة الثورة .. وقد رحب نجيب بالقرار ترحيباً شديداً وكانت علاقته بخالد قد أصبحت علاقة وثيقة »

يستطرد كمال رفعت :

تلقينا هذه القرارات فى ذهول . . كانت هذه القرارات تعنى تصفية الثورة وعودة الحياة السياسية القديمة إلى ما كانت عليه دون أن تحقق الثورة شيئاً يذكر إلا قانون الإصلاح الزراعى وإلغاء الملكية .. وفى هذا الوقت كانت مجموعات من الفدائيين تعمل فى منطقة القناة ضد قوات الاحتلال .

القرارات تعنى تصفية الموقف الثورى . . .

اعترضنا على هذه القرارات وقلنا أنه ليس من حق مجلس قيادة الثورة اتخاذ هذه القرارات دون الرجوع لضباط الأحرار . وقررنا منع أعضاء مجلس قيادة الثورة من مغادرة القيادة .

وفى اجتماع سريع قررنا أن ما حدث فى سلاح الفرسان يعتبر تمرداً ويجب مقاومته .. وحرك بعض ضباط المشاة وحداتهم وحاصروا سلاح الفرسان .. ووجه ضباط المدفعية آلايات المدفعية المضادة للدبابات إلى الفرسان .. وحاصروه ومنعوا خروج أية دبابة ، وكان سلاح الفرسان قد قرر — سراً — أن يخرج متحدياً بدباباته فى مظاهرة عسكرية لمساندة القرارات بعودة نجيب وحل مجلس قيادة الثورة .

وقررنا — أيضاً — إخراج الطيران مع أول ضوء لعمل مظاهرة جوية على ثكنات السوارى رداً على المظاهرة العسكرية وذهب وجيه أباظة لتنفيذ ذلك فى سلاح الطيران .

كانت عملية القضاء على التمرد قد بدأت بينما أعضاء مجلس قيادة الثورة فى مبنى القيادة لا يعرفون أبعاد ما يحدث فى الخارج .

وهمست فى أذن أبو اليسر الأنصارى ليعد مكاناً فى ميس المدفعية لمحمد نجيب .. وذهبت ومعى اليوزباشى داود عويس إلى منزل اللواء نجيب فى الزيتون .

كانت الساعة قد وصلت إلى الرابعة من صباح يوم ٢٧ فبراير .. وقلت للضابط الشناوى ضابط حرس اللواء نجيب : إحنا ح ناخد اللواء نجيب ونوديه لميس المدفعية .

رفض الضابط .

كان من الضباط الأحرار . . ورفض أن يخل بواجبه إلا بأمر من قائده . . وكان قائده هو صلاح نصر .. فاتصلت به .. فاصدر أمره إليه بتنفيذ تعليماتي .

ودخلنا على اللواء محمد نجيب . . كان يقظاً . . فمن لحظات كان عنده خالد محي الدين وقد أبلغه بقرارات مجلس قيادة الثورة . قلت له : الصورة التي أبلغت لك قد ألغيت .

وأبدى اللواء استغرابه . . وقال : إزاى .. دا صلاح سالم اتفق معايا . . وخالد محي الدين ح يفوت على الصبح ونروح رئاسة الجمهورية .

قلت له : خلاص .. الصورة دى إتغيرت . . إتلغت . . لأن الضباط الأحرار رفضوها .

قال : بس صلاح قاللى .. وخالد ح يفوت على الصبح . و..

قلت محاولا حسم الموقف وحتى لا يضيع الوقت : أرجو سيادة اللواء أن تأتى معى ، وحتى نمنع أى احتكاك بين أسلحة الجيش .

قال : على فين . . ؟

قلت : على ميس المدفعية .

قال : طيب . . أنا عايز أتصل بصلاح سالم .

قلت : لا يا سيادة اللواء . . صلاح سالم مش هناك دلوقتى .

كانت كل دقيقة تمر لها ثمنها . . فقد كان خالد محيى الدين سوف يمر على اللواء بعد قليل . . فى مظاهرة عسكرية قوامها سلاح الفرسان . . إلى القصر الجمهورى . . ومعنى هذا حدوث صدام داخل الجيش . . وربما ينعكس على الشعب . . فلكل جهة من الجيش لها أنصارها بين أفراد الشعب . . كنا على أبواب حرب أهلية . . ولابد من منعها .

وكانت طائرات سلاح الطيران قد بدأت أولى طلعاتها .

قلت للواء نجيب : آدى سلاح الطيران طلع . . أرجو أن تأتى معنا .

وتردد فترة ثم قال : طيب ، وأخذ ينتقل من حجرة إلى حجرة . . ويجلس ثم ينهض ثانية . . كان يحاول أن يكسب وقتاً .

وعدت أكرر عليه : سيادة اللواء . . ليس أمامنا وقت للتضييع .

وهنا أدرك أننى فهمت مقصده . . فقال : طيب . . ألبس مدنى والا عسكرى . . ؟

قلت : الأمر سواء . . مدنى أو عسكرى .

فارتدى ثيابه العسكرية وأمسك عصاه .

وقال : هل أعتبر أننى مأخوذ بالقوة ؟

قلت : اعتبرها بالقوة من غير قوة .. فها أنت ترى أنه ليست معى قوة . . ولا سلاح . . المهم تيجى معانا .

ونزل معنا . . وتردد أمام العربة التى فتحت بابها ليدخل . . كان يريد أن يراه رجال الحرس كلهم . . أو ربما كان يتوقع أن تصل مظاهرة السوارى قبل أن يستقل العربة .

قلت : مفيش داعى . . إتفضل !

وجلس فى العربة . . وجلست بجانبه . . وسارت العربة . . لم يكن أحد يدرى أن رئيس الجمهورية داخل هذه العربة الحمراء المتواضعة . . ووصلنا إلى ميس المدفعية فى الماظة وكان أبو اليسر الأنصارى فى الانتظار وقد أعد مكاناً للواء نجيب .

وقلت له : الآن يا سيادة اللواء أنت تحت التحفظ حتى تهدأ أسلحة الجيش . . ولمنع حرب أهلية .

وعدت إلى مجلس قيادة الثورة . . وجدت عبد الحكيم عامر هناك . . قلت له : تم التحفظ على اللواء نجيب في ميس المدفعية . وفوجئ .

قال : مين اللى ادى هذه التعليمات ؟

قلت : الضباط الأحرار هم الذين أصدروا هذه التعليمات .

كان من رأيي . . ومن رأي الضباط الأحرار أنه ليس من حق مجلس قيادة الثورة أن ينفرد بإصدار قرارات حيوية وذات تأثير على البلاد أو على الجيش دون الرجوع للقاعدة الأساسية وهي الضباط الأحرار .

وبصرف النظر عن غضب عبد الحكيم عامر أو رضائه وقتها . . فقد كان لابد من معيار واضح للعلاقة بين مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار في إطار أهداف الثورة وتنظيم الضباط الأحرار .

لقد كسرت قواعد الاحترام لرئيس الجمهورية كما يقال . . ولكن ارتفعت قواعد احترام الثورة أكثر من الأفراد . . واتفقت كلمة الضباط الأحرار .. وأحسوا أن شيئاً عزيزاً ومقدساً قاموا من أجله ليلة ٢٣ يوليو ولا ينبغي التفريط فيه ، فزادت أواصر العلاقة والزمالة بينهم وتدعمت وحدتهم أكثر في مواجهة الأخطار المحيطة بالثورة في الحاضر وفي المستقبل .

وقد أرسل مجلس قيادة الثورة اليوزباشي حسن التهامي للإفراج عن نجيب وإعادته إلى بيته .

هذا ويمكن تقييم هذه العملية بأنها جعلت الثورة تتفادى معركة بين الأسلحة المختلفة فى القوات المسلحة يمكن أن تتطور إلى حرب أهلية . . وأفسدت الكمين الذى أعدته الثورة المضادة لتسقط فيه مجلس القيادة . . فيتاح لها تصفية الثورة .

وفى المساء اجتمع مجلس قيادة الثورة واتخذ قراراً بعودة محمد نجيب . . وأذيع فى مساء نفس اليوم (٢٧ فبراير) بيان قصير « حفظاً لوحدة الأمة يعلن مجلس قيادة الثورة عودة اللواء محمد نجيب رئيساً للجمهورية وقد وافق سيادته على ذلك . . »

وكان اللواء محمد نجيب قد استجاب لنصيحة الوسطاء بأن يوجه بياناً للأمة يقول فيه أن استقالته لا تعنى العداء لمجلس قيادة الثورة . . وكان هذا البيان الذى أذيع قبل قرار عودته . . بمثابة تهدئة للنفوس وإرضاء للضباط من أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين يكونون العداء للواء نجيب .

● ● ●

هل كانت استقالة نجيب فى فبراير وما تبعها بداية أزمة مارس . . أو تمهيداً للأزمة . . إن الفائدة الحقيقية لاستقالة فبراير تكمن

فى كشف عناصر القوى المضادة للثورة وتحديد الصديق والعدو.
وهذا ما جعل أعضاء مجلس قيادة الثورة على حذر من نجيب . .
وقد أثبتت أحداث ليلة ٢٧ فبراير أن نجيب يمكن أن يتحالف مع الشيطان من أجل تصفية أعضاء مجلس قيادة الثورة .

● ● ●

وما زلنا نمسك بأيدينا السؤال الذى طرحناه فى الصفحات السابقة . . وهو : هل كانت أزمة مارس صراعاً على السلطة بين الرجلين نجيب وناصر .. أم صراعا بين الديمقراطية والديكتاتورية؟

وقلنا أن هناك إجابات محددة على هذه الأسئلة .. من الرئيس السادات . . ومن زكريا محيى الدين . . ومن كمال رفعت . . ومن عدد من الشخصيات التى عاصرت أحداث مارس .

ولكننا ما زلنا على أبواب مارس . . فماذا نرى ؟

إن المسرح السياسى لم يكن بالصورة القاتمة التى رآها اليوزباشى محمد رياض قائد حرس رئيس الجمهورية يوم ٢٨ مارس سنة ١٩٥٤ .. تلك الصورة المزعجة التى دفعته لأن يقتحم حجرة رئيس الجمهورية ويطلب منه أن يتدخل لإنقاذ ما يمكن إنقاذه .. ويصرخ: لم يعد هناك أمل.. لم يعد هناك أدنى أمل.. إنهم يملأون الشوارع . . ويهتفون : تحيا الثورة . . لا أحزاب بعد اليوم . . !

نعم ماذا كانت الصورة فى الأيام الأولى من مارس سنة ١٩٥٤ ؟

- أكانت قاتمة فى نظر محمد نجيب رئيس الجمهورية . . ؟
- أكانت مشرقة فى نظر أعضاء مجلس قيادة الثورة . . ؟

وهؤلاء الذين كانوا ينظرون بجشع إلى مقاعد الحكم . . أكانوا قد استسلموا . . أو استكانوا . . أم كانوا فى انتظار شىء ما يمكن أن يحدث . . ؟

فى اليوم الأول من مارس نشرت الجرائد صورا كبيرة لمحمد نجيب مع جمال عبد الناصر . . كأن الصراع كان بين نجيب وبين ناصر فقط لا بين نجيب وبين مجلس قيادة الثورة . . أو بين الديمقراطية وبين الديكتاتورية . . وتقرر فى هذا اليوم — أول مارس — إيقاف الدراسة فى الجامعات الثلاث بسبب « الحوادث التى ارتكبت أمس » . . وكانت هذه الحوادث هى الاحتفالات التى نظمها الإخوان والشيوعيون احتفالا بعودة نجيب ، وسميت الاحتفال بالوحدة بين نجيب ومجلس الثورة أو « الوحدة بين الضباط الأحرار » ، ولم تمر هذه الاحتفالات دون إراقة قليل من الدماء . . فقد جرح فيها ١٣ شخصاً . . وهو رقم مشئوم كما هو معروف . . وأدت البداية المشئومة لهذا الشهر إلى أن يذكر فى

التاريخ باسم أزمة مارس . . ويصبح وبالا على الثورة . . بل على أعداء الثورة .. وقد حاول المؤتمر المشترك الذى يجمع بين مجلس الثورة ومجلس الوزراء أن يوحى إلى الجماهير المتعطشة لكثير من الأخبار والمعلومات حول الصراع الخفى بين الرجل «الطيب» وبين جماعة «الأشرار» ! . . حاول أن يوحى بأن الأوانى التى تحطمت يوم ٢٦ فبراير قد عادت والتأمت من جديد . . فى بيان صدر فى هذا اليوم أن الأيام القليلة الماضية كشفت «أن وحدة هذه الأمة أقوى مما كان يتصور خصومها وأن مسير هذه الثورة لن يتأثر بمرور هذه السحابة فى حياتها . .»

وكانت تجرى محاكمة السيدة زينب الوكيل حرم الزعيم مصطفى النحاس غيابياً أمام محكمة الثـــورة . . ويرأس المحكمة عبداللطيف البغدادى وليس جمال عبد الناصر .. وكان أحد أعضاء المحكمة حسن ابراهيم نفسه .. وهو أحد الصامتين الذين يرتدون الآن ثوب الديمقراطية . . !

كل هذا . . وصوت القضية الوطنية يرتفع من مدن القناة. وكان مجلس قيادة الثورة يبحث عن الأسلحة من أى مكان . . ولكن انجلترا كانت تحتكر هذه العملية . . وحاولت مصر أن تكسر هذا الاحتكار فطلبت من بلجيكا أسلحة .. ولكن بريطانيا ضغطت على بلجيكا فرفضت بيع الأسلحة لمصر . . !

وبدأت جريدة المصرى تلعب دورها جيداً بصفتها ممثلة لأكبر حزب.. وهو الوفد.. وهو الحزب الذى ينتظر قادته أن تقع ثمرة الثورة فى أرضهم فيلتهموها.. وكانت هذه الجريدة تلعب دورها بذكاء يبدأ من نفاق مجلس قيادة الثورة.. وينتهى إلى « شتيمة » مجلس قيادة الثورة بطريقة غير مباشرة!

ففى يوم السبت ٦ مارس نشرت بذكاء لا يعيه إلا القليل:

« استجاب رجال الثورة المخلصون لرغبات الشعب الذى انبعثوا منه فقرروا ليحققوا رغباته أن تعود الحياة النيابية إلى البلاد بأسرع ما يمكن وذلك بإجراء انتخابات لجمعية تأسيسية فى مدى أربعة شهور يعرض عليها الدستور الجديد تمهيداً لانتخاب برلمان حر يجيء عن طريق انتخابات مباشرة.. وقد أثبتت اجتماعات أمس (٥ مارس) أن نجيب وجمال عبد الناصر وأعضاء مجلس الثورة جميعاً وكلهم وطنية متدفقة وحرص صادق على مصالح الشعب لا يملكون إلا الاستجابة لما يريده وتحقيق ما يهدف إليه.. »

ونشرت الجريدة كما نشرت الجرائد الأخرى قرارات مجلس قيادة الثورة التى صدرت فى الليلة السابقة.. فى ٥ مارس.

وعادت « المصرى » تقول: إن جمال عبد الناصر قد مثل

مجلس قيادة الثورة الآن بأنه سلطة السيادة إلى حين قيام البرلمان الجديد . . وقد علم أن النية تتجه نحو إلغاء محكمة الثورة . . وأن الذين حوكموا بواسطتها سوف يعاد النظر فى الأحكام التى صدرت ضدهم .

ولكن عبد اللطيف البغدادى رئيس محكمة الثورة . . وأحد الصامتين الذين تكلموا . . أجاب بحسم : إن محكمة الثورة باقية !

ما رأيه الآن فى هذا التصريح . . أيوافق على ما أصدره من أحكام . . ألا يود أن يتهم نفسه بأنه كان مغلوباً على أمره . . ؟ !

على كل فلنواصل . . لقد تجاهلت « المصرى » صفعة البغدادى ونشرت فى اليوم التالى ٩ مارس أن نجيب قد عاد رئيساً للجمهورية ورئيساً للوزارة ورئيساً لمجلس قيادة الثورة . . وأنه اجتمع أمس بالدكتور السنهورى وسليمان حافظ مستشار رئيس الجمهورية .

وفى حفل العشاء الذى أقامه عبد الحكيم عامر فى نادى ضباط الجيش وحضره ١٣٥٠ ضابطا يمثلون مختلف الأسلحة توالت التصريحات التى تكشف عن ملامح الصراع .

فنجيب ينصح الجيش بالابتعاد عن السياسة . . لماذا ؟ . . لأن الجيش يساند مجلس قيادة الثورة . . ولأنه كان بطل أحداث

الأيام الأخيرة من شهر فبراير . . ويقـــول نجيب فى خطابه فلنكن جميعاً خداماً للشعب ولحريات الشعب ولأهداف الشعب . . أما ناصر فانه لم يتنازل عن أهدافه . سنحارب الاستعمار والرجعية حتى تتحقق أهداف الثورة .

وخطب خالد محي الدين : عهدنا للشعب أن نحرره من أى استعمار ونوفر له حياة دستورية .

كيف . . والاستعمار جاثم فى القناة . . يتفرج . . ؟ !

وفى اليوم التالى يعتكف جمال عبد الناصر فى منزله بعد أن تخلى عن رئاسة مجلس الوزراء ومجلس قيادة الثورة .

وتتطور المواجهة بين الحركة الفدائية والقوات البريطانية فى القناة .. وتستأثر باهتمام وكالات الأنباء والصحف العالمية والمحلية .. ولا تجد جريدة المصرى لسان حزب الوفد . والتى أصبحت ـ بقدرة قادر ـ لسان حال الإخوان والشيوعيين على السواء من مادة لمانشيتاتها سوى الكلام عن الديمقراطية والحياة الدستورية . . أما ما يخص قناة السويس . . والنضال هناك فى هذه البلاد البعيدة فيحظى بالإهمال الجدير به . . فى الصفحات الأخيرة من الجريدة الوطنية جداً !

فى الصفحة الأولى مثلا نجد ما نشيت كبير يوم ١١ مارس

يتضمن تصريحاً لخالد محيي الدين بعنوان « خالد محيي الدين يتحدث عن حقوق الشعب . . ممارسة الشعب لحقوقه الانتخابية إرساء لدعائم الديمقراطية » ويسأله الصحفي : ما هو مصدر الإشاعة عن انتمائكم للشيوعية ؟ . . فيرد خالد في الصفحة الأولى أيضاً : من الطبيعي أن تطلق هذه الإشاعة على الأحرار في بلد يريد أن يتحرر من الاستعمار وذيوله .. وما زلنا نذكر أن ثورتنا الوطنية سنة ١٩١٩ قد رميت بالشيوعية كذلك . . وقد كنت دائماً وسأظل مؤمناً بأن الديمقراطية البرلمانية هي السبيل للتحرر من الاستعمار!

أما الأخبار التافهة التي ألقتها الصحيفة الوفدية في الصفحة الثامنة فكانت تتضمن تصريحاً لوزير الحربية البريطانية . . يعترف بضعف قواته في منطقة القناة وأن الحياة في القاعدة البريطانية شاقة جداً ومحفوفة بالمخاطر . ويقرر بأن غالبية الجنود يحرسون المنشآت والمخازن والمعسكرات خوفاً من المصريين .. وقد كانت الاعتداءات المتكررة التي قام بها الغوغاء المصريون (!!) أخيراً السبب الرئيسي في أن أصبحت حياة هؤلاء الجنود في غاية التعاسة والذعر .

وقد بلغ عدد الاعتداءات على القوات

البريطانية فى الفترة بين مايو ونوفمبر سنة ١٩٥٣ ما لا يقل عن ٨٨٥ اعتداء . . . . الخ .

ويبدو أن جريدة المصرى قد شعرت بأن القضية الوطنية يجب أن تتساوى مع القضية الديمقراطية من بعض الوجوه .. صحيح أن القوانين العامة لهذه المسائل تحتم أن يكون الاهتمام الأساسى منصبا على القضية الوطنية . . ولكن الجريدة الوفدية مهتمة جداً بالديمقراطية . . بحيث لا تتسع صفحاتها الأولى . . إلا لهذه القضية . . على أن الخجل تد ألجأ المسئولين عن هذه الجريدة إلى وضع القضية الوطنية فى الدرجة الثانية من الأهمية .

فى الصفحة الأولى من المصرى الصادر بتاريخ ١٢ مارس نشرت الجريدة المانشيتات الآتية على الترتيب التالى :

- نظام الانتخاب وشروط الترشيح للجمعية التأسيسية .
- وزير الحرب البريطانى يقول: قاعدة القناة معسكر احتقال للجنود الإنجليز .. وإطالة أمد المفاوضات تضر بمصالح بريطانيا .
- د . وحيد رأفت يتحدث عن تكوين الأحزاب وشروط نزول العسكريين للمعركة الانتخابية .

• القوات البريطانية تواصل أعمالها الاستفزازية بالتفتيش والتهديد فى منطقة القناة .

لكن الخجل يجبرهم فى النهاية على التذبذب بين القضيتين . . الوطنية والحزبية فتنشر الجريدة فى بعض الأيام نبذاً عما يحدث هناك فى البلاد البعيدة . . فى مدن القناة .

وبالمقابل تفسح صفحاتها لكل الأصوات التى تنادى بعودة الأحزاب .

وتتبع موقف جريدة المصرى وسياسة أحمد أبو الفتح وموقف الوفد الذى تعـــبر عنه الجريدة ومواقف الإخوان والشيوعيين من خلال صفحات الجريدة ممتع إلى حد كبير وإن كان يبعدنا قليلا عن أزمة مارس .. إلا أنه يضع أمامنا الصورة بكل أبعادها .

فى الصفحة الأولى يوم ١٣ مارس . . تنشر المصرى :

● سلطان الأطرش للمصرى : أصعب ساعة فى حياتى هى التى قيل لى فيها أننى سأصطدم بالجيش السورى !

● الإنجليز يقتلون ضابط بوليس فى فايد ويطلقون الرصاص على عامل ويطعنون آخر بالسونكى ويفجرون مفرقعات شديدة ويوجهون مدافعهم نحو الأهلين أثناء تشييع جنازة الضابط بالإسماعيلية(٩) .

● درية شفيق تضرب عن الطعام حتى الموت بهدف اشتراك المرأة فى الجمعية التأسيسية .

● الإخوان المسلمون يدعون إلى مؤتمر عام فى دمشق .
مجلس الدولة ينظر فى ٣١ مارس طلب وقف قرار حل الإخوان المسلمين .

فى اليوم الثانى ١٤ مارس .. كانت الصفحة الأولى من المصرى :

● النحاس لا يفكر فى الترشيح للرئاسة .

وفى نفس الصفحة الأولى . . وفى مكان منزو وصغير نبأ يقول أن قوة انجليزية قوامها ٨٠ جنـــديا وضابطا و ٥٠ دبابة ومصفحة احتلت المنطقة المجاورة للكيلو ٧ بالقرب من الاسماعيلية وقد حفرت القوة فى المنطقة خنادق ملأوها بمدافعهم الرشاشة وبثوا فيها الألغام(١٠) .

وهكذا تسير سياسة الجريدة الوفدية . . قضية الديمقراطية مقدمة على القضية الوطنية . . وتصريحات زعماء الأحزاب أهم من دماء الوطنيين والشهداء فى منطقة القناة . . ولعل هذه السياسة هى التى أدت بأن يظل الإنجليز يستعمرون مصر منذ عام ١٨٨٢ إلى عام ١٩٥٦ .

على أن المعركة الوطنية فى القناة تشتد رغم أنفهم وتمحو من النفوس كل أثر للسأم والتراضى . . فيشدد الفدائيون فى القناة هجماتهم على القوات البريطانية . . وتوجه القوات البريطانية ضربة لتعزيز موقفها فى مدن القناة فتحتل عزبتين بالقرب من الإسماعيلية . ويصرح كمال الدين حسين . . — ووقتها لم يكن صامتاً — يصرح بأن استهتار الجنود البريطانيين بأرواح المواطنين سوف يشحذ عزيمتنا أكثر ويدفعنا إلى الاستعداد لمعركة التحرير.

وفى اليوم التالى تذيع بريطانيا أن اثنين من جنودها قتلا فى منطقة القناة . . ويجن جنون القوات البريطانية . . فينطلقون فى مدن القناة يحاولون أن يفرضوا على أهلها السكوت . . ويتخلصوا من الفدائيين أو على الأقل يعلنوا أسماءهم أو أماكنهم . . ولكن لا أحد يتبرع بالتجسس لصالحهم . . ويفلت الزمام منهم فيتوجهون نحو أحد المساجد ويجوبونه بحثاً عن آخره . . ويظنون أن التدريب يجرى فيه . . والسلاح يوزع منه . . فينقضون عليه وعلى من فيه .

ولكن جريدة المصرى لسان حزب الوفد تعيش فى واد آخر . . فتصدر يوم ١٩ مارس . . وعلى صدر صفحتها الأولى مانشيت كبير . . هو المانشيت الرئيسى « ذبح زوجة مليونير فى دارها

بالزمالك(١١) » . . ثم يأتى المانشيت الفرعى « الإنجليز يبررون عدوانهم بعدم تعاون البوليس المصرى معهم . . »

وتغمر أنباء القتال فى القناة الصحف المصرية حتى تلك الممعنة فى الرجعية والتآمر مثل أخبار اليوم والأخبار . . وتتصاعد الحوادث فى مدن القناة .. ويطلب وزير الخارجية المصرى وقف عدوان القوات البريطانية على السكان العزل . . ويغتال الإنجليز مواطناً ويلقون بجثته فى نقطة بوليس تحدياً لمشاعر الأهالى . . ويصرح عبدالناصر لوكالة أنباء «إنسا» الإيطالية بأن الشعب المصرى قادر على مجابهة البريطانيين . . ولكننا لا نعارض فى إجراء محادثات معهم . . إلا أن أحمد أبو الفتح يكتب مقالا بعنوان « بلبلة » .. لا عن البلبلة البريطانية فيما يختص بالمحادثات المصرية البريطانية والأسس التى ستسير عليها . . ولا عن موقف بعض الدول من القضية المصرية . . وانما عن فرض الرقابة على جريدة القاهرة(١٢) !

وتمر الأيام . . وتعلن مصر أنها رفعت التمثيل السياسى بينها وبين الاتحاد السوفيتى إلى درجة سفارة . . وفى الوقت نفسه تبلغ مصر أمريكا بأنها ستقاوم المعاهدات الثنائية والأحلاف وتستفز هذه التصريحات إيدن . . فيعلن أن استئناف المباحثات مع مصر

غير ممكن الآن وأن مقتل الضابط المصرى فريد ندا لا يبرر هجوم الفدائيين المستمر على القوات البريطانية . . وقابل ستفينسون نجيب وطلب منه تجريد المدنيين المصريين فى مدن القناة من السلاح ومحاكمة مرتكبي الحوادث (!)

ولكن نجيب ومعه الوفد والإخوان والشيوعيون ينسون كل هذا .. ويتجاهلون المعركة الدائرة فى مدن القناة .. يتجاهلون تماماً أنه توجد قوات احتلال فى مصر .. وأن عليهم أن يطردوا هذه القوات الغازية أولا . . لأنهم يعرفون أكثر من غيرهم أن البرلمان والدستور والحياة النيابية ظلت قائمة فى مصر منذ عام ١٩٢٣ ولم تحرر البـــلاد . . ولم يتحقق الاستقلال . . والحياة السياسية القديمة والجذابة لم تكن تعنى سوى طبقة واحدة . . قشطة المجتمع . . حضرات مالكى ألوف الأفدنة . . وأصحاب الشركات .. ورؤساء مجالس إدارات البنوك .. وممثلي الإمبريالية وحملة ألقاب الباشوية . . وحاملي أنواط النيل وقلادة الأمل وغيرها وغيرها . . وهذه الطبقة هى التى أفرزت الأحزاب الموجودة . . وإذا كانت الضربات قد بدأت تنهال على هذه الطبقة منذ ثورة يوليو . . فالأمل كل الأمل . . أن تعود الأحزاب لتعود هذه الطبقة مرة أخرى وتأخذ مكانها تحت اسم الديمقراطية والحياة النيابية . ويصرح نجيب للمصرى فى ٢٤ مارس : « إننى

أؤكد قيام الجمعية التأسيسية أو البرلمان مباشرة . وأنني لن أؤلف حزباً(١٣) ، وفي نفس الصفحة الأولى خبر كبير عن رسالة من القائمقام يوسف صديق للرئيس محمد نجيب(١٤) يقترح فيها تشكيل حكومة ائتلافية من الوفد والإخوان المسلمين والاشتراكيين والشيوعيين برئاسة الدكتور وحيد رأفت لإجراء إنتخابات البرلمان الجديد .

وتشعر عناصر الثورة المضادة أن الثمرة قد نضجت .. ويتملكها السعار .. فتدفع بالمشهيات إلى مائدة السياسة . . ويصرح نجيب أن المهم الآن هو الحياة البرلمانية . . ويرد الوفد أنه متمسك بالنظام الجمهوري البرلماني والإصلاح الزراعي ويطالب بعودة الحياة البرلمانية فوراً لتستقر الأوضاع . . !

وتنشر كل الصحف بلا استثناء — عدا صحيفة الجمهورية — خطاب علي الشمسي (باشا) رئيس مجلس إدارة البنك الأهلي المصري في الجمعية العمومية لمساهمي البنك . . وتنشر الصحف مقدمة للخطاب فتصفه بأنه وثيقة شبه رسمية تشف عن حالة البلاد الاقتصادية والمالية والتجارية .. أما الخطاب فيركز على أن التدخل الحكومي والقلق والخوف من وقوع انكماش أدت جميعاً إلى حالة الركود . . وأن الإنعاش الاقتصادي يتطلب جواً من الطمأنينة على مستقبل الاستثمار .

وكانت الحوادث ما زالت تقع للأسف فى البلاد الأخرى البعيدة .. لقد حاصر الإنجليز مساكن العمال بالسويس وخطفوا منهم ثمانية .. وأبلغ جمال عبد الناصر بريطانيا بقطع المفاوضات رسمياً !

وتسقط الثمرة بقرارات ٢٥ مارس المؤيدة لقرارات ٥ مارس .. فيعلن حل مجلس قيادة الثورة يوم ٢٤ يوليو وتسليم البلاد لممثلى الشعب .. والسماح بقيام الأحزاب .

الثمرة على الأرض لم يتقدم أحد بعد لالتقاطها .. ولكن حولها دقت الثورة المضادة طبول الفرح .. فقالت جريدة المصرى فى افتتاحية يوم ٢٦ مارس وهى تزف هذه القرارات إلى الشعب « إذا الشعب يوماً أراد الحياة فلابد أن يستجيب القدر » .. ثم واصل المصرى فى دهاء وذكاء « لقد تغلبت وطنية رجال الثورة الأحرار أمس وتغلب حرصهم على مصالح الشعب فعقد مجلس الثورة اجتماعاً طويلا دام ٥ ساعات بحث خلالها الموقف الداخلى، وبعد انتهاء الاجتماع صرح الصاغ كمال الدين حسين إلى الصحفيين وأذاع عليهم القرار التاريخى الذى اتخذه المجلس واستجاب فيه لرغبات الشعب »

– الوزارة الجديدة تشكل غداً .

– استقالة الوزراء المدنيين .

– المحامون يضربون غداً تأييداً لتشكيل حكومة مدنية لإجراء الانتخابات .

– مجلس نقابة الصحفيين يطلب إلغاء الحكم العرفى فوراً وتشكيل وزارة قومية .

– نجيب لم يتقدم بأية مطالب تتعلق بالحكم . .

(أية مثالية تلك ! !)

– تكوين الأحزاب غير مفيد بالمرة .

– رجال الأمن يستعدون لمقابلة العنف بالعنف !

(تهديد لمؤيدى الثورة ! !)

وبخبث شديد نشر المصرى خبراً يتعلق بزيارة الملك سعود الذى كان فى زيارة رسمية لمصر منذ يوم ٢١ مارس والخبر بعنوان « هدايا ملكية » ، ويقول الخبر :

تفضل جلالة الملك سعود وأهدى إلى كل من أعضاء الوزارة ومجلس قيادة الثورة هدايا

قيمة من بينها خواتم ماسية ثمينة ومزركشة بالقصب والذهب وسجاجيد ذات قيمة كبيرة .

لا شيء عن القناة .

لا شيء عن الاستفزازات المستمرة ضد الأهالى من الانجليز.

لا شيء عن تشديد هجمات المقاومة .

كل شيء .. عن عودة الأحزاب .. وكيف تجرى الانتخابات .. وتوزيع الدوائر على المحاسيب والأنصار والأصهار .

وبدأت جماهير الشعب ترى الأحداث تجرى وتتطور دون أن تفهم شيئاً .

القتال دائر فى القناة .

قوانين الاصلاح صدرت وما زالت فى حيز التنفيذ .

قانون منع الفصل التعسفى للعمال وتكوين اتحاد لهم مهدد .

الآمال العريضة التى نبتت فى الصدور .. ونمت مع قيام الثورة .. فى مستقبل مشرق تتعرض الآن لضربات شديدة .

وبدأت الأسئلة تلح .. ولم كانت الثورة إذن .. ؟

وماذا بقى منها .. ؟ .. سوف تعود الأحزاب .. والاقطاع

.. ورأس المال سوف يتحكم من جديد .. وسيكون للسفار البريطانية الكلمة العليا فى سياسة البلاد .

وكاد الأمل ينطفىء .

ولكن أشد الناس صلة بالثورة .. وارتباطاً بما حققته .. مثل العمال الذين صدر لصالحهم قانون منع الفصل التعسفى .. والفلاحين الذين وزعت عليهم الأرض .. والموظفين الذين بدأوا يتنفسون ويأملون ألا تتحكم أهواء الحزبية فى العلاوات والترقيات .. بل والتعيينات أيضاً .. هؤلاء الناس .. بدأوا يتحولون من مرحلة طرح الأسئلة .. إلى مرحلة العمل .. لابد من إيقاف الثورة المضادة .. ولابد من استمرار الثورة .

وهكذا بدأت الأيام الحاسمة من شهر مارس سنة ١٩٥٤ .. أيام ٢٧ و ٢٨ و ٢٩ مارس .

كان اللواء محمد نجيب رئيس الجمهورية مازال ينظر إلى وجه اليوزباشى محمد رياض قائد حرسه يحاول أن يستقرىء منه ما عجز عن فهمه من أحداث يوم ٢٨ مارس المتوقعة .. كانت صيحات اليوزباشى محمد رياض ما زالت تطن فى أذن رئيس الجمهورية : لم يعد هناك أمل .. إنهم يملأون الشوارع .

وأضاف بحدة : إنهم يسيطرون على كل العاصمة . . حتى القطارات أوقفت يا سيادة الرئيس !

* * *

يتساءل المؤرخ عبد الرحمن الرافعى(١٥) بمرارة وألم « . . وقد تبلبلت الأفكار من صدور هذه القرارات الخطيرة(١٦) ولم يعلم أحد على أى أساس ستنتخب الجمعية التأسيسية أو ينتخب البرلمان، ولم يعرف أحد أية هيئة ستتولى شئون الحكم فى الفترة السابقة لاجتماع الجمعية التأسيسية، ولا أية هيئة سوف تجرى الانتخابات، وهل ستعود الأحزاب المنحلة قبل الانتخابات أم بعدها ، وماهو البديل من مجلس قيادة الثورة . . ؟ وخاصة أن مباحثات الجلاء كانت متوقفة ، وبريطانيا تكشر عن أنيابها ، وعدوانها قائم فى القناة ، وخصوم الثورة واقفون لها بالمرصاد . . »

« . . وأخذ أعضاء مجالس الأحزاب المنحلة يجتمعون ويتداولون ، ويوزعون المقاعد النيابية ذات الشمال وذات اليمين ، وشمخوا بأنوفهم . . وظنوا أن الدنيا عادت إليهم بعد أن ولت عنهم ، وبات منتظراً لو عادت إليهم السلطة أن ينتقموا من الثورة وزعمائها ، وأن ينكلوا بالذين كانوا السبب فى إقصائهم عن الحكم ، وفى زوال حكم فاروق ومفاسده ومخازيه . . وقد اجتمع ضباط

ش من جميع الأسلحة فى ثكناتهم يوم ٢٧ مارس سنة ١٩٥٤ وتداولوا فى الموقف ، ورأوا أن الثورة مهددة بالانحلال إذا نفذت قرارات ٥ و ٢٥ مارس ، وأن البلاد ستعود إلى الفوضى وإلى نفس الأحزاب المنحلة ، فأصدروا قرارات إجماعية بإلغاء قرارات ٥ و ٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ وشفعوا ذلك بقرار الاعتصام فى ثكناتهم إلى أن تلغى هذه القرارات ، وحملوا مجلس قيادة الثورة مسئولية ما يقع من حوادث إذا لم تجب مطالبهم . . »

كان هذا كله أمام الرئيس محمـــد نجيب وهو يتأمل مظاهر التوتر المرسومة على وجه اليوزباشى محمد رياض قائد حرسه .

وكان لابد أن يتحرك . . أن يفعل شيئاً . . فرفع سماعة التليفون وطلب زكريا محيى الدين وزير الداخلية وبكلمات حذره من المظاهرات . . وقال له : لابد من وقف هذه المظاهرات . . ونظر إلى اليوزباشى محمد رياض . . ، وأدرك من نظرات قائد حرسه أن هذا ليس كافيا . . وأثار هذا الشك فى جدوى التحذير الموجه لوزير الداخلية . . فزكريا محيى الدين عضو مجلس قيادة الثورة . . من المعادين لقرارات ٥ و ٢٥ مارس . . والمؤيدين لبقاء مجلس قيادة الثورة . . بل إنه هو أحد الذين صوتوا على القرارات التى تضمنت قبول استقالته وتعيين عبد الناصر رئيساً للوزراء .

ولذا فقد استدعى إلى منزله اللواء الباجورى وكيل وزارة الداخلية وطلب منه فض المظاهرات بالقوة . .

وكانت كلمة « القوة » تعنى إطلاق الرصاص على المتظاهرين ، وهو عمل لابد له من أمر كتابى خاص من الوزير المسئول .. وإلا فكيف يفض المظاهرات بالقوة . . إذا لم يستعمل الرصاص ؟!

فطلب اللواء الباجورى من رئيس الجمهورية إصدار أمر كتابى له بإطلاق الرصاص على الجماهير .. إلا أن نجيب رفض !

ومن جهة أخرى فقد كان صدور أمر كتابى لرجال البوليس بإطلاق الرصاص على المتظاهرين عديم الجدوى لأن ضباط البوليس أنفسهم كانوا قد اجتمعوا فى كل من القاهرة والاسكندرية واتخذوا قرارات مماثلة لقرارات ضباط أسلحة الجيش باستمرار الثورة والاعتصام حتى تلغى قرارات ٥ و ٢٥ مارس وحملوا مجلس قيادة الثورة مسئولية ما يقع من حوادث(١٧) .

فاللواء الباجورى كان يعرف أن أمراً كتابياً بإطلاق الرصاص حتى لو صدر من زكريا محيى الدين وزير الداخلية نفسه لا قيمة له . . بالإضافة إلى أن البوليس — وهذا موقفه — لن يكون بحال من الأحوال مع قيادة الجبهة التى تناوىء مجلس قيادة الثورة

وأسقط فى يد اللواء نجيب .

لكن عدداً من ضباط سلاح الفرسان استطاعوا أن يفلتوا من الحصار المضروب على سلاحهم وتدفقوا على بيت رئيس الجمهورية . . فى هـــذا الصباح من يوم ٢٨ مارس . . وبدأوا يقترحون . . ويحاولون البحث عن مخرج من الأزمة . . كانت سلطة الدولة العليا التى يمثلها رئيس الجمهورية فى أيديهم . . وهو ما زال موجوداً لم يقبض عليه . . ولم يعـــزل . . فاقترحوا عليه مباغتة مجلس قيادة الثورة بإعلان وزارة جديدة يرأسها الدكتور وحيد رأفت(١٨) واتخاذ إجراء ضد أعضاء مجلس قيادة الثورة استناداً إلى نصوص الدستور المؤقت الصادر فى ١٠ فبراير سنة ١٩٥٣ والتى تنص على تولى قائد الثورة بمجلس قيادة الثورة — وكان وقتها اللواء نجيب — أعمال السيادة العليا وبصفة خاصة التدابير التى يراها ضرورية لحماية الثورة والنظام القائم عليها لتحقيق أهدافها وله فى هذا حق تعيين الوزراء وعزلهم.

إلا أن اللواء نجيب تردد . . فلما ألحوا عليه أمهلهم إلى حين عودته من الاسكندرية مع الملك سعود .

وعلى كل حال . . فهذا النص لم يكن يعطى اللواء نجيب الحق فى إصدار مثل هذا القرار . . ولا اتخاذ أى إجراء .

فهذا النص ينصرف إلى « قائد الثورة بمجلس قيادة الثورة »
.. وكان نجيب قائداً لثورة الجيش .. وليس قائد الثورة بمجلس قيادة الثورة .. هذا النص ينصرف إلى جمال عبد الناصر رئيس مجلس قيادة الثورة المنتخب .. ويبدو أن النص كان من عمل المستشار سليمان حافظ الذى لعب الدور المشئوم فى تقنين الايام الاولى من ثورة يوليو ..

وإذا كان اليسار ينعى على محمد نجيب تردده فى اللحظات الحاسمة .. وعجزه عن الارتباط بمجموعة من الضباط ليصنع منها تنظيماً أو « شلة » تظاهره فيما يريد .. فانما كان بسبب فشل اليسار فى استثمار أزمة مارس لصالحه فعاد باللائمة على نجيب .. ونجيب بدوره لم يكن الرجل المناسب .. ولا الزعيم ولا السياسى .. كان نجيب ينتمى إلى عصر انقضى ولا سبيل إلى عودته !

وكانت الاحداث تتلاحق .

فقد أضرب عمال النقل المشترك واعتصم قادتهم بدار النقابة فى أرض شريف ودعوا جميع العمال الذين ينتمون للنقابات العمالية إلى الإضراب .. ولم يقتصر الأمر على الإضراب والاعتصام .. بل تعداه إلى المظاهرات العنيفة .. وتحول الاعتصام

إلى إضراب عن الطعام إلى أن تجاب القرارات التى أعلنتها الإذاعة أمس (٢٧ مارس) . وكانت تتضمن :

١ — عدم السماح بقيام الأحزاب .

٢ — استمرار مجلس قيادة الثورة فى مباشرة سلطاته حتى يتم جلاء المستعمر .

٣ — عدم الدخول الآن فى المعارك الانتخابية .

٤ — قيام هيئة تمثل جميع النقابات والاتحادات والروابط والجمعيات والمنظمات إلى جانب مجلس قيادة الثورة تكون بمثابة جمعية وطنية تعرض عليها القرارات التى يرغب مجلس قيادة الثورة فى إصدارها .

وفى صباح ذلك اليوم . . كانت عشرات من النقـــابات قد انضمت إلى نقابة عمال النقل المشترك فى الاضراب وتأييد نفس المطالب .

وقامت جريدة المصرى بدورها المعتاد . . فقد أعمتها المصالح الحزبية عن رؤية الواقع على حقيقته . . فوصفت إضراب عمال النقل المشترك أنه « مؤامرة ضد الشعب » . . فى الوقت الذى سير فيه الوفد مظاهرات ضد مجلس قيادة الثورة تطالب بالحياة النيابية

. . وقالت المصرى أن النحاس (زعيم الوفد) ورشاد مهنا (ممثل الإخوان المسلمين) وأحمد حسين (زعيم الفاشست) مازالوا فى المعتقلات ولم يفرج عنهم بعد . وقالت المصرى أن عمال ترام القـــاهرة لم يستجيبوا للإضراب . . وأن شباب الجامعة أعلنوا تطوعهم لقيادة سيارات الأتوبيس بدلا من العمال المضربين . . وبالطبع فشلت محاولة زرع إسفين بين الطلبة وبين العمال . . لأن الطلبة لم يتقدموا لقيادة الأتوبيسات .

وامتدت الإضرابات والمظـــاهرات إلى الاسكندرية وإلى عواصم المحافظات .

وهكذا . . بين يوم وليلة . . كان الجيش والبوليس ونقابات العمال . . وشرائح من الطلبة . . فى يد مجلس قيادة الثورة . . . مع بقاء الثورة واستمرار مجلس الثورة فى أعماله .

ونفث محمد نجيب دخان غليونه . . ونظر بعيون ملتهبة إلى الضباط الذين حوله . . وأدرك أن كل شيء قد انتهى . . وأن عليه أن يترك المسرح السياسى . . فان جماهير المسرح قد رفضت دور البطل . . ولكن اليوزباشى محمد رياض أسر فى أذنه بالموعد الليلى مع الملك سعود .

حقاً . . ربما استطاع أن يعقد هدنة مع هؤلاء الشبان . .

هدنة يستطيع خلالها أن يجمع الشتات ويلم الشمل وينهض من جديد . . وعندئذ سوف يضرب بقوة وقسوة . . ولن يكون الرجل الطيب أبداً .

وبهذا الأمل المحفوف بالمخاطر ذهب اللواء نجيب إلى الملك سعود مساء يوم ٢٨ مارس .. وكان الملك قد أجل سفره من أجل هذا اللقاء .. وحضر نجيب وجمال عبد الناصر وعبد الحكيم عامر والدكتور عبد الرازق السنهوري وعبد الرحمن عزام وحسن بغدادى . . ودفع جمال عبد الناصر بأوراقه على المائدة . . وذهل نجيب .

لم يعد هناك أمل على الإطلاق .

وطلب نجيب أن يستقيل على الفور . . لقد خذلته كل قوى الشعب : الجيش . . والنقابات . . والبوليس . . والناس . . كل الناس . . ورفض جمال عبد الناصر استقالة نجيب . . واستمر الإجتماع فيما بعد فى مجلس قيادة الثورة . . ورأى نجيب كل الوجوه . . ، ورأوا هم فيه الرجل الذى أحبوه . . ورفعوه . . وأنكروا ذاتهم من أجله . . وأحس الرجل . . أن بينهم حواجز . . وحواجز تمنع اللقاء .

وتهاوى محمد نجيب .

وصكت أذنيه أصوات الهتافات صاخبة تخترق النوافذ والجدران : تحيا الثورة .

وأعلن صلاح سالم بصفته وزيراً للإرشاد القومى فى مساء نفس اليوم .. يوم ٢٩ مارس ١٩٥٤ إرجاء تنفيذ قرارات ٥ و٢٥ مارس سنة ١٩٥٤ .

وفهمت الجماهير ما تعنيه كلمة « إرجاء تنفيذ القرارات » . . كانت تعنى « إلغاء » .

ولسنا بصدد تفاصيل أخرى عن أزمة مارس . . فلا داعى لأن نذكر أن نجيب قد اعتكف بعد ذلك . . ثم استقال .. أو أقيل . . وتولى جمال عبد الناصر رئاسة مجلس الوزراء وقيادة الثورة . . ثم انتخب رئيساً للجمهورية عدة مرات . . وبدأت الثورة تشق طريقها . . كانت هناك انتصارات . . وفى الطريق كانت تتخلف أخطاء . . وكانت الأخطاء تتراكم .. وفى بعض الأحيان كانت هذه الأخطاء تتضخم وتعرقل مسيرة الثورة . . وتسد طريقها . . كما حدث وكما يحدث فى كل ثورة .

ويقولون أن أزمة مارس كانت هى بداية الأخطاء . . وكانت صراعاً على السلطة بين نجيب وجمال عبد الناصر .

ويتكلم الصامتون عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم . . ويقولون إنها كانت صراعاً بين الديمقراطية والدكتاتورية . . فأين كانوا هم . . وفى أى جانب كانوا يقفون؟

لنستمع أولا إلى هذا التحليل السياسى من كمال رفعت(١٩) عن أزمة مارس سنة ١٩٥٤ :

يقول كمال رفعت :

بادىء ذى بدء يجب الإدراك الواعى أن الثورة كانت تواجه فى أزمة مارس ثلاث معارك فى وقت واحد . . وتخوض الحرب فى هذه الميادين الثلاثة :

- معركة ضد الاحتلال البريطانى فى القناة .

- معركة ضد الإقطاع لفرض قانون الإصلاح الزراعى وضد أصحاب الشركات والمصانع الذين بدأوا فى مقاومة القوانين العمالية .

- معركة ضد الثورة المضادة التى كان واجهتها اللواء نجيب.

إن أحداث مارس ١٩٥٤ لم تكن وليدة الصدفة ، بل إن جذورها تمتد إلى وقت قيام الثورة فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢

والأحداث التي تلت ذلك من طرد الملك وإلغاء النظام الملكي وتصفية الأحزاب القديمة بعد وقوفها ضد الإجراءات الثورية التي اتخذتها الثورة ابتداء من إصدار قانون الإصلاح الزراعي الأول في ٩ سبتمبر سنة ١٩٥٢ أي بعد حوالي شهر ونصف فقط من قيامها . والبدء في معركة التحرير الوطنية للتخلص من الاحتلال البريطاني وارتباط قيادة الثورة بفكر ثوري لحل المشاكل التي كان يعاني منها المجتمع بصورة تختلف عن أساليب الفكر الإصلاحي الذي كانت تتبناه القوى السياسية التي كانت قائمة في ذلك الوقت وعلى رأسها حزب الوفد باعتباره الحزب الذي يمثل الأغلبية بما فيه الطليعة الوفدية التي كان يمثلها بعض شباب الحزب من ذوي الأفكار التقدمية والتي ساءها استعانة قيادة الحزب ببعض العناصر الاقطاعية والرأسمالية المعروفة واتخاذها موقف المهادنة مع الاستعمار والسراي .

إن هذا لا يعني التقليل من الدور الذي قام به حزب الوفد في الحركة الوطنية منذ ثورة سنة ١٩١٩ حتى قيام ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ . ولكنه لاشك لم يكن قادراً على تفهم الظروف الدولية الجديدة التي نشأت في أعقاب الحرب العالمية الثانية وتأثير ذلك على حركات التحرر الوطني في العالم ومدى ارتباط الثورة السياسية بالثورة الاجتماعية وارتباط أبعاد النضال الوطني بالبعد القومي

مما جعل من الصعب أن يلتقى الفكر الثورى بالفكر الإصلاحى.
بل إن اعتناق بعض عناصر الثورة ذاتها أساليب الفكر الإصلاحى هو الذى أدى إلى بعض التناقضات فى داخل الثورة نفسها لأن هذه العناصر لم تكن تعى معنى أو أبعاد الفكر الثورى الذى كان يتبناه جمال عبد الناصر . بل أكثر من ذلك فإن بعض عناصر الثورة كانت تتبنى الفكر الانقلابى الذى لم يكن يهدف إلا إلى إحداث تغيير فى وجوه الطبقات الحاكمة مع الإبقاء على أسس النظام القديم بأبعاده الاقتصادية والاجتماعية والسياسية .

ومن هنا تميزت الفترة الأولى من قيام الثورة حتى أواخر عام ١٩٥٤ بكثير من التناقضات فسرها البعض أنها كانت صراعاً على السلطة أو كانت صراعاً بين الديكتاتورية والديمقراطية دون وضع أى اعتبار للظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية الداخلية والخارجية التى كانت تمر بها البلاد فى هذه الفترة. وخصوصاً أن قوات الاحتلال البريطانى كانت ما زالت موجودة فى منطقة القنال ، وما تمثله من عوامل ضغط بطريق مباشر أو غير مباشر على الحياة السياسية فى البلد ، ومحاولات الطبقة البرجوازية توجيه طاقات الجماهير إلى قضايا فرعية دون التطرق إلى القضايا الأساسية التى قامت من أجلها الثورة والتى عبرت عنها بالمبادىء الستة المعروفة .

ولقد كان أول صدام مع الأحزاب حول قانون الإصلاح الزراعى الذى رفضته كل الأحزاب البرجوازية مجتمعة من الإخوان المسلمين حتى الوفديين .

ومنذ ذلك الوقت كان يتضح بصورة مستمرة لقيادة الثورة أنها أمام أشكال من التنظيمات الجماهيرية تسيطر عليها قيادات غير ثورية . . كما كانت بعض التيـــارات داخل بعض التنظيمات الشيوعية متأثرة بمفاهيم يسارية خاطئة عن دور الجيش كسلاح فى يد الرجعية ، وبمفاهيم خاطئة عن الدولة والثورة جعلتهم يقررون منذ البداية أن ثورة الجيش لا يمكن إلا أن تكون انقلاباً لصالح الرجعية والاستعمار . وعجزهم عن فهم دور الجيش والضباط الوطنيين فى بلد كمصر لجيشها تراث طويل فى كفاح الاستعمار كان أقربها الثورة العرابية . كما كان موقف بعض الشيوعيين الذين عارضوا الثورة إنما كان نابعاً من مفهوم متخلف عن الثـــورة الوطنية . فقد كانوا ينظرون إلى إجراءات الثورة الاقتصادية كتدعيم للبرجوازية وبناء احتكاراتها فى الوقت الذى كانت فيه هذه الإجراءات بالذات هى التى تصفى الهيكل الرأسمالى للاقتصاد المصرى من أساسه .. أى أنه ليس من الضرورى فى مفهوم الثورة الوطنية التقليدية استمرار حكم البرجوازية وتحكم رأس المال ليكون ذلك بداية مرحلة كفاح من أجل الثورة الاشتراكية .

لقد كان الواقع فى مصر – فى ذلك الوقت – يطرح أسئلة لم يكن من الممكن أن يوجد الرد عليها فى الكتب .

وقد برز خلال أزمة مارس سنة ١٩٥٤ ثلاثة محاور رئيسية شكلت عناصر الصراع وهى :

● مجلس قيادة الثورة الذى كانت تدور داخله بعض الصراعات الثانوية انعكاساً لما يجرى فى المجتمع أو نتيجة تباين الانتماءات الفكرية لبعض أعضائه . إلا أن قيادة عبد الناصر للمجلس جعلته يتخذ موقفاً موحداً .

● قوى الأحزاب والجماعات السياسية التى كانت قائمة قبل يوليو سنة ١٩٥٢ والتى كانت قد وقعت – خصوصاً بعد الحرب العالمية الثانية – تحت سيطرة قيادات متهادنة أو متعاونة مع الاستعمار والرجعية بحيث كانت تنعزل تدريجياً عن الحركة الثورية لقاعدتها ، ولم تستطع أن تطور مبادئها وأهدافها بما يتلاءم والظروف الجديدة التى نشأت عن قيام الثورة .. وكانت تستخدم آخر ما تبقى فيها من قدرة على الحركة وجذب الجماهير إلى الشعارات القديمة التى تعودتها فى كفاحها ضد الكبت الرجعى . . وقد وجدت هذه القوى أن الفرصة أصبحت سانحة لاستغلال الخلاف بين محمد نجيب الذى يمثل اتجاهاً

يمينيا وبين عبد الناصر الذى يمثل الفكر الثورى داخل مجلس قيادة الثورة .

● الرئيس السابق محمد نجيب الذى كان قائماً فى أول الأمر بالدور الذى يقوم به ، وساهم فى كثير من الإجراءات التى اتخذتها الثورة لتصفية الإقطاع والنظام الحزبى القديم والتصديق على كثير من الإجراءات الاستثنائية التى اتخذت فى ذلك الوقت .. وحينما استشعر قوته أراد أن يتخلص من مجلس قيادة الثورة مفتعلا الأزمات المختلفة لينفرد بالسلطة رافعاً نفس الشعارات التى كانت ترفعها الأحزاب القديمة .. وأصبح فجأة من أكبر المدافعين عن الحرية والديمقراطية بعد أن كان قد وافق على إرجائها لمدة ثلاث سنوات فى يناير سنة ١٩٥٣ . وكان يرى أن عودة الديمقراطية الليبرالية تمكنه من أن يحظى بتأييد كافة قوى العهد القديم ويظل رئيساً للجمهورية لأى عدد من السنين .

ودون دخول فى تفاصيل الأحداث التى ارتبطت بهذه الأزمة فقد استمرت أزمة مارس من يوم ٢٣ فبراير سنة ١٩٥٤ حينما قدم محمد نجيب استقالته بهدف إحراج مجلس قيادة الثورة معتمداً فى ذلك على تأييد قوى العهد القديم ، حتى صدور قرار مجلس قيادة الثورة فى ٢٩ مارس سنة ١٩٥٤ بإرجاء تنفيذ القرارات التى

صدرت فى ٥ مارس ، ٢٥ مارس ١٩٥٤ وقرار بتشكيل مجلس وطنى استشارى وقرارات يوم ١٥ ابريل الخاصة بتصفية القوى البرجوازية المضادة، وخاصة قرار حل مجلس نقابة الصحفيين الذى ثبت أن سبعة من أعضائه الاثنى عشر كانوا يتقاضون مبالغ جسيمة من المصروفات السرية وكان حتى ذلك الوقت يجمع بين أصحاب الصحف والعاملين بها .

وقد اتسمت هذه الفترة بالشد والجذب بين أطراف الصراع ولكنها انتهت بتصفية قوى الثورة المضادة . . وقد كانت إقالة محمد نجيب بعد ذلك ، التى بدت فى أعين الكثيرين أنها حركة معادية للديمقراطية كانت فى حقيقتها تخلصاً من جناح رجعى فى قيادة الثورة . . وكان نجاح هذا الجناح فى الاحتفاظ بمواقعه كفيلا بتصفية الثورة ودفعها فى طريق التهادن مع الاستعمار والرجعية . . لقد ظهر على طرق مسار الثورة أن قيادتها الثورية كانت أكثر تقدماً من تنظيماتها الجماهيرية . . وأنه لو لم تكن الثورة على قدر كبير من المركزية ، لا تسمح للتيارات المختلفة داخلها بالحركة المستقلة خارجها ، بل يقتصر نشاطها على الصراع الداخلى فى قوة السلطة، لكانت فرصة الأجنحة اليمينية فيها أكثر على إعاقة حركة الثورة وحرمانها من مضمونها الاجتماعى الذى كان يتحرك فى اتجاه الاشتراكية .

هذه هى حقيقة أزمة مارس سنة ١٩٥٤ التى كانت صراعاً بين الجديد والقديم .. بين الثورة والثورة المضادة والتى انتهت بهزيمة لقوى الثورة المضادة .

* * *

إن كثيراً من الكتب والمقالات والتصريحات قد صدرت فى الآونة الأخيرة .. وما زالت تصدر تحمل معنى واحداً .. أن أزمة مارس كانت هى البداية .. بداية القضاء على الديمقراطية .. كأن الاقطاع والرأسمالية والمفن السياسى .. والمؤامرات الحزبية .. والسيطرة الاستعمارية .. وحكم القصر والسفارة البريطانية .. كأن هذه التشكيلة الغريبة هى مقومات الديمقراطية .. وأن خلاصة هذه التشكيلة قد استوعبها اللواء محمد نجيب .. فأصبح هو ممثل الديمقراطية والديمقراطيين .. بينما كان جمال عبد الناصر ممثل الديكتاتورية والديكتاتوريين .. وهذه معان ساذجة تنحدر إليها بعض الكتب والمقالات .

يقول زكريا محى الدين(٢٠) :

أحداث مارس ١٩٥٤ لم تكن صراعاً بين نجيب وجمال عبد الناصر ولا بين الديمقراطية والفاشية .. انما كانت صراعاً بين

القديم والجديد . . ، بين القديم الذى يتشبث بموقعه والجديد الذى انتزع له مكاناً بإرادته وثوريته . صراع بين الذين غربت عنهم الشمس . . والذين تشرق عليهم شمس يوم جديد .

ونقطة الصراع بين الأجيال . . وبين القديم والجديد . . كانت أيضاً فى ذهن الرئيس أنور السادات . . فيذكر الرئيس السادات(٢١) أن جمال عبد الناصر رئيس الهيئة التأسيسية للضباط الأحرار . . كان من رأيه أن يقود الثورة ضابط يحمل رتبة كبيرة من رتب الجيش . . إلا أن الرئيس السادات عارض هذا القرار على أساس أن القائد الكبير سوف يكون من جيل غير جيل الضباط الأحرار ، وعلى ذلك فسوف يكون تفكيره مخالفاً تماماً لما يمثله الضباط الأحرار بقيادة الهيئة التأسيسية ، ولذلك فإنه يخشى على الثورة من الصراع الذى يمكن أن يقع بين قائدها وبين أعضاء الهيئة .

ولكن عبد الناصر — كما يقول على حمدى الجمال استناداً بلا شك إلى وثائق الثورة المودعة فى لجنة إعادة التاريخ — « أصر على اختيار ضابط كبير يتخذ كواجهة للثورة يمكن أن تكون مقبولة من جماهير الشعب . . »

* * *

إن الصامتين يقولون ويعيدون فى أحداث مارس .. وخاصة فيما يختص بعمال النقل المشترك .. والثمن الذى تقاضاه الصاوى أحمد صاوى رئيس اتحاد عمال النقل المشترك ليقوم بالإضراب ظهر يوم ٢٧ مارس ١٩٥٤ .. ويقولون أن هذا الإضراب الذى كان ثمنه أربعة آلاف جنيه .. هو الذى حسم الموقف كله .

« انتصر عبد الناصر على نجيب هذه المرة .. وكان ثمن انتصاره ٤ آلاف جنيه دفعها إلى صاوى أحمد صاوى رئيس اتحاد عمال النقل .. »

فهل كان ثمن هذا الانتصار – كما يقول الصامتون الذين تكلموا عبد اللطيف البغدادى ، كمال الدين حسين ، حسن ابراهيم – الأربعة آلاف جنيه التى دفعت إلى الصاوى أحمد صاوى رئيس اتحاد عمال النقل المشترك .. ؟

وهل كانت حركة عمال النقل المشترك هى العامل الحاسم فى دفع الأحداث إلى شاطىء مجلس قيادة الثورة .. ولصالحه .. ؟

وفى البداية لابد أن نسأل : هل كانت حركة إضرابات العمال فى مارس .. حركة بروليتارية قادتها الطبقة العاملة بوعى كامل بالظروف التاريخية التى تمر بها البلاد والمجتمع .. ؟ أم كانت

حركة فوقية . . جاءت من أعلى . . وتلقت أوامرها من الضباط . . والدفع مقابل التنفيذ ؟ !

فى البـــداية لابد أن نعرف كيف تمت حركة الإضراب والاعتصام .

كانت قد صدرت قرارات ٢٥ مارس . . وكانت قوى الثورة المضادة تتحرك كلها تحت قيادة اللواء محمد نجيب تحت شعار عودة الحياة الديمقراطية . . ، وفى اليوم التالى ٢٦ مارس سنة ١٩٥٤ وكان يوم جمعة . . عرف جمال عبد الناصر أن القوى المضادة لم تكتف بهذه القرارات . . انما قررت تنفيذ خطة للإجهاز على مجلس قيادة الثورة قبل ٢٤ يوليو . . وهو الموعد المحدد لانسحاب مجلس قيادة الثورة وانتخاب الجمعية التأسيسية . . كانت القوى المضادة فى عجلة من أمرها . . تريد الاستيلاء على السلطة فوراً . . وبأقصر طريق

ومن خلال المنظمات التقليدية للقوى المضادة كنقابة المحامين التى كانت — فى الماضى — معقل الأحزاب . . وخاصة الوفد . . ونقابة الصحفيين . . وغـــيرهما من النقابات المهنية اتفق على القيام بإضراب شامل يوم الأحد الموافق ٢٨ مارس ١٩٥٤ .

فبعد صلاة الجمعة يوم ٢٦ مارس .. اجتمع مجلس نقابة المحامين برئاسة عمر عمر نقيب المحامين .. وهو من أقطاب الوفد .. وقرر الإضراب يوم ٢٨ مارس احتجاجاً على عدم الإفراج عن المعتقلين . وكان النحاس (باشا) ما تزال إقامته محددة .. كما كان رشاد مهنا وأحمد حسين فى المعتقل .. ثم لم يكتف عمر عمر بهذا .. بل دعا إلى اجتماع جمعية عمومية فى المساء وقد قررت هذه الجمعية تشكيل حكومة مدنية محايدة لتجرى الانتخابات.. متى ..؟ فى ٢٤ يوليو! أى بعد أكثر من ثلاثة أشهر ..!! وفى الوقت نفسه كان مجلس نقـــابة الصحفيين — الذى ثبت فيما بعد أن ٨٠٪ من أعضائه قد تقاضوا مصروفات سرية من مختلف العهود — يطلب إلغاء الحكم العرفى فوراً وتشكيل وزارة قومية .

وفى الصباح من نفس اليوم .. كان الصاوى أحمد صاوى رئيس اتحاد عمال النقل المشترك ومحمدى عبد القادر فى بيت أحد الشخصيات الوفدية .. وقد قدم لهما ٦ آلاف جنيه مقـــابل الاشتراك فى الإضراب المحدد له يوم ٢٨ مارس . تضامناً مع المحامين .

ونظراً لأن الاتجاه العام كان ضد مجلس قيادة الثورة .. فان

إعلان الإضراب يوم ٢٨ مارس . . لن يؤثر فى شىء . . ولن يتبادر إلى ذهن أحد أن هذا الإضراب قد دفع ثمنه .

وكان على القيادات الماركسية أن تتصل برجالها لتأييد هذا الإضراب . . ومن هنا يمكن أن نجد تفسيراً لموقف بعض عمال الترام . . فعلى الرغم من اعتصام زكى مخيمر رئيس اتحاد عمال الترام ضمن المعتصمين تأييداً لبقاء الثورة فإن محمود فرغلى سكرتير الاتحاد ، الماركسى . . كان يدعو العمال إلى الاستمرار فى العمل . . كذلك فان عمال النسيج لم يكن ثمة أمل منهم . . فقد ا قادوا تماماً إلى فكرة تصفية مجلس قيادة الثورة وعودة الحياة النيابية . . وكان رئيس اتحاد النسيج أحمد اليامانى ونائبه محمد شعراوى يقومان بتوعية العمال للاستعداد لإضراب يوم ٢٨ مارس تأييداً لتصفية الثورة .

أما موقف الإخوان المسلمين . . فقد كان على النقيض تماماً . . كانوا ضد عودة الحياة النيابية بوجهها الحزبى . . كان مجلس قيادة الثورة قد أخلى الساحة السياسية من خصومهم . . وكان هناك أمل فى أن يعودوا إلى ممارسة نشاطهم . . وأن ينفردوا . . ثم . . ثم أن يشاركوا فى الحكم .

ولذا فبمجرد أن عرف جمال عبد الناصر أنهم رفضوا

التعاون مع القوى الأخرى . . أفرج عن مرشدهم الذى أعلن على الفور « أن الجماعة أصبحت أقوى مما كانت . . »

فالإخوان كانوا القوى الوحيدة المنظمة التى رفضت أن تقف مع قوى الثورة المضادة . ليس بسبب أيديولوجى . . أو مبدأ . . انما بسبب انتهازى . . ولادراك الجماعة أنها يمكن أن تحصل على الكثير لو كانت على الحياد بين الجانبين .

هذه الصورة تكاملت عند جمال عبد الناصر فى الساعات الأولى من صباح يوم الجمعة ٢٦ مارس سنة ١٩٥٤ . . فدعا إلى اجتماع فى بيته . . وتحول هذا البيت إلى قيادة حركة مارس .

كان التسليم بالواقع وبما تريد أن تفرضه القوى المضادة يعنى الهزيمة تماماً . . ولم يكن الرجال الذين خرجوا فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ ليقبلوا هذا الحل . . أو هذه النهاية التعسة . بالنسبة لأهدافهم . . وبالنسبة للآمال التى كانت تعقدها الأمة عليهم . . لذا فقد قرر جمال عبد الناصر جذب الخيوط . . وانتهى إلى أنه من الضرورى أن يلعب بالأوراق التى فى حوزته . . وسرعان ما تلقى من عبد الحكيم إشارة البدء . . أى أن أسلحة الجيش المختلفة سوف تجتمع فى صباح اليوم التالى لتقرر بقاء مجلس قيادة الثورة وتحميله المسئولية فى حالة عدم انصياعه للنداء .

لقد كانت الفترة التى قضاها عبد الحكيم عامر قائداً عاماً للجيش من ١٨ يونيو سنة ١٩٥٣ حتى الآن (مارس ١٩٥٤) وتولى عبداللطيف البغدادى منصب وزير الحربية والبحرية فى نفس الفترة . هذه الفترة كادت أن تمكنى لضمان تأييد أسلحة الجيش المختلفة . . وفى الوقت نفسه تهيأ لعبد الحكيم عامر وبغدادى للضرب بشدة على العناصر المناوئة للثورة . . فخلا الجو تماماً لمجلس قيادة الثورة . . لقد استفاد جمال عبد الناصر من هذه الفترة تماماً فى الوقت الذى فشل فيه خصومه فى تنظيم أنفسهم معتمدين على قواهم التقليدية . . وهذا مبعث المرارة التى يكتب بها ضابط مخلص كأحمد حمروش فينقد نجيب(٢٢) ، استمر محمد نجيب على أسلوبه لا يقيم صلات تنظيمية مع الضباط الموالين له ولا يخطط معهم حركة ما للمستقبل ، ولا يربط نفسه بحزب أو قوة سياسية معينة اعتماداً منه على تأييد (كل) الجماهير . . هذا بينما اعتمد مجلس قيادة الثورة على أسلوب آخر ، هو الاعتماد على القوات المسلحة التى كان قادة وحداتها قد عينوا بأمر عبد الحكيم عامر . . ،

لقد قامت ثورة ٢٣ يوليو بطليعة من الجيش فاستمرارها مرهون بقوة الجيش . . ومن الطبيعى أن يكون اعتمادها الأكبر عليه .

فالقوة الضاربة لمجلس قيادة الثورة . . كانت الجيش . . وكان الجيش قد أصبح فى يد المجلس تقريباً . . ولكن رجلا طموحاً مثل الصاغ عبدالله - طعيمة وهو الذى أوكل إليه أمر العمال فى هيئة التحرير - رأى أن الشكل الديمقراطى لبقاء مجلس قيادة الثورة لا بد أن يتكامل ولن يتم ذلك إلا بالشعب . . ويكفى فى هذا المجال أن تتحرك المنظمات القوية كالنقابات لإثبات وجودها مع الجيش إلى جانب مجلس قيادة الثورة . . من هنا فقد تحرك واستدعى القيادات العمالية إلى مكتبه فى هيئة التحرير التى كانت قد أخذت مكانها فى ثكنات الحرس الملكى بميدان عابدين . . وكان ينظر إلى هيئـــة التحرير فى ذلك الوقت كحزب الثورة . . وكبديل للأحزاب . . فالذين كانوا يذهبون إلى هناك والذين ارتبطوا بهيئة التحرير كان مفهوماً أنهم إلى جانب مجلس قيادة الثورة . . سواء عن رضى واقتناع، أو انتهازية . . أو عن تهديد وإرهاب .

من هذا المنطلق وجه الصاغ طعيمة دعوته السريعة للقيادات العمالية للاجتماع به . . وحضر عندئذ :

١ - كامل العقيلى . . وهو رئيس نقابة عمال التاكسى وقتذاك وكانت من أكبر التجمعات العمالية وتضم أكثر من ١٤ ألف عضو .

٢ — يحيى ابراهيم . . رئيس نقابة عمال الطيران .

٣ — زكي مخيمر . . رئيس نقابة عمال الترام .

٤ — سيد خلاف . . رئيس نقابة عمال المحال التجارية .

اجتمع هؤلاء الأربعة بأحمد طعيمة والطحاوى . . وكانت الثورة قد أصدرت قانوناً بمنع الفصل التعسفي للنقابيين . . وكانت بسبيلها لإصدار قوانين أخرى استجابة لمطالب العمال . . وكان أهمها عقد مؤتمر لنقابات العمال لتكوين اتحاد للعمال .

ويقول كامل العقيلي(٢٣) أنهم تداولوا فى المكاسب التى أحرزها العمال والآمال المعقودة على استمرار الثورة . . وغذى هذه الآمال ما كان يقوله أحمد طعيمة بين الحين والآخر . . إنها ثورة عمال وفلاحين (٢٤) . وفى الوقت نفسه فقد جاء محمد أحمد ووفاء حجازى وعرضا على المجتمعين تسجيلا تم بين اللواء نجيب والسيدة زينب الوكيل . . يقول فيه نجيب بعد سؤاله عن صحة الزعيم مصطفى النحاس . . يقول إنه مستعد لأن يفعل كل شيء للوفد . . وللنحاس باشا . . بشرط أن يظل رئيساً للجمهورية .

وكان فى ذهن قادة العمال معارضة الوفد والأحزاب الأخرى لقانون الإصلاح الزراعى . . ورأوا فى هذا التسجيل تأكيداً

لمعاداة الوفد لأى إصلاح لحال العمال لأنه ما دام معترضاً على قانون الإصلاح الزراعى ، فمن باب أولى أن يعترض على حقوق العمال ، هذا بالإضافة إلى أنه كان فى أيديهم شىء قد تحقق بالفعل وهو قانون منع الفصل التعسفى للنقابيين(٢٠) ولذا فقد قرروا الحيلولة دون تصفية الثورة .. وقالوا : ليس أمامنا إلا الاضراب والاعتصام حتى تلغى قرارات ٥ و ٢٥ مارس وتبقى الثورة .

وهنا اتصل طعيمة بجمال عبد الناصر فى بيته وأبلغه بما تم عليه الاتفاق . . وعارض ناصر الفكرة كما يقول الدكتور عبد العظيم رمضان استناداً إلى أقوال بعض قادة العمال . . وقال لطعيمه أن يبلغ القيادات العمالية بألا تقدم على شىء . . « لأن محمد نجيب فى أوج مجده وسيشنقكم جميعاً فى ميدان التحرير دون أن أستطيع أن أعمل لكم شيئاً » .

وفى تقديرنا أن جمال عبد الناصر قد اعترض لسببين :

أولهما : أنه كان لا يثق تماماً بجدوى هذه العملية . . لأنه كان يعلم أن الحركة العمالية مقسمة فى هذا الأمر . . وأن فرص النجاح ضئيلة . . فآثر ألا تغامر هذه القيادات .

ثانيهما : أنه كان قد تأكد — فى هذه اللحظة — أن القوات

قد أصبحت فى يده . . وبها يستطيع أن يفرض رأيه دونما حاجة إلى الزج بشرائح من الطبقة العاملة فى هذا الصراع .

على أن لهذا الاعتراض وجهاً آخر لا يجب إغفاله . . وهو القدرة الخارقة لجمال عبد الناصر على المناورة . . إذ من المحتمل أن يكون قد اعترض بدافع التعزيز . . أو تظاهراً باليأس . . بحيث يدفعهم إلى التمسك بما يعرضونه على ما فيه من مخاطر غير مأمونة . . !!

ومن هنا فمن غير المعقول أن يقدم الصاغ طعيمة فى هذا الوقت رشوة للقيادات العمالية لتنفيذ ما اتفق عليه . .

وقد ألححت فى التركيز على هذه النقطة مع كامل العقيلى ولكنه أصر على النفى . . نفى عرض مبالغ على قادة الحركة العمالية .

وقد ذهب بالفعل كل من كامل العقيلى ، وسيد خلاف وزكى مخيمر إلى جراج بولاق الذى كان يموج بالاضطراب فى ذلك اليوم نظراً لأن امتياز الأتوبيس كان قد آل إلى من يدعى مينا ، وأصر على نقل الجراج إلى مصر القديمة وعارض العمال ذلك . . وهنا وصل قادة العمال الثلاثة وأخطروا الصاوى بالقرار . .

ويتزعمه الحركة واختيار دار الاتحاد مقراً للاعتصام فوافق . .
وتوجه الجميع إلى دار الاتحاد حيث بدأ الاعتصام من الساعة
السابعة والنصف مساء ٢٦ مارس سنة ١٩٥٤ (٢٦) » .

وقد أضاف كامل العقيلي . . أن طعيمة استحضر حماد مدير
الإذاعة . . وجرى التنسيق على أن تتولى الإذاعة إعلان قرارات
الاضراب » . كما اتفق على أن تذيع فى صباح اليوم التالى (٣/٢٧)
قراراً بأن عمال المحلة قد أضربوا . . وعندئذ يضرب عمال كفر
الدوار قبل أن يبدأوا وردية الصباح الأولى .

ولكن لماذا اختير الصاوى أحمد صاوى بالذات زعيماً للحركة
الإضراب . . ولم يكن بالشخصية النقابية اللامعة . . بل كان من
العناصر المشكوك فى أمرها . . والتى ثبت تعاونها مع القوى المضادة
لمجلس قيادة الثورة قبل حركة الإضراب . . بل ثبت أنه وزميله
محمدى عبد القادر تقاضيا مبالغ من الوفد للتضامن مع المحامين
وغيرهم ضد مجلس قيادة الثورة .

يفسر هذه النقطة كامل العقيلي بقوله : لقد اخترنا الصاوى
ودار اتحاد النقل المشترك لأكثر من سبب :

١ — لأن الصاوى كان يحب الزعامة فأعطيناها له وجعلناه ينطق
باسم الحركة العمالية .

٢ — أنه لم يكن من الشخصيات الموثوق بها للسير فى الطريق حتى نهايته . . ولذا فقد كان لابد أن يكون بيننا لمحاصرته . . ومنعه من الانضمام للقوى المضادة .

٣ — أن دار اتحاد النقل المشترك كانت تضم فى الوقت نفسه نقابة عمال المحلات التجارية . . وكانت نقابة كبيرة . . وهذا ماكان يعطى للحركة التأثير المطلوب .

وقد سارت الخطة فى خطوات التنفيذ دون أدنى تعثر .

وفى صباح يوم ٢٧ مارس — وكان يوم سبت ويمثل بداية أسبوع العمل — إذا بالعاصمة وبعض المدن الكبرى تصاب بالشلل التام وقد دعم هذا من موقف قواد الأسلحة الموالين لمجلس قيادة الثورة . . وكانوا قد تجمعوا منذ الصباح الباكر وتداولوا فى الموقف ، ورأوا أن موقفهم المسبق بتأييد مجلس قيادة الثورة وعدم تصفيتها، له صدى عميق لدى جماهير الشعب . فخطوا الخطوة التى لابد منها وأعلنوا أن الثورة مهددة بالانحلال إذا نفذت قرارات ٥ و ٢٥ مارس ، وأن البلاد ستعود إلى الفوضى وإلى نفس الأحزاب المنحلة . . فأصدروا قرارات إجماعية — كانوا قد توصلوا إلى صياغتها فى الليلة السابقة — بإلغاء قرارات ٥ و ٢٥ مارس وعززوا ذلك بقرار الاعتصام فى الشكنات إلى أن تلغى

هذه القرارات . . وحملوا مجلس قيادة الثورة مسئولية ما يقع من حوادث .

ويرى المؤرخ عبد الرحمن الرافعي أن « قرارات وحدات الجيش فى ٢٧ مارس ثورة على قرارات ٥ و ٢٥ مارس ، ورأى ضباط الجيش أن هذه الثورة استمرار لثورة الجيش نفسه فى ٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . . »

وفى صباح ذلك اليوم بذلت محاولات يائسة من الوفد ونجيب لشق وحدة العمال وإفشال إضرابهم . . فذهب عمر عمر نقيب المحامين . . بصحبة اليوزباشى محمد رياض(٢٦) إلى اتحاد عمال النقل بأرض شريف وقابلوا أحد قادة الأحزاب . . . وطلبوا أن يتحدثوا معه على انفراد . . وعندئذ عرضنا عليه أن يرتدى ملابسه —وكان القادة يرتدون البيجامات— ويخرج معهما فقط لإشارة إلى انتهاء الإضراب مقـــابل ٣٠ ألف جنيه وتذكرتين بالطائرة له ولزوجته إلى أية دولة أوربية إلى حين ينجلى الموقف . . وقد رفض هذا القائد العمالى . . ولم يكن فى جيبه عندئذ سوى ٣٠ قرشاً . . ولست فى حل من ذكر اسمه !

هذا وقد نجحت حركة اعتصام ضباط الجيش فى الشكنات كما نجحت حركة إضراب العمال .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو : هل تقاضى الصاوى وزملاؤه أموالا مقابل القيام بهذا الإضراب ؟ !

والجواب القاطع بالنفى .

صحيح أنه يمكن القول أنهم قد أخذوا أموالا بعد نجاح الخطة . . وقد قدمت الأموال على سبيل الهدايا . . وإذا كانت من جانب طعيمة تعنى « الثمن » . . فهى لا يمكن أن ترقى إلى مرتبة الرشوة . . ، . . لأن الرشوة عملية يتوقف عليها نجاح فعل غير مشروع . . فالفعل هنا قد ينجح وقد يفشل . . ونجاحه قد يساعد على تدعيم بقاء مجلس قيادة الثورة . ولكنه لا ينشىء هذا النجاح من العدم . . فعناصر النجاح متوافرة بفضل ضباط الجيش الذين وقفوا وراء الطليعة التى قامت بالثورة . . ثم واصلوا تدعيمهم للثورة على مواصلة مسيرتها فى أحداث مارس .. كذلك فان فشل إضراب العمال لم يكن سيؤدى إلى فشل استمرار مجلس قيادة الثورة فى تولى مسئولياته . . فان سقوط قرارات ٥ و ٢٥ مارس . . كانت قد حسمت نهائياً فى اجتماع عبد الناصر فى بيته مساء يوم ٢٦ مارس ١٩٥٤ . . وهو الاجتماع الذى أعطى فيه عبد الناصر لعبد الحكيم عامر إشارة الضوء الأخضر لتحرك قواته لدعم مجلس قيادة الثورة .

من هنا فلم يكن قادة العمال فى وضع القوة الوحيدة أو المؤثرة التى تجعل رشوتهم مغامرة لا مناص منها .

وكانت عملية الاستعانه بهم بطريقه تطوعية هى الشكل الوحيد والملائم للاشتراك فى دعم الحركة التى كانت تتفق مع بعض الوجوه فى تحقيق مصالحهم .

ثم إن الطبقة العاملة على وعى كامل بالظروف التى كانت تحيط بهم . . . ، ولم يكن من السهل فى ظل هذه الظروف تقديم رشوة لقيادة عمالية خرجت من صفوف الطبقة العاملة إلى مراكز القيادة العمالية عن طريق الانتخاب . . إذ لم يكن قد استخدم بعد أسلوب تخريب الضمائر والذمم للقيادات العمالية .

ويصر كامل العقيلى إصراراً ليس للشك من سبيل إلى تكذيبه على أن قادة الإضراب لم «يقبضوا» قبل الإضراب . . ونحن نطمئن تماماً إلى هذا . . وبخاصة أن استقراء الحوادث يوصلنا إلى نفس النتيجة .

ونصل الآن إلى الفصل الأخير من قصة مارس . . وهو وعى الطبقة العاملة . . وسقوط البرجوازية ونجاح مجلس قيادة الثورة فى البقاء .

هل كان هذا العمل تقدمياً فى جوهره . . ؟ بمعنى : هل كان

يستحق هذه المخاطرات فى مجال أسلحة الجيش .. وفى التنظيمات العمالية .. وفى ضرب الأصوات التى ارتفعت تنادى بالحياة النيابية والدستور .. وفى القضاء على الأحزاب .. وإهدار كرامة رجال القضاء (مجلس الدولة) ؟

والجواب : نعم .

هذا العمل كان تقدمياً فى جوهره .. لأنه كان يستهدف تجميع كل القوى لمواجهة المستعمر الرابض فى القناة .. والأشكال القديمة لحركة التجمع كانت تشل حركة المجتمع نحو تحقيق هذه الوحدة وتوجيهها إلى أهدافها .. والدليل هو أن الشكل القديم للمجتمع ظل سائداً طوال أكثر من نصف قرن .. ولم يتمكن - مع ذلك - من تحقيق مواجهة صريحة وجادة ونضالية لوجود المستعمر .. فكان لابد أن يتغير هذا الشكل .. ولابد أن يستبدل بشكل آخر أكثر تقدمية .. وهذا ما حدث .

وفى مسار الحركة الثورية لايمكن القول أن هـــذا قد أدى إلى « عسكرة المجتمع » .. وأن هذه العسكرة قد بذرت فى المجتمع بذور الفاشية العسكرية .. وأن حركة مارس - باعتمادها الرئيسى على ضباط الجيش - قد أوجدت تنافراً بين القيادة وبين الجماهير لفترة طويلة .. وانعكس هذا على القيادة الثورية حتى فى أنضج

مراحلها . . فهذه القيادة إن كانت وزعت على الشعب أكثر من نصف مليون قطعة سلاح لمواجهة المستعمر سنة ١٩٥٦ . . إلا أنها بخلت بهذه الثقة قبل وبعد هزيمة يونيو سنة ١٩٦٧ . . وقد انعكست هذه الثقة المفقودة على التنظيمات السياسية التى أقامتها هذه القيادة . . فلم يتهيأ لهذه التنظيمات فرصة للقيام بدورها أبداً لأنها — كما كانت حركة العمال فى مارس حركة فوقية — كانت حركة إقامة التنظيمات السياسية . . حركة فوقية .

صحيح أن النتائج مختلفة . . ولكن الأسلوب واحد . . ولو كانت الطبقة العاملة المصرية قد فرضت شروطها قبل خوض المعركة بصرف النظر عن قوة الطبقة أو تنظيمها . . وبصرف النظر أيضاً عن مدى تقبل القيادة وقتئذ لهذه المطالب لتغير الوضع.. وقد انتهت حركة الطبقة العاملة إلى أن تصبح حركة ذيلية . . هذا لا ينفى أن الثورة — حتى فى خطواتها الأولى — قد حققت للعمال إنجازات تقدمية أبعد من أحلام القادة النقابيين الماركسيين. ولا شك أن تأثير هــــذه الإنجازات كان مدمراً للنضال العمالى لأنه أصاب هذا النضال بالخمول والكسل وجعله يتوقف عند أبواب المناصب والمزايا الشخصية . . هذا ولم تستطع أية قيادة عمالية أن تفرض وجودها على الثورة أو حتى على مجلسها إثر انتصار مارس ١٩٥٤ . . ليكون هناك ألوان من المشاركة .. لماذا .. ؟

ألآن الساحة قد خلت من القادة النقابيين . . ؟ . . أعجزت الطبقة العاملة أن تقدم ، أو تدفع إلى المعركة بشهداء جدد . . ؟

أين كان النقابيون .. ؟ أكانوا فى السجون .. والمعتقلات .. ؟

على أن المحصلة النهائية لكل هذا قد تبلورت فى قيام الثورة بمسئولياتها . . وانفتح أمامها الطريق لتحقق أهدافها .

وكان مع الثورة . . ومع مجلسها . . ومع كل مواقفها السادة الصامتون : عبد اللطيف البغدادى ، كمال الدين حسين ، حسن ابراهيم .

ماذا كان موقفهم . . ؟ . . أكان مع الديمقراطية . . ؟ ولكن الديمقراطية ضد من . . وضد ماذا . . ؟

لقد شاركوا فى كل خطوة .. وأيدوا .. وكانوا على استعداد للدفاع المستميت عن مجلس قياده الثورة . . وعن الثورة . . ولكن كان هناك شىء واحد . . شىء واحد يضمهم حيث هم : هو أنهم كانوا أصغر من عبد الناصر فى كل شىء . . وقد أورثهم هذا الشعور أمراض لا حصر لها . . كان منها مرض : عدم الوفاء !

هوامش الفصل الأول

(١) يقول أرسكين تشيلدز فى «الطريق إلى السويس» أن حكومة الثورة مع التدابير التى اتخذتها استعداداً للمعركة مع الإنجليز قد وقفت من قضية القناة موقفاً ينطوى على رغبة فى التفاهم، ولكنه لم يكن مرضيا لبريطانيا، الأمر الذى جعل المفاوضات وكانت قد بدأت فى ٢٧ إبريل سنة ١٩٥٣، تتعـــثر ثم تنقطع فى ٨ مايو من نفس العام.. كان سبب إخفاق المفاوضات تمسك وفد مصر بتحقيق مطالبه التى كانت تدور حول:

١ — الجلاء التام عن منطقة القناة.

٢ — تسليم القاعدة العسكرية بمـــا فيها ووضعها تحت إشراف الحكومة المصرية.

وأسرعت قيادة الثورة بتنظيم المقاومة المسلحة فى منطقة القناة، وخطب عبد الناصر فى مركز هيئة التحرير الذى افتتح فى شبين الكوم فى تلك الفترة، فقال: على الاستعمار أن يحمل عصاه على كاهله ويرحل. إن الشعوب التى تساوم المستعمر على حريتها، توقع فى نفس الوقت وثيقة عبوديتها، لذلك فان أول أهدافنا الجلاء بدون قيد ولا شرط، فنحن

لا يحمل للعالم إلا المودة والإخاء . فمن كان أقرب لمصالحنا شددنا على يده ، ومن تجاهل حقوقنا فلن يكون له منا إلا معاملة بالمثل وبشكل أشد ، ومن الواضح أن هذه الخطابات لعبد الناصر لم تكن قد تأثرت بعد بالأفكار والمفاهيم والأساليب الهيكلية . . نسبة إلى محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام السابق . . ذلك المخلوق الذى قام بدور مخرب فى ثورة يوليو . . واستطاع أن يتوصل إلى كسب ثقة ناصر بدرجة سلبت الزعيم الكبير مقدرته الفريدة فى المبادرة الثورية . . والحكم على الأشخاص . . وتقييم الأعمال والأفعال . . هذا ولو كان هيكل قريباً من عبد الناصر سنة ١٩٥٦ . . قربه منه عام ١٩٦٧ لما تم تأميم قناة السويس . . ولخضع ناصر وانحنى لسادة هيكل الغربيين »

(٢) أقوال عدد من قادة العمال خلال هذه الفترة منهم كامل العقبلى ، فتحى كامل ، أحمد فرج فى ١٩٧٥/١٢/١٢ .

(٣) د . عبد العظيم رمضان — الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر — مكتبة مدبولى — القاهرة ١٩٧٥ ص ١١١ ، ١١٢ وملحق (١) رواية الصاوى أحمد صاوى عن أحداث أزمة مارس .

ويذكر كتاب « الصامتون يتكلمون » ص ٢٠ أنه قد دفع الصاوى أحمد صاوى مبلغ ٤ آلاف جنيه للقيام بالاضراب لصالح بقاء مجلس قيادة الثورة . وعندما أخذ عبد اللطيف البغدادى هذا على جمال

عبدالناصر قال له وما هو لازم ندفع لهم . لأن خالد محي الدين ويوسف صديق كانوا ح يدفعوا أيضاً لتحقيق غرضهم » .

ويتنى كال رفعت أن يكون قد عرض يوسف صديق على الصاوى أحمد صاوى مبلغ العشرة آلاف جنيه للقيام باضراب لصالح نجيب وضد مجلس قيادة الثورة لسبب بسيط .. هو أن يوسف صديق لم يكن موجوداً فى مصر فى ذلك الوقت . . فضلا على أنه نفى هذه الواقعة قبل وفاته بأسبوع واحد !

(٤) أحمد حمروش — قصة ثورة يوليو — الجزء الأول ص ٣٠٠ ومابعدها — بيروت ١٩٧٤ .

(٥) فيما يلى النص الكامل للبيان الذى كان قد أذاعه الصاغ صلاح سالم وزير الإرشاد :

« أيها المواطنون » . .

« لم يكن هدف الثورة التى حمل لواءها الجيش يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٢ أن يصل فرد أو أفراد إلى حكم أو سلطان أو أن يحصل كائن من كان على مغنم أو جاه ، بل يشهد الله أن هذه الثورة ماقامت إلا لتمكين المثل العليا فى البلاد بعد أن افتقدتها طويلا نتيجة عهود الفساد والانحلال .

لقد قامت فى وجه الثورة منذ اللحظة الأولى عقبات قاسية عولجت

بحزم دون نظر إلى مصلحة خاصة بفرد أو جماعة ، وبهذا توطدت واطرد تقدمها فى سبيل بلوغ غاياتها ..

ولاشك أنكم تقدرون خطورة ما أقيم فى وجه الثورة من صعاب، خاصة والبلاد ترزح تحت احتلال المستعمر الغاصب لجزء من أراضيها ، وكانت مهمة مجلس قيادة الثورة فى خلال هذه الفترة غاية فى القسوة والخطورة ، حمل أفراد المجلس تلك التبعة الملقاة على عاتقهم ورائدهم الوصول بأمتنا العزيزة إلى بر الأمان مهما كلفهم هذا من جهد وبذل . .

ومما زاد منذ اللحظة الأولى فى قسوة وخطورة هذه التبعة الملقاة على أعضاء مجلس قيادة الثورة أنهم كانوا قد قرروا وقت تدبيرهم وتحضيرهم للثورة فى الخفاء ، أن يقدموا للشعب قائداً للثورة من غير أعضاء مجلس قيادتهم وكلهم من الشبان ، واختاروا فعلا فيما بينهم اللواء الركن محمد نجيب ليكون قائداً للثورة ، وكان بعيداً عن صفوفهم وهذا أمر طبيعى للتفاوت الكبير بين رتبته ورتبهم ، وسنه وسنهم ، وكان رائدهم فى هذا الاختيار سمعته الحسنة الطيبة وعدم تلوثه بفساد قادة ذلك العهد .

وقد أخطر سيادته بأمر هذا الاختيار قبل قيام الثورة بشهرين اثنين ووافق على ذلك . . وما أن علم سيادته بقيام الثورة عن طريق مكالمة تليفونية بين وزير الحربيـــة فى ذلك الوقت السيد مرتضى

المراغى وبينه فى منزله حتى قام إلى مبنى قيادة الثورة واجتمع برجالها فور تسلمهم زمام الأمور . . ومنذ تلك اللحظة أصبح الموقف دقيقاً إذ أن أعمال ومناقشات مجلس قيادة الثورة استمرت أكثر من شهر بعيدة عن أن يشترك فيها اللواء محمد نجيب . إذ أنه حتى ذلك الوقت وعلى وجه التحديد يوم ٢٥ أغسطس سنة ١٩٥٢ لم يكن سيادته قد ضم إلى مجلس الثورة . . وقد صدر قرار المجلس فى ذلك اليوم بضمه لعضويته .

كما صدر قرار بأن تسند إليه رئاسة المجلس بعد أن تنازل له عنها البكباشى أركان حرب جمال عبد الناصر الذى جدد انتخابه بواسطة المجلس قبل قيام الثورة كرئيس للمجلس لمدة عام ينتهى فى آخر أكتوبر سنة ١٩٥٢ .

نتيجة لذلك الموقف الشاذ ظل اللواء محمد نجيب يعانى أزمة نفسية عانينا منها الكثير رغم قيامنا جميعاً باظهاره للعالم أجمع بمظهر الرئيس الفعلى والقائد الحقيقى للثورة ومجلسها مع المحافظة على مظاهر تلك القيادة . وبعد أقل من ٦ شهور بدأ سيادته يطلب من وقت لآخر من المجلس منحه سلطات تفرق سلطات العضو العادى بالمجلس، ولم يقبل المجلس مطلقاً أن يحيد عن لائحته التى وضعت قبل الثورة بسنين طويلة إذ تقضى بمساواة كافة الأعضاء بما فيهم الرئيس فى السلطة ، فقط إذا تساوت الأصوات عند أخذها بين فريقين فى المجلس فترجح الكفة التى يقف الرئيس بجانبها .

ورغم تعيين سيادته رئيساً للجمهورية مع احتفاظه برئاسة مجلس الوزراء ورئاسته للمؤتمر المشترك ــ الذى يضم الوزراء وأعضاء مجلس قيادة الثورة ــ إلا أنه لم ينفك يصر ويطلب بين وقت وآخر أن تكون له اختصاصات تفوق اختصاصات المجلس ، وكان إصرارنا على الرفض لكى نكفل أقصى الضمانات لتوزيع سلطة السيادة فى الدولة على أعضاء المجلس مجتمعين .

وأخيرا تقدم سيادته ــ أى اللواء محمد نجيب ــ بطلبات محددة وهى : ــ

أن تكون له سلطة الاعتراض على أى قرار يجمع عليه أعضاء مجلس القيادة ، علماً بأن لائحة المجلس توجب إصدار أى قرار يوافق عليه أغلبية الأعضاء .. كما طلب أن يباشر سلطة تعيين الوزراء وعزلهم وكذا سلطة الموافقة على ترقية وعزل الضباط وحتى تنقلاتهم .. أى أنه طالب إجمالا بسلطة فردية مطلقة .

ولقد حاولنا بكل الطرق طوال الشهور العشرة الماضية أن نقنعه بالرجوع عن طلباته هذه التى تعود بالبلاد إلى حكم الفرد المطلق وهو مالا يمكن أن نرضاه لثورتنا ، ولكننا عجزنا عن إقناعه عجزاً تاماً وتوالت احتكاكاته بين وقت وآخر حتى يجبرنا على الموافقة على طلباته هذه . إلى أن وضعنا منذ ثلاثة أيام أمام أمر واقع مقدماً استقالته ، وهو يعلم أن أى شقاق

يحدث فى المجلس فى هـــذه الظروف لا تؤمن عواقبه . .

أيها المواطنون . .

لقد احتمل أعضاء المجلس هذا الضغط المستمر فى وقت يجابهون فيه المشاكل القاسية التى تواجه البلاد والتى ورثتها عن العهود البائدة . . يحدث كل ذلك والبلاد تكافح كفاح المستميت ضد مغتصب فى مصر والسودان وضد عدو غادر يرابط عـــلى حدودها مع خوضها معركة اقتصادية مريرة وإصلاحاً لإدارة الحكم وزيادة الإنتاج إلى آخر تلك المعارك التى خاضتها الثورة ووطدت أقدامها بقوة فى أكثر من ميدان من ميادينها .

واليوم قرر مجلس قيادة الثورة بالإجماع مايلى : —

أولا — قبول الاستقالة المقدمة من اللواء محمد نجيب من جميع الوظائف التى يشغلها .

ثانياً — يستمر مجلس قيـــادة الثورة بقيادة البكباشى جمال عبد الناصر فى تولى كافة سلطاته الحالية إلى أن تحقق الثورة أهم أهدافها وهو إجلاء المستعمر عن أرض الوطن .

ثالثا — تعيـــين البكباشى جمال عبد الناصر رئيساً لمجلس الوزراء .

ونعود فنكرر أن تلك الثورة ستستمر حريصة على مثلها العليا

مهما أحاطت بها من عقبات وصعاب ، والله كفيل برعايتها إنه نعم المولى ونعم النصير . والله ولى التوفيق ؟

٦ — خطاب الرئيس أنور السادات فى اللجنة المركزية فى ١٩٧٥/١١/٢٠ .

٧ — كمال الدين حسين فى أقواله فى كتاب « الصامتون يتكلمون » صفحة (١٥) .

٨ — من الواضح أن اختيار خالد محى الدين رئيسا للحكومة المؤقتة رغم صغر سنه جاء نتيجة عاملين .

أولهما : أنه الشخص الذى يثق به محمد نجيب ويمكن أن يتعاون معه .

وثانيهما : أنه يمثل سلاح الفرسان فى مجلس القيادة وهو من الرأى الذى نادى بعودة الحياة النيابية ، ويؤيد حل مجلس قيادة الثورة بهدف سيطرة الشيوعيين فيما بعد على محمد نجيب وتوجيهه .

(٩) الملازم أول فريد حسن ندا ضابط نقطة فنارة . أطلق عليه الإنجليز الرصاص ثم أخذوا يسحبون جثمانه بعد قتله حتى تمزقت ثيابه وشوهت جثته . وهو شقيق البكباشى جلال ندا .. وقد نشرت المصرى صورة لمحمد نجيب مع السفير البريطانى وهو يصافحه ووضعت بينهما صورة للضابط الشهيد . وقد أخذت المجموعات الفدائية بثأر الضباط فقتلت فى اليوم التالى سبعة من الجنود البريطانيين .

(١٠) كان هذا رداً من الإنجليز على مقتل الجنود السبعة البريطانيين .

(١١) هي زوجة المليونير الياس عوض ، وقد قتلها الطباخ .

(١٢) كانت القاهرة تمول بأموال الرجعية العربية .

(١٣) كان قد أعلن أن محمد نجيب سيؤلف حزباً يسمى الحزب الجمهوري، وقد أعلن الشيخ الباقوري الذى كان وزيرا للأوقاف وأحد قادة الإخوان المسلمين أنه سوف ينضم إلى هذا الحزب عند قيامه .

(١٤) القائمقام يوسف صديق قام بدور مشرف ليلة ثورة ٢٣ يوليو . ويعتبر من الماركسيين الأطهار . وكان قد استقال من مجلس قيادة الثورة فى فبراير سنة ١٩٥٣ ، وكانت أفكاره اشتراكية ومثالية فى الوقت نفسه .. وقد اعتقل أكثر من مرة .. وقد طلب مرة مقابلة الرئيس جمال عبد الناصر .. وحدد له الرئيس موعداً جاء بعده بساعة كاملة واستقبله الرئيس وسأله عن سبب تأخيره فقال له : انى لا أملك عربة وانى استعمل الاتوبيسات . . فصرف له الرئيس عربة فيات ٢٣٠٠ .. فركبها وخرج وباعها على الفور وقسم ثمنها بينه وبين زملائه الذين خرجوا من المعتقل ولم يعودوا إلى اعمالهم .. وقد عاش فقيراً ومات فقيراً .

(١٥) عبد الرحمن الرافعى — ثورة ٢٣ يوليو من ٥٢ — ١٩٥٩ ص ١٢٣ مكتب النهضة — القاهرة ١٩٥٩ .

(١٦) قرارات ٢٥ مارس ١٩٥٤ بقيام الأحزاب ، وحل مجلس قيادة الثورة يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٤ أى يوم انتخاب الجمعية التأسيسية .

(١٧) يروى سعد الدين وهبة الكاتب المسرحى — وكيل أول وزارة الثقافه الآن (١٩٧٥) والذى كان أحد كوادر الثورة فى بوليس الاسكندرية برتبة يوزباشى .. يروى أنه اجتمع بالضباط من جميع الرتب فى الاسكندرية واتفقوا على مقاومة تصفية الثورة بكل الوسائل وأبرقوا إلى جمال عبد الناصر باعتباره قائد الثورة يقولون له أن الحياة النيابية مع وجود الاحتلال خدعة استعمارية وانهم سيمتنعون عن تنفيذ الاجراءات الانتخابية حتى يجلو المستعمر عن أرض الوطن ، ويعلنون تمسكهم بمجلس قيادة الثورة . . كذلك تلقى المجلس برقية أخرى من اللواء مصطفى متولى بالقاهرة تتضمن نفس المعنى نيابة عن ضباط البوليس المجتمعين بناديهم بالقاهرة .. ويحكى لطفى واكد عن اللواء مصطفى متولى قصصاً مشرفة أثناء معركة القناة قبل الثورة ، فقد وقف ضد محافظ السويس ورفض انذاراً بريطانياً بالتسليم .. كما ساعد أفراد المقاومة الشعبية على اخفاء السلاح ، بعد أن قررت الحكومة التى تلت حكومة الوفد إثر اقالتها ليلة ٢٦ يناير سنة ١٩٥٢ مصادرته واعتقال أفراد المقاومة الشعبية .

(١٨) كان الدكتور وحيد رأفت قد أدلى بتصريح فى جريدة المصرى قال فيه : إن النظام الملكى هو أحسن الانظمة أماناً واستقراراً ..

وكان الدكتور وحيد ينتمى إلى الطبقة القديمة التى كانت تخوض معركتها اليائسة للبقاء .. وكان نجماً من نجوم المجتمع الذى يتحلل وينقرض ويتساقط تحت ضربات الثورة .. وقد استعاد فى ذهنه - بلا شك - أيام الملكية المجيدة .. وسهرات أولاد الذوات .. وتذكر بأسى عندما أقيمت حفلة فى رأس البر لأبناء الذوات لاختيار الراقص الأول .. ففاز هو .. فكيف يمكن أن يحكم المجتمع هؤلاء العسكريين الذين تختلط أصولهم .. فلا يعرف منهم .. من هو « ابن الناس » ولا من هو ابن الفلاح ؟!

(١٩) كمال رفعت :

من مواليد نوفمبر سنة ١٩٢١ بالاسكندرية . تخرج فى الكلية الحربية سنة ١٩٤٢ ، التحق بتنظيم الضباط الأحرار فى خلاياه الأولى ، لعب دوراً بارزاً ومؤثراً فى المقاومة المسلحة قبل وبعد ثورة يوليو ، ١٩٥٢ وخلال مفاوضات الجلاء سنة ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ وتولى قيادة المقاومة الشعبية فى منطقة القناة كلها خلال عدوان ١٩٥٦ . . وانتقل إلى الإسماعيلية أثر هزيمة ١٩٦٧ لقيادة المقاومة الشعبية ، يعتبر من أصلب الناصريين الاشتراكيين ، تولى عدة مهام ومناصب كثيرة . . فكان عضواً بمجلس الرئاسة وضمن وفد مباحثات الوحدة خلال عام ١٩٦٣ ، وتولى أمانة الدعوة والفكر بالاتحاد الاشتراكى الذى فتحه الجمهور وأطلق على إحدى قاعاته « قاعة الشعب » .. حيث تعقد

فيها الندوات الصريحة والليالى السياسية لعرض مشاكل الشعب ومناقشتها من المستولين .. وعرض التجارب الفنية .. فى الأدب والشعر .. والفن الشعبى .. والمسرح .. وأصدر مجلة الاشتراكى التى كانت تعبر عن فكر ثورة يوليو ، واحتضن اليسار المصرى بكافة أجنحته ، أنشأ المعهد العالى للدراسات الاشتراكية والمعاهـــد التوعية فى عدد من المحافظات .. له عدة كتب ومؤلفات عن المقاومة فى القناة .. وعن الاشتراكية .. وعن مشاكل الاشتراكية فى الدول النامية .. تولى وزارة العمل ، ثم عمل سفيرا لمصر فى لندن .

(٢٠) زكريا محى الدين :

من مواليد مايو سنه ~~١٩٨١~~ بكفرشكر ، تخرج فى الكلية الحربية ١٩١٨
سنة ١٩٣٨ ومن كلية أركان الحرب سنة ١٩٤٨ ، حارب فى فلسطين فى المجدل وسويدان والفالوجا ودير سنيد وبيت جبريل .. اخترق حصاراً مع صلاح سالم لايصال مؤن وذخيرة للقوات المصرية التى كانت محاصرة فى الفالوجا ؛ التقى بجمال عبد الناصر منذ زمن طويل ، اشترك فى طبع أول منشور للضباط الأحرار ، فاز فى انتخابات نادى الضباط قبـــل الثورة نظراً لشعبيته وحب الضباط له .. وضع خطة تحركات القوات ليـــلة الثورة ، عين بعد الثورة مديراً للمخابرات العامة ، ثم وزيراً للداخلية ، ثم عضواً بمجلس الرئاسة ، شكل أول حكومة برئاسته سنة ١٩٦٥ وضعت برنامجاً طموحاً اعتمد على الحد من الاستهلاك وزيادة الإنتاج ، ووجه نقداً إلى الخطة الخمسية

١٩٦٥/٦٠ وصفها بأنها أدت إلى زيادة الاستهلاك السلعى مما أثر على حجم التصدير، واعتمدت على استيراد السلع الاستهلاكية كما زادت الأجور دون توازٍ مع زيادة الإنتاج . . وهذا ما أثر على المدخرات اللازمة لتمويل الخطة . هذا وقد واجه زكريا الشعب بعدد كبير من الحقائق واعتمد على الصراحة منذ البداية حتى كانت هذه الصراحة صدمة كبيرة لأفراد الشعب وهذا ماحد من شعبيته . . وقد قال « إننا نضع قضايا الشعب كاملة بين يديه » ، أصبح نائباً لرئيس الجمهورية من سنة ١٩٦٥ إلى ١٩٦٧ ، تولى مسئولية المقاومة الشعبية خلال أزمة مايو ويونية سنة ١٩٦٧ . . رفض أن يكون رئيساً للجمهورية إثر تنحى الرئيس جمال عبد الناصر فى ٩ و ١٠ يونيو . . اعتزل السياسة . .

(٢١) على حمدى الجمال — من هو القائد الحقيقى لثورة يوليو — الأهرام فى ١٩٧٥/١٢/٢٤ .

(٢٢) أحمد حروش — ثورة ٢٣ يوليـــو — الجزء الأول صفحة ٣٢٨ .

(٢٣) لقاء مع كامل العقيلى بحضور فتحى كامل — عبد العزيز مصطفى — محمـــد نوح فى قهوة سفنكس بعماد الدين مساء يوم ١٩٧٥/١٢/٢٤ .

(٢٤) يقول كامل العقيلى أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر

قد سجل بخط يده على ورقة أن ثورة يوليو انتهت لتبدأ ثورة العمال والفلاحين وأن هذه الورقة فى حوزة الصاوى .

(٢٥) أصدرت الثورة عدداً من القوانين العمالية الهامة . . منها القانون رقم ٣١٧ لسنة ١٩٥٢ الذى أخذ بقاعدة المساواة بين العاملين وقرر حقوقاً جديدة ومزيداً من المزايا للعاملين ، كالتزام رب العمل بنفقات نقل عماله ، وتوفير السكن والتغذية لهم فى الأماكن البعيدة عن العمران . وبموجب هذا القانون اتسع نطاق علاج العاملين ، فشمل علاج الإخصائيين وإجراء العمليات الجراحية إذا ما بلغ عدد عمال المنشأة خمسمائة عامل فأكثر . . وفضـــلا عن ذلك فقد زاد هذا القانون فى أجر مهلة الإنذار السابق على الفصل وفى تحديد مكافأة نهاية مدة الخدمة ، وكان من أقوى الضمانات فى هـذا القانون ما قرره من إعفاء دعاوى العمال من الرسوم القضائية .

ومن القوانين التى أصدرتها الثورة قبل أحداث مارس القانون رقم ٣١٨ بشأن التوفيق والتحكيم فى المنازعات العمالية . . ثم القانون رقم ١٦٥ لسنة ١٩٥٣ الذى يتفق معنا الدكتور محمد أنيس وكثير من المؤرخين والكتاب فى أنه كان تعديلا ثورياً لقانون عقد العمل الفردى، على إثر محاولات الرجعية والرأسمالية الالتجاء إلى سلاح الفصل الجماعى واضطهاد النقابيين . فأنشأ القانون مبدأ جديداً فى محيط علاقات العمل ، مؤسساً على النظرة للعمل كوظيفة اجتماعية ، مستهدفا

حماية الحركة النقابية والنقابيين . وذلك بتخويل القضاء سلطة إعادة العامل المفصول بسبب نشاطه النقابي إلى عمله .

(٢٦) د. عبد العظيم رمضان — الصراع الاجتماعي والسياسي في مصر صفحة ١١٢ — ١١٣ .

(٢٧) اليوزباشي محمد رياض كان السكرتير العسكري للواء محمد نجيب وكانت أفكاره تتفق في القضاء على الثورة لصالح القوى القديمة، ويعتبر محمد رياض الآن من المليونيرات المصريين، ومن رجال الأعمال الكبار الناجحين .



- الديمقراطية معناها تأكيد سيادة الشعب ووضع السلطة فى يد الشعب وتكريسها لخدمة أهداف الشعب .

جمال عبدالناصر (١٩٦٦)

- الديمقراطية لاتوجد بمجرد اصدار دستور أو قيام برلمان. الديمقراطية لا يحددها الدستور ولا يحددها البرلمان .

جمال عبدالناصر (١٩٦١)

يقول السادة عبد اللطيف البغدادى وكال الدين حسين وحسن ابراهيم . . أنهم كانوا وحدهم هم الشرفاء وهم الديمقراطيون . . وهم الذين يدافعون عن قيم الحياة الجديدة .

ونحن قد نتفق فى هذا الزعم إذا كنا من السذج والبلهاء .

لماذا . . ؟ . . لأن الحقائق كلها تنفى هذا . . تنفى أن هؤلاء الثلاثة كانوا يدافعون عن الديمقراطية . . أو كانوا — حتى — يؤمنون بالديمقراطية .

وقد أقحم حسن ابراهيم اسم جمال سالم فى هذا الزعم .

ويمكن أن يقال عن جمال سالم أى شىء إلا أنه كان مدافعاً عن الديمقراطية . . لكنه فى الحق كان من المدافعين عن قيم الحياة الجديدة . . وكان على الأقل ثورياً شريفاً .

لم يكن يقول أنا من الشعب . . ثم ينشىء حرساً خاصاً من حوله لحمايته من الشعب . . ولضرب أبناء الشعب عن بعد . . وما دام حسن ابراهيم قد أراد أن يقحم اسم جمال سالم . فلنذكر

أن جمال سالم رفض أن يصافح حسن ابراهيم عندما عرف في يوم ما أن هذه اليد امتدت إلى أموال الشعب .. ولهذا قصة .

وقبل أن نقرأ القصة .. ينبغي أن نعرف شيئاً عن أخلاق جمال سالم .. وطبيعة تكوينه .. فهو من الأشخاص الذين يغضبون لأوهى سبب .. إلا أنهم لا يحملون في نفوسهم ضغينة أو حقداً .

ويعزى إلى طبيعته القلقة هذه عدد من التصرفات التي تردى فيها جمال سالم .. فقدكان يمتاز برغبة متزايدة في تطوير الأفعال المنعكسة حتى تصل إلى حد المعارك .. فما يكاد يدرك أن تصرفاً ما يمس جانباً منه وخاصة كبرياءه .. لا يكتفي عندئذ بالرد انما يغضب ، ويتطور هذا الغضب ويتحول إلى ثورة عارمة قد تتخطى مجرد الرد إلى الإهانة وإلحاق الأذى .. ولذا فقدكانت تصرفاته مجموعة من ردود الأفعال .. وبقدر ما كان عنيفاً في قراراته وإجراءاته ولا يقبل لها نقضاً أو نقداً ومناقشة .. كانت ثوراته تتحول إلى عمليات جنونية .

انما كان يمتاز بشخصية خالصة للثورة .. وبطهارة ثورية ظلت نقية وبيضاء حتى وفاته .

هذه هي أخلاق جمال سالم وطبيعة تكوينه .. ونصل الآن إلى القصة .

فقد عاد جمال سالم من إحدى رحلاته العلاجية وعندما هبطت الطائرة القادمة من لندن إلى مطار القاهرة وكانت تحمل فى جوفها عضو مجلس قيادة الثورة . . توقع المسئولون فى المطار أن أزمة ما لابد أن تقع .

وكان توقع المسئولين فى موضعه . . لأن بطل الأزمة التى سوف تنشب كان يتحرك فى قاعة كبار الزوار فى هدوء ولم يكن يدرى ما يخبئه له القدر . وعندما أعلن فى الميكرفون أن الطائرة القادمة من لندن قد هبطت دلف من باب كبار الزوار إلى مهبط الطائرة . . ووقف أسفل سلم الطائرة .

كان هذا البطل . . أو بطل الأزمة المتوقعة هو : قائد الأسراب حسن ابراهيم عضو مجلس قيـادة الثورة ورئيس المؤسسة الاقتصادية .

وهكذا فتح باب الطائرة . . وهبط منها جمال سالم . . وبمجرد أن وقع بصره على حسن ابراهيم ، انهمرت من فمه عدة قذائف شفوية منتقاة . . وانتهت إلى قول جمال سالم : أنا أتمنى أن أرجع الحكم . . علشان حاجة واحدة . . أحاكمك . . . !

ورفض جمال سالم أن يمد يده لحسن ابراهيم ، رفض أن

يصافحه .. رفض أن يلتفت اليه .. ووقف حسن ابراهيم مذهولا .. من الذى أخبره بما ارتكبه .. من .. ؟

فكيف حدث هذا .. ؟
ما سبب هذه الأزمة التى حدثت فى مطار القاهرة .. ؟

ولماذا قذفه جمال سالم بهذه الشتائم المنتقاة ؟ .. والتى كان لا يجرؤ على توجيهها لأحد إلا شخص مثل جمال سالم .. !

أهذا شيء يتعلق بجمال سالم .. أم بحسن ابراهيم .. ؟

هذا الشيء يتعلق بحسن ابراهيم نفسه .. وقد بدأ يسرد جزءاً منه فى الصفحة ٣٠ من كتاب « الصامتون يتكلمون » . ثم بالطبع نسى أن يكمل الجزء الباقى .

الجزء الذى صرح به حسن ابراهيم هو :

« .. بعد حل مجلس قيادة الثورة فى يونيو سنة ١٩٥٦ قررنا أنا وجمال سالم والبغدادى وكمال حسين الابتعاد نهائياً عن الحياة السياسية .. »

ثم يستطرد حسن ابراهيم السيد أحد عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس المؤسسة الاقتصادية سابقاً ورجل الأعمال حالياً :

» .. إلا أن البغدادى وكمال الدين حسين رأيا أن يبقيا اعتقاداً منهما أن بامكانهما مقاومة الفردية فى الحكم - (يا سلام !!) - التى بدأت ملامحها تظهر وصورتها تتضح بعد أزمة مارس ١٩٥٤ وإقالة محمد نجيب بعد ذلك وانفراد عبد الناصر برئاسة الجمهورية والوزارة ومجلس قيادة الثورة .. بينما آثرت أنا وجمال سالم الابتعاد نهائياً .. إلا أن عبد الناصر بعد ذلك رأى أن اتولى رئاسة المؤسسة الاقتصادية .. فقبلت على أساس أن عملى يهدف إلى رفاهية البلد وبعيداً عن السياسة ... »

ونحن لسنا بصدد مناقشة ما يخص الفرسان الآخرين بغدادى وكمال حسين وجمال سالم .. ان ما يعنينا هو حسن ابراهيم السيد أحمد فقط

صحيح أنه قبل رئاسة المؤسسة الاقتصادية على أساس أنه عمل يهدف إلى رفاهية البلد .. وهذا هو الجزء الذى صرح به حسن ابراهيم . أما الذى لم يصرح به .. فهو أن هذا العمل كان يهدف فعلا إلى رفاهية البلد .. ورفاهية حسن ابراهيم نفسه .. لأنه بعد أن تولى رئاسة المؤسسة الاقتصادية قرر أن ينشر الرفاهية على نفسه قبل نشرها على الآخرين . فذهب إلى الدكتور راشد البراوى رئيس مجلس إدارة البنك الصناعى .. ولا يعرف بالضبط

إن كان هو الذى ذهب إليه . . أم أنه استدعى الدكتور البراوى إلى مكتبه . . وطلب منه سلفة ٢٠٠٠ جنيه . . آسف ، ٢٠ ألف جنيه . . وبالتقسيط المريح جداً . . والأفضل ألا يكون هناك تقسيط .. فأموال البنك الصناعى من أموال الدولة رأساً ومخصصة لتمويل الصناعات الصغيرة ولإقراض صغار الحرفيين بعد إجراءات طويلة ومعقدة . . وفى لمح البصر كان مبلغ الـ ٢٠ ألف جنيه فى جيب حسن ابراهيم . . وعلى الفور قرر حسن ابراهيم أن يحقق الرفاهية . فكان المساهم الأول فى شركة النصر لصناعة الأقلام ومنتجات الجرافيت . . وكان عدد الأسهم التى اشتراها السيد عضو مجلس قيادة الثورة ٧٥٠ سهما ثمنها ٢٠ ألف جنيه !

وظل الأمر سراً . . ولا أحد يعلم أن هذه الشركة يملك أكثر أسهمها حسن ابراهيم السيد أحمد . . إلى أن صدرت قوانين يوليو الاشتراكية سنة ١٩٦١ . . وأصبحت هذه الشركة ضمن الشركات المؤممة . . وطبقت القوانين الاشتراكية على حسن ابراهيم عضو مجلس قيادة الثورة ورئيس المؤسسة الاقتصادية(١) .

وهكذا فوجىء زملاء حسن ابراهيم بهذا الموقف وكان أشدهم تأثراً هو جمال سالم ! . لأن جمال سالم كان ضمن ثلاثة مسئولين عن الطيران فى مجلس قيادة الثورة . . هم عبد اللطيف البغدادى

وحسن ابراهيم،وهو ،أي جمال سالم .. وكان أي شيء يمس زملاءه فهو - بالتالي - يمسه هو . . وقد نشرت الصحف البريطانية عندئذ خبر تأميم أسهم حسن ابراهيم . . وذهب إليه صحفي بريطاني يسأله عن زميله وعن مدى الطهارة الثورية التي يتمتع بها هؤلاء الثوريون وحدودها . . وبالطبع طرده جمال سالم . . وعندما ركب الطائرة إلى مصر . . كان يغلي . . كان في رأسه شيء واحد . . أن يشتم حسن ابراهيم وأن يطلب من الله أن يعود إلى الحكم مرة أخرى . . ليحاكم حسن ابراهيم على فضيحته !

على أن كلام حسن ابراهيم في كتاب « الصامتون يتكلمون » يتضمن كثيراً من النقاط التي تستوقفنا . . منها ما يتصل بعبد اللطيف البغدادي وكمال الدين حسين . . ومنها ما يتصل بحسن ابراهيم نفسه . . ونظراً لأنه لم يصدر تكذيب حتى الآن لهذه الأقوال المنشورة في الكتاب . . فهي صادرة عنه . . وبموافقة زملائه .

من أهم النقاط التي تستوقفنا : الرغبة في الابتعاد نهائياً عن الحياة السياسية بعد حل مجلس قيادة الثورة في يونيو سنة ١٩٥٦ .

ولم يحدد . . حسن ابراهيم . . متى بدأت هذه الرغبة . . أكانت بعد أزمة مارس سنة ١٩٥٤ . . ؟ . . أم بعد يونيو سنة ١٩٥٦ ؟

إن الأمر يختلف فى سنة ١٩٥٤ عنه فى سنة ١٩٥٦ .

ففى سنة ١٩٥٤ وعلى أثر أزمة مارس .. كان الجميع متفقين على ما انتهى إليه مجلس قيادة الثورة .. لم يشذ واحد من المجلس عن القرارات التى اتخذت .. وكانت كل القرارات بالإجماع .. ، ولم يثبت فى أى قرار صدر عن مجلس قيادة الثورة أن عبد اللطيف البغدادى أو كمال حسين أو حسن ابراهيم لهم رأى يختلف عن رأى مجلس قيادة الثورة أو رأى جمال عبد الناصر . كانوا كلهم من الموافقين والمؤيدين !

لكنا نستطيع أن نضع أيدينا على خيط ما . . وهو : الصراع على السلطة .

كان هؤلاء الثلاثة يريدون مزيداً من السلطة . . وقد وقف جمال عبد الناصر ضد الاستيلاء على مزيد من السلطة .

إلا أن المتهم يصبح فى هذه الأيام ممثلا للاتهام فيدعى السادة البغدادى وكمال حسين أنهما قررا البقاء اعتقاداً منهما ، أن بإمكانهما مقاومة الفردية فى الحكم ، فمن يصدق هذا الكلام . . ؟

ما معنى هذا التبرير الساذج للبقاء فى الحكم . . ؟ . . وهل هذا التبرير يمكن أن ينطلى على الناس . . ؟

لقد رأينا كيف عمل حسن ابراهيم على رفاهية الشعب من خلال المؤسسة الاقتصادية (!!) وهذا ما كسر حدة مقاومته لإغراء الاشتراك فى الحكم.

فلنر كيف قاوم هذان السيدان حكم عبد الناصر الفردى ..؟!

أولا فى البداية يجب أن نقرر عدة قضايا أن هذين السيدين اللذين يتكلمان باسم ثورة يوليو .. ومن خلال المواقع التى منحتها لهما هذه الثورة . هذان السيدان لم يشتركا فى الثورة بالقدر الذى كان مطلوباً منهما .

فى ليلة ٢٣ يوليو .. قدم الضباط الأحرار أمثلة فريدة ونادرة فى الإقدام والشجاعة .. وقاموا بمبادرات خلاقة لانتصار الثورة .

أما هذان السيدان فانهما للأسف الشديد .. كانا فى آخر الصفوف .

فكما قدمت سابقاً — وبدون الدخول فى تفاصيل كثيرة — كان عبداللطيف البغدادى وجمال سالم وحسن ابراهيم.. ثلاثة .. مسئولين بالترتيب عن الطيران ، إلا أن ضباط سلاح الطيران لم يستطيعوا السيطرة على الموقف ليلة الثورة سيطرة تامة .. إلى

حد أن ياور الملك الطيار ابراهيم عاكف دخل إحدى القواعد التى كان البغدادى مكلفاً بها وركب طائرته ، وسافر إلى الاسكندرية ، دون أن يتصدى لها البغدادى .

أكثر من هذا أن اللواء حتى هارون أحد كبار قادة الطيران كان حراً طليقاً ليلة الثورة .

وبالطبع لم يكن القبض عليه أو اعتقاله من مهام عبد اللطيف بغدادى . . إنما كان من مهام كمال رفعت . . فقد كان منوطاً به اعتقال عدد كبير من قادة القوات المسلحة . إلا أننى عرفت أن كمال رفعت لم يتلق من مدير عمليات الثورة وهو زكريا محيى الدين تكليفاً باعتقاله . . وربما صدر التكليف لأحد غيره .

مسئولية تأمين السلاح الجوى كانت بالطبع المهمة الأولى والواجب الأول على ضباط الطيران الأحرار . . وهنا يصح أن نتساءل : ما هو الاعتبار الذى حدا إلى ترك حتى هارون حراً ليلة الثورة . . رغم خطورته . . إذ يكفى أن يصدر أمراً . . أو يحرك سرباً . . أو عـــلى الأقل يثير أية مشكلة فى مثل هذه اللحظات الدقيقة . . ؟

نحن نرى عدة اعتبارات . . منها أن بعض الضباط أحجموا عن تنفيذ الواجبات التى كلفوا بها ليلة الثورة .. تلك الواجبات

التى كانت تتعارض مع النظام العسكرى الذى يقوم على احترام الرتبة الأعلى . . والأقدمية . . والدليل على ذلك . . أنه عندما قرر الضباط الأحرار — إثر قرارات ٢٧ فبراير حل مجلس الثورة — اعتقال محمد نجيب والتحفظ عليه فى ميس الضباط . . واختير لهذه العملية كمال رفعت وأحمد أنور .. رفض هذا الأخير لأنه عمل مع محمد نجيب . . وأن رتبة محمد نجيب تعلوه كثيراً . . دونما اعتبار لظروف الثورة .

ومن هذه الاعتبارات أيضاً أن كثيراً من الواجبات لم تنفذ عندما أدرك الجميع أنه قد تم الاستيلاء على المرافق العامة . . وعلى قلب الجيش وعقله وهو القيادة العامة . . فرأوا أنه لا داعى للاستمرار فى تنفيذ الواجبات التى كلفوا بها من قبل .

وربما كان هذا مبعث تساؤل كمال رفعت عندما ذهب إلى القيادة ليلة الثورة ووجد عبد اللطيف البغدادى فقال فى نفسه : هو هنا بيعمل إيه . . ده لازم يكون فى سلاح الطيران دلوقى .

وعندئذ أدرك أنه ما دام البغدادى هنا . . فلا ريب أن غيره هناك وقد يكونون من الجانب الآخر . . ومعنى هذا وقوع كارثة . . ولذا فقد قام بما يمليه عليه الواجب ، وتعرف على بيت حتى هارون واعتقله . . ويؤيد هذه الرواية محمود الجيار . . (٣) ويضيف

أن كمال الدين حسين الذى كان يمثل سلاح المدفعية فى القيادة كان مرفوضاً من ضباط المدفعية .. ! .. وقد يتفق هذا مع ماننذهب إليه .. إلا أنه للحقيقة والتاريخ .. كانت قاعدة احترام الرتبة الأعلى لها احترامها .. فضباط المدفعية كانوا يعتبرون رشاد مهنا هو قائدهم الذى يتلقون منه الأوامر والتوجيه .. وكان رشاد مهنا أكبر رتبة – بالطبع – من كمال حسين !

لقد كان عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين من أعضاء مجلس قيادة الثورة .. وبالتالى كان عبء الثورة يقع عليهما أكثر من غيرهما ، وقد يقال فى هذا المجال أشياء كثيرة .. ولكن يكفى أن الذين قاموا بالأدوار الرئيسية فى ثورة يوليو ينكرون أنفسهم أكثر من غيرهم !

ولنكتف بهذا القدر عن ليلة الثورة .. لنرى قصة الديمقراطية التى يلوكونها فى أفواههم ولا يستحيون أن تتكشف الحقائق .

فى ٣ مارس سنة ١٩٥٦ صدر القانون رقم ٧٣ لسنة ١٩٥٦ بتنظيم مباشرة الحقوق السياسية (قانون الانتخاب) وفى ١١ يونيو سنة ١٩٦٦ صدر القانون رقم ٢٤٦ لسنة ١٩٥٦ بعضوية مجلس الأمة ويقضى بأن يؤلف المجلس من ٣٥٠ عضواً يختارون بطريق الانتخاب السرى العام .. وقد عهد القانون بالترشيح لمجلس الأمة

إلى الاتحاد القومى بحيث يتولى فحص طلبات الترشيح خلال خمسة عشر يوماً من تاريخ إقفال باب الترشيح. ونص القانون على أن يعد الاتحاد القومى كشفاً بأسماء المرشحين الذين لا اعتراض عليهم فى كل دائرة انتخابية ويكون قراره فى هذا الشأن نهائياً .. وعين كمال الدين حسين مشرفاً عاماً على الاتحاد القومى.

ويقال فى كتاب «الصامتون يتكلمون» أن عبد الناصر أصدر قراراً بغلق بعض الدوائر على مرشح واحد.. وأصبح عدد من أعضاء مجلس الأمة معينين أعضاء بذلك القرار ومن هؤلاء مجدى حسنين وكان قد رشح نفسه فى دائرة قصر النيل ورشح الصحفى موسى صبرى نفسه عن نفس الدائرة.. «ودارت بين الاثنين معركة حامية أكد الخبراء وتقارير استطلاع الرأى العام أن الفوز فيها محقق لموسى صبرى»(٣).

والحقيقة أن اللجنة العليا لبحث طلبات العضوية كان البغدادى عضواً فيها(٤) وكانت تبحث الطلبات بناء على دراسة يقدمها كمال الدين حسين بصفته المشرف على الاتحاد القومى.

وكان أول قرارات هذه اللجنة.. إخلاء دائرة شاوة بالدقهلية لعبد اللطيف البغدادى.. أما فيما يختص بكمال الدين حسين.. فقد رشح والده فى بنها.. وخاله فى إصطنها وزوج أخته فى الباجور

.. وعلم أحد الضباط بالأمر وهو مجدى حسنين.. مؤسس مديرية التحرير — أول مشروع لغزو الصحراء وميكنة الزراعة — فذهب غاضباً إلى جمال عبدالناصر .. وقال له : الناس ح يقولوا إيه علينا .. إزاى يا ريس تسمح بأن كمال حسين يرشح تلاتة من عيلته ؟ وقد سقطوا جميعاً فى الانتخابات .. !

فقرارات إخلاء الدوائر الانتخابية لم تكن صادرة من « الديكتاتور » جمال عبد الناصر .. بل من الديمقراطى عبد اللطيف البغدادى .. ومن كمال الدين حسين .. وصدرت أول ما صدرت لصالحهما .. ولحمايتهما .. و ..

على أن هذا ليس أول عمل « ديمقراطى » للبغدادى .. فقد سبق أن قام بأعمال « ديمقراطية » كثيرة .. نذكر منها ما يتصل بالجماهير .. أنه عندما كان وزيراً للشئون البلدية والقروية أصدر أمراً بهدم حى الفوالة وشرد سكانه من أجل تنظيم وتجميل المدينة .. ثم حاول هذه المحاولة بالنسبة لحى معروف .. ولكن الذى تصدى له عندئذ هو : مجدى حسنين .. فطالب بإيقاف هدم حى معروف حتى تبنى مساكن جديدة لأهله .. وكانت معركة انتصر فيها مجدى حسنين .

ولذا فإن البغدادى عندما أصبح رئيساً لمجلس الأمة سنة

١٩٥٧ قرر أن يرد الضربة لمجدى حسنين . . ووجد من يشاركه هذه الرغبة وكان على رأس هؤلاء المشاركين : كمال الدين حسين.

يقول البغدادى :

« إننى كنت قد عاهدت نفسى أن أجعل من هذا المجلس مجلساً حقيقياً فى مراقبة السلطة التنفيذية وإصلاح ما بدأ يظهر من فساد فى بعض النواحى . . قررت أن أساعد على إعطاء الحرية لكل عضو يقول ما يشاء ما دام فيه مصلحة الوطن أولا وأخيراً . . »

وهذا كلام جميل بلا شك . .

ويستطرد البغدادى الديمقراطى أو الديمقراطى البغدادى :

« وبدأت أولى الأزمات . . الاصطدام بين السلطة التشريعية والسلطة التنفيذية على شكل سؤال وجهه العضو عبد المجيد عامر عن استصلاح الأراضى وتناولت مناقشة السؤال مديرية التحرير(*) والتصرفات المالية المشبوهة التى تتم فيها والاعتمادات الكبيرة التى تنفق ولا تؤدى إلى أى ثمار . . » . . وقد حدث هذا فى أول دورة تعقد لمجلس الأمة الذى افتتح فى ٢٢ يوليو سنة ١٩٥٧ . . وقد انتهت مناقشة السؤال إلى اتخاذ قرار بتشكيل لجنة تحقيق تنتقل إلى مديرية التحرير وتقدم تقريرها بعد عودة المجلس من أجازته

فى نوفمبر من نفس العام (١٩٥٧) .. وقـــدمت اللجنة تقريرها .. وقالت فيه ما معناه أنه لا توجد « تصرفات مالية مشبوهة ولا اعتمادات تنفق ولا تؤدى إلى ثمار .. » .. وبالطبع لم يعجب هذا رئيس مجلس الأمة عبد اللطيف البغدادى .

يقول البغدادى :

انه أثناء الاجازة نشرت الصحف أن مجدى حسنين عين ثلاثة من أعضاء مجلس الأمة فى مديرية التحرير والذى نشر هذا الخبر هى جريدة الأخبار .. وقد زار البغدادى العضو سيدجلال وقال له « مجدى حسنين بدأ يشترى أعضاء المجلس .. تعيينه أعضاء المجلس فى مديرية التحرير ما هو إلا رشوة لشراء صمت المجلس .. ورددت عليه أن هذا من حقك فأنت تمثل الشعب وما دمت ترى أى انحراف فلابد أن تقاومه وتكشفه .. وخرج سيد جلال من مكتبى .. وأحسست بأول أزمة .. فأنا أعلم أن عبد الناصر يحمى مجدى حسنين .. والهجوم على مجدى وكشف ما تردد عن تلاعب فى أموال مديرية التحرير سيؤدى إلى أزمة بين عبد الناصر وبين المجلس .. ولكننى كنت عند عهدى الذى اتخذته بينى وبين الله ألا أحجر على كلمة تقال فى سبيل الوطن » .

وهذا الكلام الذى يقوله البغدادى هذه الأيام (١٩٧٥) همس

به من قبل عام ١٩٥٧ إلى جريدة الأخبار . . فتولت الأخبار نيابة عنه محاولة تمريغ سمعة مجدى حسنين فى الوحل .

لكن لماذا . . ؟ . . ما مصلحة الأخبار فى هذا . . ؟

- لأن الأخبار ضد الزراعة الثقيلة التى لابد من توافر الميكنة فيها واستخدام الطرق الحديثة . . وتدريب "فلاحين بحيث يجمع الفرد فى مديرية التحرير بين تكنولوجيا الزراعة وتكنولوجيا الصناعة . . وتكون الأرض ملكا للدولة . . فمن شأن الزراعة الثقيلة الاستغلال المتكامل لإمكانية الأرض مما يرفع أرقام الإنتاج بمعدلات كبيرة . . وكان نجاح هذه التجربة يعنى إقامة الأساس المادى للتقدم . . وكان اليمين الرجعى ضد الزراعة الثقيلة المتقدمة باعتبارها تعتمد على الملكية الجماعية . . لا على الملكية الفردية التى يقوم عليها النظام الرأسمالى .

- ولأن مجدى حسنين . . صاحب هذا المشروع كان هو الذى وقف أمام موسى صبرى الذى دفعت به الأخبار إلى المعركة الانتخابية فى دائرة نصر النيل . . وأدت القواعد العامة التى وضعت لمشاركة الضباط الأحرار فى العمل السياسى إلى شطب اسمه(٦) .

هذا ولم تجرؤ الأخبار على أن تقول صراحة أن مجدى حسنين يتمتع بتأييد عبد الناصر . . فان بغدادى نفسه لم يجرؤ أن يقولها لنفسه بصوت خافت . . إنما أخذت الأخبار تنشر الغمز واللمز كدأبها دائماً فى مثل هذه المواقف . . لقد أدرك البغدادى أن اللجنة التى تكونت لم تر فى مديرية التحرير رؤيته . . فكيف يمكن أن يطيح بمجدى حسنين . . ؟

وهداه تفكيره إلى طريقة أخرى . . ، وكانت هذه الطريقة هى الكشف عن المستشارين الذين يستعين بهم مجدى حسنين فى مشروعه . . فقد كان البغدادى حتى وقت قريب أحد هؤلاء المستشارين .. أوكان عضواً بمجلس إدارة المديرية وكان يتقاضى هو وكال حسين ثمن حضور الجلسات . . وبالطبع انقطع عند افتتاح مجلس الأمة . . وكان بغدادى يعلم أن شفيق أبو عوف يعمل موظفاً بالمديرية .. بل وقد رآه .. والآن فان شفيق عضو بمجلس الأمة .. ويا حبذا لو عثر المرء على عضو آخر فى المديرية يعمل بها . . أو مستشار .. أو .. المهم أن توجد الإمكانية لقول بأن تقرير اللجنة جاء لصالح المديرية بسبب رشوة أعضاء مجلس الأمة بالعمل فى مديرية التحرير .

وفى هذا الطريق سار البغدادى خطوات وخطوات .. ووجد

كثيراً من الأعضاء إلى جانبه .'. عشرة أعضاء تقريباً (!) (أعضاء مجلس الأمة ٣٥٠ عضواً) . . وعلم جمال عبدالناصر أن شيئاً يدبر ضد مجدى حسنين وضد مديرية التحرير . . فقرر فى الثانى من نوفمبر ١٩٥٧ أن يبعد مجدى حسنين عن المديرية حتى لا يفسر استمراره فى منصبه بأنه فى حماية من الرئيس . . وحتى يترك الحرية الكاملة لمجلس الأمة ليتخذ قراره . . وقد قام عبد الناصر باعتباره رأس السلطة التنفيذية . . قام بواجبه . . فبمجرد أن أحس أو شعر أن ثمة اتهامات تكال لأحد الضباط الأحرار أبعده على الفور .

وهكذا كان دأب جمال عبدالناصر ما إن يشعر بأن ثمة غبارا يلحق بأحد الضباط حتى يقصيه فوراً عن منصبه وبأقسى الأساليب وأشدها . . كان جمال يرى أن الضباط الأحرار إذا كفوا عن أن يكونوا قدوة فيجب إبعادهم على الفور .

وموقف جمال عبد الناصر من قضية مديرية التحرير ينعكس على شخصيته . . فما كان يجب أن يؤخذ مجدى حسنين بالتهم التى تكال له جزافاً . . ولا بالإشاعات التى أطلقها عليه المغرضون . . وعبد الناصر كان أول من يعلم أن هناك أعداء كثيرين لفكرة مديرية التحرير . . أعداء كانوا يريدون ضرب فكرة المزارع

الجماعية التي كانت تمثلها مديرية التحرير باعتبارها الأساس المادى للبناء الاشتراكى القادم .. وبالطبع لابد أن يتوقع الإشاعات والاتهامات ضد التجربة وضد المسئول الأول عنها .. ولكن التأثير المدمر لمحمد حسنين هيكل كان قد بدأ يعطى ثماره فى شخصية الزعيم الكبير .. فاتقاء لما يمكن أن يثيره الدفاع عن التجربة وحمايتها من دعم للمسئول عنها — وهو مجدى حسنين — وتلافياً لمعركة لا داعى لها .. والرغبة فى أن يظل الضباط الأحرار وخاصة هؤلاء الذين ارتبطوا بعبد الناصر .. وساروا فى طريق تحقيق أهداف ثورة يوليو .. الرغبة أن يظلوا بمنأى عن أى شبهة وبعيداً عن أى نقد .. حتى ولو كان هذا على حساب نضالهم وكفاحهم وتفانيهم وتضحيتهم فى سبيل أهداف الثورة .. وفى سبيل قيمها .. ولذا وازن عبد الناصر بين هذا وذاك .. واختار أن يجور على نفسه .. وعلى الضباط الأحرار .. وهكذا أصدر قراره فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٥٧ بإبعاد مجدى حسنين عن مديرية التحرير .. وفوجىء مجدى حسنين فى اليوم التالى ٣ نوفمبر بالخبر ينشر فى الصفحات الأولى من صحف الصباح .

ويحكى مجدى حسنين :

« فوجئت بالخـــبر ينشر فى جرائد الصباح » .. قادنى

عسكرى مباشرة إلى الرئيس جمال .. ، ذهبت إليه فى بيته .. قلت له : إيه اللى حصل يا ريس . . ؟ .

قال : اسمع يا مجدى ، الموضوع صعب عليك . . أنا عايزك تستريح شوية .. إيه رأيك لو أخدت لك يومين فى برج العرب ؟

قلت له : افعل بى ما تؤمر . . ستجدنى صاغراً .

آثر عبد الناصر أن يضحى بى حتى لا تثار معركة .

وعدت إلى بيتى لأعد حقيبة ملابسى ، واتصل بى العميد فايز يكن وقال لى أن سيارة من سيارات الرئاسة فى طريقها إلى لتنقلنى إلى برج العرب، وأغلقت الحقيبة وإذا بجرس التليفون فى بيتى . . كان المتحدث هو جمال عبد الناصر نفسه قال لى : اسمع يا مجدى . . روح مجلس الأمة الليلة . . الظاهر إن فيه حاجة هناك . . أنا اتفقت مع بغدادى ما يتعداش عليك وانت أرجوك ما تتعداش عليه . . أناح أسمعكم فى الجهاز بتاعى .

رحت المجلس بالليل . . كانت الساعة الخامسة . . وهو موعد افتتاح الجلسة ، لقيت المجلس ساكت ، مفيش حد حيانى ، خدت نفسى وقعدت ساكت ، . . بغدادى جه وافتتح الجلسة . . وقال انه وصله خطاب من العضو مجدى حسنين عما نشرته الصحف

خاصاً بمديرية التحرير ويطلب حماية المجلس من الصحافة . كانت الأخبار التى نشرت كاذبة تماماً وملفقة . . كنت أريد أن يصدر المجلس توجيهاً للصحف بأن تلتزم بما يجرى فى المجلس فعلا . . ولكن بغدادى حول الرسالة التى بعثت بها إليه إلى مادة للكلام قال : البلد دى فيها حرية واللى ما بيحترمش نفسه ما يطلبش من الناس انهم يحترموه .

وأدركت على الفور أن بغدادى بدأ « جر الشكل » .

وفى الوقت نفسه رفع حسين فهمى ـ وكان نقيب الصحفيين أيامها ـ رفع إيده طالبا الكلمة ، وأعطيت له الكلمة . فأخذ يتكلم أكثر من ثلث ساعة عن حرية الصحافة .

وعلق نائب بسخرية اسمه عثمان رجب : « كويته ! ! »

وضج المجلس كله بالضحك .

وبدأ البغدادى يتكلم ، قال أنه وصله اقتراح موقع من عشرة أعضاء بطرد مجدى حسنين وثلاثة من النواب ارتشوا فى العمل بمديرية التحرير وهذا فساد .

ونهض عضو اسمه عبد الصمد وقال إن مجدى حسنين يجب بتره .

وصرخت فيه : اقعد يا حرامى . . !

أحسست أن الموضوع تحول إلى تمثيلية . . وأن عدداً من الأعضاء وزعت عليهم أدوار معينة ، ليقوموا بها . . وتنتهى المسرحية بشنق .

كان السيناريو معداً بحيث يقضى على وعلى مديرية التحرير . . ومن هنا فعبد الناصر لم يكن على علم بأبعاد « اللعبة » . . كان — فى تقديرى — يعلم فقط . . بأن ثمة أسئلة سوف تثار حول بعض التصرفات المالية . . وحول إمكانية الأرض وزيادة تكلفة استصلاحها فى المرحلة الأولى . . لكنه لو كان يعلم بأبعاد اللعبة . . ويعلم بأنها تهدف إلى الإطاحة بمديرية التحرير كلها . . وبالتجربة الفذة لأعلن منذ اللحظة الأولى أنه لا يمكن أن يساند عملية بهذا الشكل . . أو أنه مع اتجاه يرمى إلى قتل مديرية التحرير . . لماذا ؟ لأن البغدادى استعمل اسم عبـــد الناصر فى سطور السيناريو الذى وضعه للتمثيلية . . وقد كشف بغدادى منذ البداية أنه ضد مديرية التحرير . . كان عضواً بمجلس إدارتها . . وكان يتقاضى منها مكافأة شهرية هو وكمال الدين حسين ولكنه كان يكن لها حقداً أسود . . كان يريد توزيع الأرض . . وكان كمال الدين حسين ضد أن تملك الدولة أو المؤسسات العامة مزارع . . أو بساتين . .

كانوا يرون أن مديرية التحرير تمثل خطوة متقدمة نحو الاشتراكية .. وكانوا هم في أعماقهم ضد الاشتراكية .. لكنهم كانوا ينافقون .. .. كانوا يحافظون على مناصبهم .. ونفوذهم .. كانوا يريدون المزيد .. والمزيد باستمرار .. بحيث تؤدى هذه الأدوار إلى نتيجة معينة .

كان طلب بغدادى محدداً ، هو طردى مع الأعضاء الثلاثة : محمود القاضى ، وأحمد شفيق أبو عوف ، وإسماعيل نجم .

تساءلت فى نفسى : لكن .. لماذا كل هذه الضراوة فى الحرب ضدى .. ؟

وتذكرت أنه على أثر العدوان الثلاثى طالبت بالمساءلة عن حرب ١٩٥٦ .. لقد كسبنا حرب ١٩٥٦ بالوسائل السياسية .. صحيح أن الجيش لعب دوراً والشعب لعب دوراً أكبر منه .. لكن كانت هناك أخطاء .. ويجب أن يحاسب المسئولون عن هذه الأخطاء .. وقد وصلت أنباء هذه المطالبة إلى أعضاء مجلس قيادة الثورة .. ومنذ ذلك الوقت بدأت متاعبى .. فقد كان أعضاء مجلس قيادة الثورة يظنون أنفسهم فوق الخطأ .. وفوق النقد .. ومن يتجرأ ويطرق هذا الباب .. فعليه السلام .

ومن هنا فقد كان من بين المهاجمين سعد عامر شقيق عبد الحكيم

عامر الذى كان قائداً للجيش فى عدوان ١٩٥٦ .. وكان بغدادى يعطيه الكلمة كلما طلبها .

قلت لرئيس المجلس «أنها سابقة خطيرة أن يتخذ المجلس قراراً بطرد أربعة من أعضائه دون تحقيق. وإذا كان ثمة خطأ فيجب أن تكون البداية من هنا .. من عندى .. يجب أن يبدأ التحقيق معى أولا » .

وطالب مجدى حسنين بأن يتريث المجلس فى اتخاذ أى قرار فى فورة انفعاله وتحت تأثير عوامل متعددة ليست موضوعية .

لقد كان البغدادى الديمقراطى يريد أن يجهز بسرعة على أربعة من أعضاء مجلس الأمة دون تحقيق .. إن المتهم فى أية جنحة بسيطة لا يمكن أن يعاقب دون تحقيق تقوم به عدة جهات ودون أن يوكل عنه محامياً أو تستقدم له المحكمة محامياً .. وحتى بعد الحكم عليه فله الحق فى المعارضة والاستئناف والنقض والتماس إعادة النظر .. وقد قرر المشرع كل هذه الإجراءات ضماناً للعدالة .. فإذا كانت هذه الإجراءات تراعى فى أية جنحة أو مخالفة .. فمن باب أولى يجب أن تراعى وتحترم بالنسبة لنواب الشعب .. فضلا على أن هؤلاء النواب يتمتعون بحصانة خاصة فى الظروف العادية .

إن أى حاكم يعاقب فردا ما دون تحقيق ودون مساءلة ..

ودون محاكمة .. ودون ضمانات كافية للدفاع عن النفس .. هو حاكم ديكتاتورى .. فاشستي ظالم .

إلا أن البغدادى الديمقراطى كانت له طريقة خاصة فى الديمقراطية .

فالديمقراطية عنده هى معاقبة الغير دون أن يمنحهم فرصة للدفاع عن أنفسهم .

على أن مجلس الأمة لم يستجب لطلب البغدادى ووقف يساند طلب مجدى حسنين فى حقه فى التحقيق .. وحقه فى أن يسمع كلامه .. وأن يسمع دفاعه فى وقت مناسب حرصاً على أن تأخذ العدالة مجراها .

وقرر البغدادى تشكيل لجنة دستورية للتحقيق على أن تقدم تقريرها خلال ٦ ساعات !

ورد مجدى حسنين .. بأنه لا يرى وجهاً للاستعجال ، إذ يجب أولا أن نعرف هؤلاء الأعضاء المقول أنى ألحقتهم بمديرية التحرير .. وهل هم كانوا موظفين فى المديرية أم لا .. ؟ وهل تعتبر هذه مخالفة دستورية أم لا .. ؟ .. وهل تعتبر مديرية التحرير مؤسسة عامة أم خاصة .. ؟ .. وهل .. وهل .. وكل هذا يتطلب وقتاً وبالقطع ليس هو الـ ٦ ساعات .

ويقول مجدى حسنين : إن أحمد حسنى وزير العدل كان عضواً عن المطرية . . وبالطبع قد يتأثر برأى البغدادى . خاصة إذا أوعز إليه أن عبد الناصر هو الذى يطلب طرد مجدى حسنين والأعضاء الثلاثة . . وسوف يتولى أحمد حسنى رئاسة اللجنة الدستورية .

كان أحمد حسنى موجوداً . . وكل شىء جاهز . . طلب الطرد جاهز . . اللجنة رئيسها حاضر . . من الممكن أن يعرض الأمر بسرعة . . ويوافق الجميع على الطرد دون أن يعرفوا ما وراء هذا القرار .

كان الأعضاء الثلاثة الذين قيل اننى ألحقتهم هم :

- السيد شفيق أبو عوف . . وكان موظفاً بالمديرية قبـــل الانتخابات وانتخب فكان له الحق فى مواصلة العمل .

- الدكتور محمود القاضى .. كان هو الذى وقف ضد والد كمال الدين حسين فى الانتخابات وفاز بينما سقط والده . . وكان لهذه النتيجة ضجة كبيرة . . فقد كان كمال الدين حسين يساعد والده بكل امكانياته التى أتيحها له منصبه كوزير وعضو مجلس قيادة الثورة . . ورغم كل هذا . . فقد فاز الدكتور

القاضى . . ، وبعد فوزه استقال من جامعة الاسكندرية ورأيت أنه من الخبراء القلائل فى مصر فى التنظيم الصناعى . . ولدى فى المديرية مصانع كثيرة . . فرأيت أن أستفيد بخبرته . . فأرسلت للإدارة القانونية بالمديرية وسألتها فى إمكانية الاستفادة بخبرته بمكافأة عن كل حالة يدرسها . . فقالت الإدارة القانونية أنه ما دام غير موظف وليس له عمل دائم أو إدارة أو مكتب فله الحق فى العمل كمستشار .

لم يكن هذا هو سبب الحملة عليه . . وطلب إبعاده . كان الثانى بغـــدادى وكمال حسين يعملان للانتقام من خصومهما . . الأيدلوجيين والشخصيين أيضاً .

- اسماعيل نجم المحامى . . وقد رشحه مكتب مديرية التحرير بالاسكندرية للاستفادة منه فى بعض الاستشارات القانونية أو الحضور عن المديرية فى بعض القضايا العمالية . . لكنه وقف عند حد الترشيح . حتى أنه هو شخصياً لم يعلم بهذا الترشيح .

وتكونت اللجنة على الفور للتحقيق من ١٥ عضواً . . وثارت ضجة بين الأعضاء . . لقد أحس المجلس أنه أخذ على غرة . . كيف يوافق على لجنة للتحقيق فى طرد أربعة من أعضائه فتقدم تقريرها فى ٦ ساعات . . أية عدالة تلك . . ؟

ونهض عدد من الأعضاء . . كان منهم طاهر أبو زيد المذيع الناجح ومدير إذاعة الشرق الأوسط فيما بعد . . وتحدث عن ضمانات عضو مجلس الأمة . . وحق المواطن العادي فى الدفاع عن نفسه . . وألا يؤخذ الفرد بتهمة دون تحقيق ومحاكمة عادلة . . وأن هذا الحق إذا كان منصوصاً عليه فى الدستور بالنسبة الفرد العادى فأولى به أن يكون من أهم حقوق عضو مجلس الأمة . . وقال إن هذه سابقة خطيرة أن يطرد أربعة من أعضاء مجلس الأمة بتهمة لم يتحقق من صحتها .

فقرر البغدادى الديمقراطى مد المهلة إلى ١٢ ساعة . . فرفض المجلس . . فعاد ورفع المهلة إلى ٢٤ ساعة .. ثم إلى ٤٨ ساعة .. ووافق الأعضاء على مضض .

وبدأت اللجنة عملها مساء ٢ نوفمبر ١٩٥٧ .

هذه هى قصة اليوم الأول فى مأساة مديرية التحرير

وتترك اللجنة تعمل لتقدم تقريرها بعد ٤٨ ساعة .. ونستمع خلال هذه الفترة إلى صورة أخرى لهذا اليوم من لطفى واكد(٢)

« . . ذهبت إلى مجلس الأمة هذا الصباح ورأيت وجه

أباظه وفي يده ورقة عرضها على للتوقيع . . قرأتها . . وجدتها تتضمن المطالبة بإسقاط العضوية عن الأعضاء مجدى حسنين ومحمود القاضى وشفيق أبو عوف واسماعيل نجم . . وتعجبت لإهدار حصانة النواب على هذه الصورة .. وسألته : إيه الحكاية .. فرد بأن دى طلبات الريس . . وبالطبع كان مفهوماً أن كلمة الريس تطلق على الرئيس جمال عبد الناصر . . فاعترضت،وقلت أنني أرفض التوقيع وأعترض حتى لو كان جمال عبد الناصر فعلا هو الذى طلب هذا .. وانصرفت عنه والتقيت بعدد من النواب وتناقشنا فى هذا الطلب.. وقلت لهم إننى لا أعتقد أن هذه توجيهات الرئيس جمال . . وإن كان حقاً فسأراجعه فى الأمر . . كان هذا الطلب موجهاً إلى التجربة الديمقراطية الأولى للثورة . . فا معنى إسقاط العضوية عن أربعة أعضاء أنسياقاً وراء تهمة غير محققة .. خرجت من مجلس الأمة وذهبت إلى الجريدة — جريدة الشعب — ومن هناك اتصلت ببيت الرئيس جمال عبد الناصر وطلبت مقابلته فوراً . . ولكن الرئيس طلب تأجيل المقابلة إلى الصباح لارتباطه بعدد من المواعيد . . وفى صباح اليوم التالى ذهبت إليه فى بيته . . وكانت المعلومات التى تجمعت لدى أن طلب إسقاط العضوية بناء على أمر من جمال عبد الناصر ..وتحت هذا التأثير انساق عدد كبير من أعضاء المجلس ووافقوا على

ما اقترحه عبد اللطيف البغدادى رئيس مجلس الأمة من تشكيل لجنة لدراسة الموضوع خلال ٤٨ ساعة على اعتبار أن الرئيس ناصر لديه أسباب لذلك .. قلت للرئيس ناصر القصة منذ البداية. فانتفض غاضباً وقال: لا، لايمكن إسقاط عضوية النواب بهذه الطريقة .. إن اسمى قد استغل ...

قلت له: سيادة الرئيس .. انه لا غبار على تشكيل لجنة تحقيق .. ولكن كيف يمكن أن تبحث هذه اللجنة موضوعاً حساساً مثل هذا خلال ٤٨ ساعة .. إن هذه السرعة توحى بأن لديكم اتهامات صارخة ضد مجدى حسنين .. وضد النواب الثلاثة .. وأنكم تريدون التخلص منهم بهذه الطريقة .

قال : إذا كان لدى شىء ضد أى منهم فما الذى يمنعنى من إعلانه أو توجيهه .

قلت : سيادة الرئيس .. وإذن .. ؟

قال : إننى لا أوافق على مبدأ اشتغال النواب فى مؤسسة لها علاقة بالدولة .. وهذا أمر تبحثه اللجنة التى تقول أنها تشكلت .

قلت : سيادة الرئيس .. هل تأذن لى فى أن أعلن هذا على لسانك .. ؟

قال : نعم . . لك هذا . . ومن جانبي سوف أستدعي النواب الآخرين الذين تربطني بهم صلة لإبلاغهم بوجهة نظري التي تتلخص فيما قلته لك . . وبالتحديد . . أن اسمي قد استغل، وثانياً أنني لا أعرف أبعاد الموضوع . . وأنه لا دخل لي بما يحدث في مجلس الأمة وهذا شأن النواب أنفسهم . . إنني لا أوافق على إهدار حصانة النواب .

قلت : سوف أكتب مقالا عن مديرية التحرير .

قال : هذا شأنك . . ومديرية التحرير عمل من أعمال الثورة الذي تفخر به .

« . . وذهبت إلى الجريدة . . وكتبت مقالا عن مديرية التحرير لينشر في اليوم التـــالي(٨) . . وجاء إلى زملائي نواب الشرقية فقلت لهم نص الحديث الذي دار بيني وبين الرئيس عبد الناصر وعلمت أن عبد اللطيف البغدادي هو الذي أصدر هذه التعليمات وأن بعضهم أبلغ بها من وجيه أباظه والبعض الآخر أبلغ بواسطة عمر أباظه(٩) . . وأنه قد فهم من التبليغ أن الرئيس عبد الناصر عايز طرد مجدي حسنين . . »

ويستطرد لطفي واكد مواصلا رسم صورة اليوم التالي . . وهو اليوم الذي كان مقرراً فيه أن تقدم اللجنة تقريرها .

. . . بدأت جلسة اليوم التالى ٦ نوفمبر ١٩٥٧ . . وكانت جريدة الشعب قد صدرت وفيها مقال عن مديرية التحرير بعنوان (أضواء على مديرية التحرير) . . وهو مقال صغير . . وكان الرأى العام مهيأ بواسطة جريدة الأخبار لتلقى خبر إسقاط العضوية عن النواب الأربعة بما فيهم مجدى حسنين . . وكانت الصحف قد أخذت توحى بوجود سرقات واختلاسات وفساد فى مديرية التحرير . . كما كان غموض الموقف فى اليومين السابقين قد ترك آثاراً سيئة عند بعض النواب . . إذ ظن بعضهم أن قرار عبد الناصر بضم مديرية التحرير إلى الهيئة العامة للإصلاح الزراعى يعنى اتهام مجدى حسنين ولذا فاسقاط عضويته من مجلس الأمة يصبح أمراً طبيعياً ومقبولا . . إلا أن الصورة فى هذا الصباح بدت مختلفة عن اليومين السابقين . . فمقال الشعب قد أحدث تأثيراً شديداً . . فقد كان عبد الناصر صاحب امتياز الجريدة . . فكل من قرأ المقـــال أدرك أن عبد الناصر لا يوافق على إسقاط العضوية عن النواب الاربعة . . وأدرك أيضاً أن اسم عبد الناصر قد استغل . . وأدرك النواب الذين انساقوا وراء بغدادى أنه قد غرر بهم . . لقد استند بغدادى إلى قرار عبد الناصر بنقل إشراف مديرية التحرير إلى الإصلاح الزراعى ليطيح بخصومه الأيدلوجيين والشخصيين .. وعندما بدأت الجلسة

.. وافتتحها بغدادى وجد وجوه النواب غير الوجوه .. وبالمناسة فان رئيس اللجنة لم يكن أحمد حسنى وزير العدل وانما محمد محمود جلال . كان بغدادى متحمساً لإعلان قرار فصل النواب الأربعة . كان مالى إيده من اللجنة ومن رئيسها . .

وقبل الاستطراد فى رؤية صورة الواقع كما هى مسجلة . . وكما يرويها لطفى واكد . . قبل هذا ينبغى أن نستمع إلى ما يقوله بغدادى رئيس مجلس الأمة والديمقراطى الأول عن هذا اليوم . . وسوف نرى إلى أى حد تزيف الحقائق . . وحتى عندما تزيف فانها لا تزيف بطريقة منطقية أو مقبولة شكلا . . انما بطريقة ساذجة بحيث تنكشف حقيقتها من النظرة الأولى .

يقول بغدادى فى صفحة (٣٦) من كتاب الصامتون يتكلمون :

. . . قبل موعد الجلسة ذهبت إلى جمال عبد الناصر فى منزله بمنشية البكرى وكان زكريا محى الدين موجوداً .

وقلت له : أنا سمعت من بعض أعضاء المجلس أن اللجنة وجدت أن الأعضاء قد أخطأوا وبذلك فانها ستبرى فصلهم .

فرد قائلا: بلاش حكاية الفصل دى .. كفاية انهم يعتذروا ويقدم لهم اللوم .

قلت له : أنا لن أتدخل وسأترك للأعضاء الحرية فى اتخاذ القرار الذى يرونه بالنسبة لزملائهم .

ويستطرد الديمقراطى الأول بغدادى : وانصرفت إلى المجلس وعقدت الجلسة وبدأنا ننظر جدول الأعمال العادى مؤجلين سماع تقرير اللجنة لعدم انتهاء طبعه وتوزيعه على الأعضاء . ثم رفعت الجلسة للاستراحة وعدت إلى مكتبى وأثناء جلوسى به دخل العضو سيد جلال وقال لى :

لطفى واكد فى البهو الفرعونى بينشر وسط الأعضاء أن عبد الناصر غير موافق أن بغدادى يذبح الأعضاء وأنه ستحدث قنبلة فى المجلس وان يفصل أحد .

وبالطبع كان بغدادى كأى بيروقراطى يجلس فى مكتبه ولا يعرف ما يدور داخل المجلس الذى يتولى رئاسته . . فاللجنة التى كان يمنى نفسه بقرار يصدر منها تأييداً لوجهة نظره كانت قد اتخذت قراراً آخر .

على كل فلنواصل الاستماع إلى بغدادى (ص ٢٧) «.. فأدارت قرص التليفون وطلبت جمال عبد الناصر . . نقلت إليه صورة

ما يحدث فى البهو الفرعونى كما ذكره لى سيد جلال .. ففوجئت به يقول لى :

• هو أنا ما قلتش لك .. ؟

— على إيه ؟

• اللجنة الدستورية وجدت أنه لا محل لمؤاخذة الأعضاء الأربعة .

«.. فصرخت فى التليفون غيظاً : ده يبقى شغل عيال !

ويجب بالطبع أن نتحمل صراخ السيد بغدادى ولا نضيق به فله الحق أن يصرخ ولكن ليس له أن يدعى القول لعبد الناصر «ده يبقى شغل عيال» .. فلم يكن أعداء عبد الناصر من خارج مصر يجرؤون على أن يقولوا له مثل هذه الجملة الخالية من الذوق واللياقة .

لا يليق ولا يمكن مخاطبة جمال عبد الناصر ابن مصر البار بهذا .. هذا ادعاء !!

وحتى لو كان هذا حقيقة — فرضاً — فماذا يقصد بغدادى بـ «شغل عيال» .. ؟ .. هل يقصد اللجنة الدستورية التى شكلها هو .

هل يقصد رأى النواب الذين رفضوا أن يكونوا معه . . ؟ .

هل يقصد مجلس الأمة كله . . وهو رئيسه . . ؟

ولنفرض أنه قال هذه الجملة حقيقة لجمال عبد الناصر في التليفون . . فماذا فعل له جمال عبد الناصر . . وهو زعيم شعبي . . ورئيس للجمهورية . . وقائد الثورة .

ماذا فعل به . . ؟ . . هل عاقبه . . ؟ .

إن هذا اعتراف بأن سماحة صدر عبد الناصر . . وعدم ضيقه بالنقد . . وعفته . . قد سمت وارتفعت عن أن يقتنص جملة عابرة فاه بها غاضب تمس شخصه فتكون ذريعة للأذى والضرر . . فهل هذا هو الدكتاتور . . أهذا هو الطاغية ؟ !

يستطرد السيد بغدادى :

« . . وأنهيت المكالمة وجلست في حالة غيظ شـــديد . . شعرت برغبة أن أخرج إلى البهو الفرعوني وأضرب كل من يردد أنني أردت ذبح أعضاء المجلس ومنعني عبد الناصر . . » .

ويكفي هذا . . ولنعد إلى الجلسة لنعرف ما حدث بالضبط . . وقبل هذا فلنسجل هذه الملاحظات :

أولا : يجب تصحيح أقوال لطفى واكد فى قوله أنه طلب من جمال عبد الناصر كتابة مقال عن مديرية التحرير فالصحيح أنه اقترح على جمال عبد الناصر كتابة مقال عن مديرية التحرير فوافق .

ثانياً : أن قول السيد بغدادى للرئيس عبد الناصر أنه سمع أن اللجنة وجدت أن الأعضاء أخطأوا وأنها سترى فصلهم غير حقيقى . . لأن اللجنة لم تر ذلك . . وكانت هذه محاولة من بغدادى لانتزاع كلمة من عبد الناصر بالموافقة على فصلهم . . . وكان بغدادى يتصور حتى هذه اللحظة أن جمال عبد الناصر ليست لديه صورة كاملة بالموقف .

ثالثاً : أن القول بأن زكريا محيي الدين قد أبلغه برغبة عبدالناصر فى عـــدم فصل مجدى حسنين ، وكفاية فصل الأعضاء الثلاثة ، كما يقول بغدادى (ص ٣٥) هذا القول لا نصيب له من الصحة ، فلم يثبت أن زكريا أبلغ بغدادى شيئاً فى هذا الموضوع باسم الرئيس وقد رجعنا إلى شهود الحادث فأقروا بذلك .

ثم إن ايراد هذه الواقعة بهذه الطريقة — بفرض صحتها — من شأنها أن تفسد العلاقة بين ناصر وبين النواب . . وبينهم وبين مجدى حسنين من جهة أخرى .

بعد هذه الملاحظات الثلاث .. ينبغي العودة إلى مجلس الأمة يوم ٦ نوفمبر سنة ١٩٥٧ .

كان التقرير قد وزع فعلا على الأعضاء ، ووقف مقرر اللجنة العضو بواقيم غـبريال وقرأ التقرير .. وملخصه أنه لا يرى ما يؤاخذ عليه الأعضاء الأربعة .. وبالطبع كانت مفاجأة .. ووقعت تمثيلية استقالة كمال الدين حسين التي أعلنها بغدادى احتجاجاً على تقرير اللجنة الدستورية التي شكلت بقرار من رئيس مجلس الأمة .

على أن الموافقة على تقرير اللجنة كانت بالإجماع .. ولكن بغدادى أعلن أن المسألة لن تمر بهذه السهولة .. وأنه لن يسلم بالهزيمة .. فإذا كان مجلس الأمة قد وافق بالإجماع (٣٥٠عضوا) على عدم فصل الأعضاء الأربعة .. فلابد أن يتحدى هذا الإجماع ويصر على فصل النواب الأربعة .. ولكن كيف .. ؟ .. هناك استحالة مادية .. وهى أن التصويت قد تم .. وسجل فعلا .. والعودة إلى التصويت مرة ثانية .. ستؤدى إلى نفس النتيجة .

هذه هى ديمقراطية السيد بغدادى !

وفى هذا الوقت تردد أن بغدادى سوف يفجر قنبلة فى المجلس رداً على رفض اللجنة والنواب فصل النواب الأربعة .. وأن

هذه القنبلة ستكون الأولى من نوعها .. لأنها موجهة إلى جمال عبد الناصر نفسه .. سوف يتهمه بالعدوان على الدستور لاتصاله بالنواب وتحريضهم على عدم الانصياع لرئيس المجلس .

لقد اعتبر بغدادى قرار اللجنة وتأييد الأعضاء إهانة شخصية له .. وقرر أن يرد بعنف .

وكان رد عبد الناصر للذين أبلغوه بنية بغدادى .. على اتهامه بأنه اعتدى على الدستور واتصل بالنواب .

• كان رد عبد الناصر هو :

أنا رئيس جمهورية منتخب ، واتصالى بالنواب ليس عملا من أعمال السلطة ، انما عمل سياسى ، وأنا أستخدم حق فى العمل السياسى ، أنا لم أصدر قراراً للنواب ليرفضوا إسقاط العضوية عن زملائهم الأبرياء .. انما استخدمت حق فى العمل السياسى حماية للديمقراطية والشرف السياسى .

• • •

× أهذا اعتداء على الدستور من رئيس الجمهورية ؟

× هل الديمقراطية تعني أن يسقط رئيس مجلس الأمة العضوية عن أي عضو بدون أسباب ؟

× هل يصبح انحياز رئيس الجمهورية إلى الإجماع البرلماني وإلى روح الدستور تدخلا في أعمال مجلس الأمة . . ؟

إن الرد على هذه الأسئلة واضح .

على أن مجدي حسنين يريد أن يضيف تصحيحاً صغيراً إلى الوقائع المتقدمة :

« . . كان الذي يحمل ورقة التوقيع على طلب إسقاط العضوية هو وجيه أباظه . . أما عمر أباظه فكان مديراً لمكتب المهندس سيد مرعي الذي كان وزيراً للدولة لشئون الإصلاح الزراعي . . وفي يوم الجلسة — أول جلسة لنظر موضوع مديرية التحرير — ذهب بغدادي إلى مكتبه في مجلس الأمة مبكراً وقابل النواب واحداً واحداً ومعه على صبري وكان مديراً لمكتب عبد الناصر . . وكان على صبري عضواً بالمجلس وصديقاً وقريباً للمهندس سيد مرعي . . وكان المهندس سيد مرعي

مع العملية دى . . وتعاطف معه على صبرى فيها . . وعلى صبرى هو الذى حمى سيد مرعى خلال هذه المدة لأنه حقق معه أكثر من ٢٠ مرة . . وكان تصرف البغدادى ومن معه هو العدوان على الدستور . . لقد كانت هذه الحادثة ضمن حوادث كثيرة . . دفعت إلى عبد الناصر إحساساً متزايداً بخطورة عدد كبير من أعضاء مجلس قيادة الثورة . واتجاهاتهم اليمينية(١٠) » .

* * *

تبقى بعد هذا رواية محمود الجيار عن مديرية التحرير ثم ما بعد الرواية .

يقول محمود الجيار (١١)

كان كمال الدين حسين — ١٩٥٧ — فوق المناقشة ، وكان من غير المقبول — من وجهة نظره — أن يرضخ لأية سلطة ، ولو كانت سلطة مجلس الأمة . فما بالك إذا كان الذى حرك هذه السلطة ضده رجل سبق أن تحداه شخصياً . . وأسقط والده فى الانتخابات ؟ !

وفى نفس الوقت كانت هناك قضية أخرى ، أكثر تعقيداً

تفرض نفسها على مجلس الأمة الوليد ، وتتحدى هذه المرة رئيس المجلس نفسه : عبد اللطيف البغدادى .

وتمثلت هذه القضية فى استجواب قدمه النائب سيد جلال حول مشروع مديرية التحرير .. والذى كان مسئولا عنه مجدى حسنين . . وقيل أيامها أن الذى دفع سيد جلال إلى تقديم هذا الاستجواب كان رئيس المجلس : عبد اللطيف البغدادى .. لماذا .. ؟ .. كان مجدى حسنين واحداً من ضباط الصف الثانى ممن تعاملوا مع رجال الثورة بشىء من الندية والزمالة والحرية ، الشىء الذى أصبح ثقيلا عند بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة مما أثار كثيراً من النقد بين الضباط الأحرار من رجال الصف الثانى الذين صاروا يوجهون النقد علانية للبغدادى .

وعندما طرحت المناقشة فى سؤال عن إدارة مديرية التحرير وتكاليفها ، كان مطلوباً إدانة مجدى حسنين لسوء إدارته ولسبب آخر هو تعيينه لثلاثة من أعضاء المجلس مستشارين بمديرية التحرير فتلاقت وجهات نظر البغدادى مع كمال حسين وكلاهما لديه الرغبة فى التخلص من الأربعة .. وأشاعوا أن عبد الناصر يؤيد هذا الاتجاه .. وكنت ممن اختارهم عبد الناصر للعمل السياسى .. وجاء نواب البحيرة يتحققون من صدق هذه الإشاعة فنفيت أن يكون عبد الناصر يوافق على التدخل فى مجلس الأمة .

وفعلا ، رويت لعبد الناصر ما رأيت ، فأيدنى فيما قلت ، وتأكدت مرة أخرى من أن ما يعنيه هو نجاح التجربة الديمقراطية التى بدأها .. ولو كان ثمن ذلك صدور قرارات على غير هواه ، وعلى غير اقتناعه .. وعندما جاء موعد التصويت على الاستجواب كانت النتيجة مفاجأة .. فقد فاز مجدى حسنين بتأييد ساحق فى المجلس .. وفشل الاستجواب فشلا ذريعاً .

ومن هنا بدأت المتاعب .. فلو أن كلا من كمال حسين وبغدادى قبلا الهزيمة بروح ديمقراطية ، لما تعثرت التجربة .. ولكن كلاهما كان قد اعتاد ممارسة السلطة كلها أو نصف إله .

وواضح من رواية محمود الجيار :

- أن عبد اللطيف البغدادى وكمال حسين كانا وراء إثارة موضوع مديرية التحرير .
- أن عبد اللطيف البغدادى وكمال حسين استعملا اسم جمال عبد الناصر للتأثير على أعضاء المجلس للموافقة على طرد النواب الأربعة .
- أن لدى البغدادى وكمال حسين أسباباً شخصية للتخلص من النواب الأربعة .

- أن عبد الناصر كان له داخل المجلس أنصار أقوياء استطاع من خلالهم فى فترات معينة إيقاف الغارات المنظمة على الديمقراطية.
- أن عبد الناصر كان إلى جانب الدستور وإلى جانب الأغلبية البرلمانية.

وهذه الرواية تتفق تماماً مع الواقع .. ومع روايتى لطفى واكد ومجدى حسنين.. كما تتفق مع النتائج التى ترتبت عليها.

* * *

ما بعد الرواية:

يقول بغدادى (ص ٤٠) أنه بعد إعلان استقالة كمال الدين حسين من مجلس الأمة .. طلب من وكيل المجلس وكان وقتها الرئيس أنور السادات، طلب منه أن يصعد إلى المنصة ليرأس الجلسة، لأنزل إلى مقاعد الاعضاء لاقول رسالتى بصفتى عضواً وكما تقضى اللائحة .. وعقدت الجلسة سرية فلم أقرأ استقالتى وغادرت القاعة واتجهت إلى مكتبى وكان به زكريا محيى الدين وعلى صبرى ومحمود الجيار .. وكنت فى حالة ثورة .. ساخطاً .. وقال لى زكريا: نشيلوه بأه .. وكان يقصد عبد الناصر .. ولم أرد

وأخذ على صبرى ينتقل من غرفتى إلى الغرفة المجاورة ليبلغ عبد الناصر بكل حرف . . .

ويستدل من هذا الكلام أن زكريا محي الدين قال بخلع جمال عبد الناصر عقاباً له على التدخل المزعوم فى مجلس الأمة .

وهذه الواقعة مختلقة من أساسها .

ودليل الاختلاق أقوال زكريا محي الدين نفسه . . ثم محمود الجيار . . وقد اعترف بغدادى بوجودهما فى مكتبه عندما عاد إليه ثائراً وساخطاً .

وينبغى أن نسأل أنفسنا السؤال الآتى :

- هل يمكن أن يصدر هذا القول عن رجل مثل زكريا محي الدين . . ؟

لقد عاش زكريا محي الدين معظم سنى حياته صديقاً لجمال عبد الناصر . . صحيح أنهما اختلفا كثيراً . . لكن كلا منهما كان يكن احتراماً متزايداً للآخر . . ، وقد قام زكريا بدور مؤثر وفعال فى ثورة يوليو . . كما أثبت شجاعة فذة فى حرب فلسطين . . وكان يمتاز بنفس أبية تؤثر التضحية وانكار الذات فى سبيل أهداف ثورة يوليو . . ، ويستبعد مجدى حسنين أن يصدر هذا

القول عن زكريا محي الدين ويقول : أنا أستبعد أن يقول زكريا محي الدين أنه يشيل عبد الناصر . . زكريا يقدر عبد الناصر ويحترمه ، وكان عبد الناصر يلجأ إليه فى حاجات كثيرة جداً وسرية جداً . . وزكريا من أعضاء مجلس قيادة الثورة الذين لديهم قابلية للتطور نحو التقدم . . ولا يمكن بالطبع القول بأن زكريا محي الدين تقدمى . . ولكن بصفة عامة ، اليمين الذكى يمكن أن يتقدم . . فمثلا كان معاه دائماً الدكتور ابراهيم سعد الدين . . ولكن كمال الدين حسين . . كان يقول : ده معاه واحد شيوعى »

ونضيف إلى كلام مجدى حسنين . . أن زكريا محي الدين هو الذى أعطى لابراهيم سعد الدين وزملائه من الاشتراكيين الإمكانيات والفرص الكثيرة لنشر الاشتراكية بمنهج علمى فى منظمة الشباب .

زكريا محي الدين لا يمكن أن يقول بخلع جمال عبد الناصر . . ولا يمكن أن يصدر عنه هذا القول . . وفى تقديرنا أنه إذا كان قد صدر منه هذا القول فانه صدر فى معرض السخرية . . فقد يبدى أحد الأشخاص اعتراضه على الهرم الأكبر لأن قمته تهدمت . . فيرد عليه الآخر ساخراً : طيب اهدمه واعمل غيره .

وكيف يمكن تصـــور أن يقول زكريا بخلع رجل تزامل معه فى العمل فى سنه المبكرة وتصادق واشترك فى الثورة والتضحية .. وتحمل معه المسئولية .. وكان زكريا وقتذاك وزيراً للداخلية ومسئولا عن أمن الثورة وتأمينها وجمال عبد الناصر .. هو رأس الثورة وقائدها .. كيف يمكن أن يقول بهذا .. ؟ !

وفى رواية محمود الجيار نفى قاطع لهذه الواقعة أيضاً .

يقول الجيار :

أسرعت أجرى وراء بغدادى وهو متجه إلى مكتبه فى مجلس الأمة ، ودخلت وراءه ففوجئت بأن زكريا محيى الدين هناك .. وسألنى : رايح فين .. ؟

فقلت له : رايح أكلم رئيس المجلس .

ودارت محاورة بين بغدادى والجيار قال فيها الأخير رداً على الأول بأن جمال عبد الناصر لا يمكن أن يحرض أحداً عليك ورد زكريا : هو انت بس .. ما أنا كمان زيك بيهاجمونى (يقصد الصف الثانى من الضباط الاحرار) .

وينتهى إلى هنا الدليل الثانى على أن الواقعة التى ذكرها بغدادى عن قول زكريا محى الدين بخلع الرئيس ناصر .. واقعة مختلقة من أساسها .

إلا أن محمود الجيار يضيف واقعة أخرى تثبت كيف كان البغدادى يحاول التقرب إلى عبد الناصر بعد أن كشف متلبساً بضرب الديمقراطية فى مجلس الامة .

كان يحاول التقرب منه بشتى الطرق والاساليب حتى لو كانت هذه الاساليب هى التجسس على زملائه والوقيعة بينهم وبين عبد الناصر ليؤثره بثقته .

يقول الجيار(١٢) :

بأمر من جمال عبد الناصر .. قابلت أنا وصلاح دسوقى بغدادى فى نادى هليوبوليس حيث كان يلعب رياضته المفضلة وقتها (الاسكواش راكيت) وانتظرنا إلى أن فرغ من اللعب وجاء يجلس معنا .. وقال لى : لا أدرى كيف استدرجتنى إلى الكلام . ولكنه على عكس ما كان يوحى رده ، كان مستعداً للكلام ، وكان يعرف اننى سأبلغ عبد الناصر . ولكنه برغم ذلك لم يخف شيئاً ، لم يذكر تفاصيل ، ولكنه قال ما هو أهم من التفاصيل .. قال بايجاز أنه اجتمع مع زكريا محى الدين وكمال

حسين وزميل رابع(١٣) . وتناقشوا معاً فى أن عبدالناصر لم يعد يستشيرهم أو يشركهم فى شىء بعد وجود دستور ومجلس نيابى منتخب واتفقوا على عزله ، ومن هنا بدأت حكاية مجلس الأمة واستقالة كمال حسين والبغدادى .

فقلت لبغدادى — والكلام هنا ما زال لمحمود الجيار — أنت تعلم طبعاً أننى لابد أن أبلغ الرئيس بهذا الكلام . فلم لا تذهب أنت اليه وتبلغه من جانبك . ووافق بغدادى ، نهضت على الفور واتصلت بمحمد أحمد وطلبت منه إبلاغ عبد الناصر وتم اللقاء بينهما فعلا ، فى نفس اليوم . . وفوجىء عبد الناصر بما سمع من بغدادى وأرسل يستدعى الثلاثة الآخرين : كمال حسين وزكريا محى الدين والعضو الآخر من مجلس الثورة . . وأجرى مع الجميع تحقيقاً تأكد فيه صدق ما قال بغدادى . . فأمرهم بتقديم استقالتهم .

ويقول الجيار أنهم لم يقدموا استقالتهم بسبب مفاوضات الوحدة التى كانت جارية وقتها .

ورغم أن الجيار يعطى هنا صورة دقيقة لأخلاق بغدادى استمدها بالقطع من معرفته الوثيقة به من خلال صلته بجمال عبد الناصر . . إلا أن هذه القصة ينقصها أهم أجزائها . . وهو الجزء

الأخـــير منها . . فجمال عبد الناصر لم يتأكد من صدق ما قال بغدادي . . ولكنه تأكد من ولعه بالسلطة . . وطمعه في المناصب .. بدليل أنه تقاضى الثمن على الفور .. وكان الثمن هو : « ضرورة عودتي إلى المجلس أنا وكمال حسين حتى لا يقال أن الثورة فشلت في أول تجربة ديمقراطية . . ووعدته بالعودة(١٤) » .

أما الوجه الآخر من الثمن فقد تلقاه بغدادي قطيعة من زكريا محيي الدين . . وكمال حسين والشافعي . . وقد انعكست هذه القطيعة عند نظر مشكلة الانتساب للجامعة . . وهي الأزمة التي اصطدم بها مجلس الأمة . . وكان بطلها هذه المرة كمال الدين حسين وزير التربية والتعليم .

أما الدليل على أن عبد الناصر لم يصدق كلام بغدادي بالنسبة — على الأقل — لزكريا محيي الدين . . فان زكريا كان هو الوحيد من بين أعضاء مجلس قيادة الثورة الذي تولى أهم المناصب التنفيذية فيما بعد . . ونعني بها رئاسة الوزارة سنة ١٩٦٥ . . وهو الذي قام بمواجهة شجاعة وصريحة لكل أخطاء الخطة الخمسية للتنمية .

* * *

وبعد هذا ، هل يقال أن بغدادي وكمال حسين وحسن ابراهيم كانوا حماة للديمقراطية وجنوداً ضد عبد الناصر الديكتاتور . . ؟

كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً !

* * *

الديمقراطية ليست إذن مجموعة من القوانين واللوائح .. ليست مجرد كلمات أو خطب أو تشنجات عصبية .. انما هى المشاركة فى الحكم .. انها الإيمان الذى لا يتزعزع بحق الشعب وممثليه فى المشاركة فى صنع القرار السياسى واصداره والإشراف على تنفيذه ومتابعة هذا التنفيذ والرقابة عليه .

الديمقراطية ليست عملية مظهرية .. ، بل أصل من الأصول .. لا تمنح من حاكم ، ولا يهبها سيد .. وهى جوهر إرادة التغيير الذى يجرى فى المجتمع .. لأن عملية التغيير لابد أن تصدر عن إرادة حرة من جماهير الشعب .. لا من إرادة الحاكم وحده .. فالمجتمع ليس عزبة للحاكم وليس « تكية » لمعاونيه .. والحكم ليس حكراً عليه .. أو وقفاً على عبقريته .. فالمجتمع مملوء بالعباقرة .. والأذكياء .. وأفراد المجتمع هم أصحاب الحق فى صنع القرار .. أى قرار !

إننا نصاب بالخديعة فى بعض الأحيان ونتوهم أن الديمقراطية هى الصراخ فى السرادقات .. أو امتشاق القلم وملء عدد من صفحات المجلات والجرائد .

الديمقراطية ليست هذا .

جوهر الديمقراطية هو المشاركة فى الحكم . .(١٥)

لكن الديمقراطية ليست فكرة قدسية تدين بها المجتمعات على اختلاف نظمها وظروفها .

فلكل مجتمع شكل من أشكال الديمقراطية يتفق وظروفه ودرجة تطوره .

وهناك أشكال من الديمقراطية مضحكة ومفجعة ومزيفة . . ويتصور بعض الحكام أنها تنطلى على شعوبهم . وأحياناً تخدر الشعوب بديمقراطية محشوة بالأفيون والمارجوانا فتتصور أن ما تعيش فيه هو الديمقراطية الحقيقية .

وفى أفـــلام رعاة البقر يصورون المجتمع الديمقراطى أنه المجتمع الذى يهب ليعلق شخصاً على شجرة ويشنقه بتهمة السطو على بنك أو الاعتداء على فتاة . . وقد يتضح بعد أن يصبح القتيل فى العالم الآخر . . يتضح أنه برىء .

لا يهم .

عندنا هذا مهم .

البراءة شىء مهم جداً عندنا .

النية والطوية وما فى النفس هام جداً فى بلادنا .

ولأننا نفترض فى حكامنا البراءة .. وسلامة النية والطوية . . فاننا نتصور أن أعمالهم كلها لصالحنا . . وما يحدث ضدنا فى بعض الأحيان انما هو نتيجة خطأ غير مقصود . . ونية غير متعمدة .

نحن نرى البراءة فى أصل الإنسان . . فما الذى يلجىء حاكماً — مثلا — على أن يعتدى على حقوق الشعب . . أوليس الشعب هو الذى أجلسه فى مقعده . . ؟ ألا يستمد قوته . . وسلطانه من الشعب . . ؟ . . فما الذى يلجئه إذن للعدوان . . ؟

لكن العدوان يقع . .

ويتصور الشعب أنه وقع بحسن نية .

أهذا نتيجة وضعنا الحضارى . . ؟ . . ألأننا ضمن المنطقة التى كانت مهد الديانات والرسل . . ؟ . . أم لأننا كنا مدرسة للعلم والمعرفة والحضارة منذ آلاف السنين . . فاكسبنا هذا حكمة . . وأدركنا أن الأصل فى الإنسان هو البراءة . . وأن هذه البراءة هى التى توجه أعمال الحكام وتصرفاتهم كما توجه الفرد العادى فى عمله . . وفى حياته . . وفى رزقه .

البراءة كانت عندنا دائماً مرتبطة بالديمقراطية . . فكل عمل

من أعمال الحاكم كنا نراه من خلال البراءة . . حتى العد وان على الديمقراطية كنا نراه من خلال البراءة . . ، لم نكن نتصور عدوان حاكم أو معاونيه على الديمقراطية . . وعندما كان يحدث هذا كنا نتصوره خطأ ما . . سوء فهم . . ، تقدير غير دقيق للأمور .

وفى الحقيقة أنه لا يمكن تصور انسان ما مجرداً من البراءة .

لقد كنا نرى رجال الثورة . . وخاصة أعضاء مجلس قيادة الثورة شباناً من عمرنا ، يضحكون مثلما نضحك ، يرتدون القمصان . . أو البدل الكاكى البسيطة . . ويسيرون بين أفراد الشعب ويذوبون فيه . . كنا نحبهم . . وما زلنا . . كانوا لنا بمثابة أصدقاء قبل أن يكونوا حكاماً . . لقد حملوا أرواحهم على أكفهم فى ليلة ٢٣ يوليو وقوضوا نظاماً عفناً بغرض إقامة نظام جديد . . ومستقبل جديد لصالح أفراد الشعب .

كنا نرى فى عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم . وعامر . . والشافعى . . وزكريا . . كلهم كنا نرى فيهم البراءة . . والصداقة . . والإخلاص . . وما زلنا نرى هذه النظرة . . لم تتغير رغم كل ما قيل ويقال .

وما نقوم به الآن من رد وتصحيح . . وتفسير وتوضيح لا يغير من هذه النظرة .

نحن مثلا لا نرى فى أن يقترض حسن ابراهيم من البنك الصناعى ٢٠ ألف جنيه عملا يخل بنزاهته .. فالكثير من الأفراد العاديين وغير العاديين يقترضون مبالغ طائلة .. لكننا دائماً نتصور أن من يتولى مسئولية عامة لابد أن ينزه نفسه عن الأعمال العادية التى يقوم بها بعض الناس .. ونرى — أيضاً — أن عضو مجلس قيادة الثورة لا يجب أن يساهم فى شركة لأنه فى موقع يستطيع فيه أن يملك أكثر من شركة مما يخل بحياده بين الشركات .. ويضفى عليه شبهة الانحراف عن الطهارة الثورية .

كان من المعتاد والمألوف فى العهد الملكى أن تنتزع الأراضى من صغار الفلاحين وتضاف إلى أملاك الإقطاعيين وإذا تجرأ أحدهم وقال : لا .. يجلد .. أو يقتل ..

وكان البوليس السياسى فى العهد الملكى يعرض جثث المعارضين على عربة كارو ويسير بها فى طريق سوهاج ليرهب الأهالى ..

وكانت الوزارات والقصر الملكى والأمراء يعملون فى السمسرة .. ويتاجرون فى دماء الجنود من أبناء الفلاحين والعمال. وكانت عمليات القتل تخطط وتدبر وتنفذ بواسطة السلطة .. حتى أن حريق القاهرة تم بمعاونة السلطة وبمساعدتها وبرغبتها ..

سلطة الملك والرجعية المصرية . . وإن كان الإنجليز هم الذين خططوا له . . ونفذوه . .

لدينا تاريخ دام . . ولذا فقد كنا نتطلع دائماً إلى حكم طاهر . . ونزيه . . ونأمل فى حكام يتصفون بالإخلاص والبراءة والطهارة . . وعند ما قامت الثورة وكان يأتى أحد الضباط بعمل مهما صغر حجمه ، يمثل جزءاً صغيراً من مائة مما كان يحدث قبل الثورة كنا نفزع . . ونبدأ فى التفسير والتبرير ونضع أنفسنا أمام احتمالين . . أولها . . أنه خطأ غير مقصود . . وثانيهما . . أنه خطأ مقصود ويجب أن يقصى هذا الضابط عن منصبه .

وقد كان طبيعياً أن يثور جمال سالم على حسن ابراهيم لأنه ساهم فى إحدى الشركات التابعة للمؤسسة الاقتصادية بأموال اقترضها من البنك الصناعى . . إن عمل حسن ابراهيم ليس ضد القانون . . ولا يخالف الدستور . . ويقوم به كل الناس . . لكنه ضد الطهارة الثورية . . وانحراف عن المبادىء الأخلاقية التى وضعتها ثورة يوليو . . وهى مبادىء غير مكتوبة . . لكنها مفهومة سلفاً . . إنها : البراءة .

من هذا الموقع نحن نثور ونغضب . .

وما قام به عبد اللطيف البغدادى فى مجلس الأمة سنة ١٩٥٧

حدث أكبر منه . . وأشنع . . وكانت السلطة فى الماضى تحل البرلمانات . . وتعتقل أفرادها . . وكانت المجالس النيابية وكرا للمؤامرات والمناورات والدسائس . . وكانت أيضاً معقلا للحرية . . وللديمقراطية وللحياة النيابية الصحيحة . .

وجهان لابد أن نرى فيهما الأشياء . . لنكون صادقين مع أنفسنا ومع الحقيقة . .

البراءة . .

من هذا الموقع نحن نغضب ونثور . .

ونحن إن كنا نأخذ على الصامتين الثلاثة الذين تكلموا عدم الوفاء . .

فإن ما يعنينا فى هذا كله هو : الثورة . .

إن ما يجعلنا نشتط فى بعض الأحيان ، ونتقول ، ونخطىء - فنحن بشر - هو حرصنا على الثورة واستمرار الثورة . . ألا يؤخذ كلام انتزع من بعض قواد ثورة يوليو فى فورة غضب . . أو لحظة ضعف حجة عليهم ضد الثورة . . وضد جمال عبد الناصر . .

فالثورة مستمرة . . .

وجمال عبد الناصر رمز لنا . . وعنوان على يقظة الأمة كلها . . وحركتها . وتقدمها . . وهو رمز باق . . وسيظل بيننا نحبه . . ونحترمه . . ونقدره . . ونذكره بالإعزاز . .

ونحن نذهب إلى أبعد من هذا . . نحن نذهب إلى أن عدداً كبيراً من الذين تكلموا لأن عندما تكلموا ونقدوا . . وكشفوا الكثير من الأخطاء . . فعلوا ذلك من موقع حرصهم على الثورة التي عاشوها . ومن موقع الحدب عليها . . وعلى استمرارها . . وعلى طهارتها . .

قد يكونوا أخطأوا في التقييم . . وفي الحكم على بعض الأشياء . لأنهم يختلفون في النظرة للاشياء . ولهم بالطبع وجهات نظر تبتعد وتقترب بقدر اختلافهم في النظرة . .

أيضاً نحن لا ننكر ولا يمكن أن ينكر أحد أن كل عضو في مجلس قيادة الثورة والضباط الأحرار قام بدوره بالطريقة التي رآها صالحة . وبالأسلوب الذي رأى - من وجهة نظره - أنه يفيد الصالح العام . .

هذا أمر لا اختلاف عليه . .

إنني حريص على تسجيل هذا حتى لا يلتبس الأمر على القوى

المضادة التي أن تتربص بنا الدوائر . . وتزعم أن الأوان قد آن لأن يضرب رجال الثورة بعضهم البعض ويمزقوا أنصع صفحات التاريخ المصرى . .

من هنا فنحن ننقد . ونغضب .. ونثور .. وهذا من حقنا .. لأن الأمر يعنينا .. ولأن هؤلاء الرجال يعنينا أمرهم أيضاً .. فإن الثورة لم تترد بعد . . ولم تأكل نفسها . لم يحدث هذا . . ولن يحدث .. والذين يريدون دفع الأحداث نحو الحافة لتسقط فى الهاوية سينقلبون على أعقابهم ، خسروا الدنيا والآخرة . .

* * *

البراءة هى أيضاً التى قادت كمال الدين حسين إلى أن يقف فى مجلس الأمة سنة ١٩٥٧ ضد الانتساب فى الجامعة . ويرفض رأى الأغلبية البرلمانية .. وكان هذا عملا ضد الديمقراطية . .

ونحن نرى فى هذا خطأ تردى فيه .. وقد قاده هذا الخطأ إلى نتائج خاطئة أيضا .

يقول كمال الدين حسين(١٦) :

بعد أن تقدمت ببيان سياسة وزارة التربية والتعليم إلى مجلس الأمة وأحيل إلى لجنة التربية والتعليم وتمت الموافقة

عليه .. وصل إلى علمي أن عدداً من أعضاء المجلس المعروفين بميولهم الشيوعية يحاولون جمع رأي عام في المجلس للموافقة على فتح باب الانتساب في الجامعات بدون قيد وبلا شرط .. ولم أهتم بادىء الامر .. إلا أنه حدث في أحد اجتماعات مجلس الوزراء وكان يرأسه جمال عبدالناصر أن قال لي بعد انتهاء الجلسة :

— يا أبو كمال ما تسيب باب الانتساب في الجامعات مفتوح للجميع . . عايزين الناس تبقى مبسوطة .

وقلت له : مش ممكن يا ريس .. احنا حددنا القبول لمن نجح وحصل على ٥٠ ٪ أما غيرهم فلن تكون هناك أماكن لاستيعابهم ولا أساتذة ولا مدرجات.

فابتسم وقال : بكره نشوف مجلس الأمة ح يعمل لك إيه .

ويذكر كمال حسين بعد ذلك أنه فوجىء بقرار برغبة من أعضاء المجلس في جلسة الثلاثاء ١٠ ديسمبر سنة ١٩٥٧ بإباحة الانتساب في الكليات النظرية بجامعات القــاهرة وعين شمس والاسكندرية(١٧) لجميع الحاصلين على الثانوية العامة دون التقيد بحصولهم على ٥٠ ٪ .. وقد استمرت الجلسة عنيفة وعاصفة حتى منتصف الليل وعندما عرض مشروع القرار على التصويت نال أغلبية كبيرة

ويقول كمال حسين :

« . . ووجدت نفسى لن أستطيع تحقيق هذه الرغبة لأنها ضد الصالح العام وليس الغرض منها إلا كسبا رخيصا لإرضاء الجماهير وذهبت إلى مكتبى وكتبت استقالتى . . وطلبت جمال عبد الناصر وأصريت على أن أقابله فى نفس الليلة وقدمت له استقالتى بعد منتصف الليل . . »

وبالطبع لا يمكن النظر إلى هذه القضية من زاويتها الديمقراطية فقط ورفض النزول على حكم ممثلى الشعب . . وعدم الانصياع لهذا الحكم .

لقد قلت أن كمال الدين حسين . . سار فى هذه القضية من موقع البراءة . . كانت نظرته للتعليم تختلف عن نظرة عبد الناصر . . وتختلف عن نظرة عدد من أعضاء مجلس الأمة .

وسياسة التعليم كانت فى مصر باستمرار محل أخذ ورد بين الثورة وبين المصلحين من جهة وأعداء التقدم من جهة أخرى .

والتاريخ يعطينا أمثلة حية على الصراع بين سعد زغلول زعيم ثورة ١٩١٩ وبين دنلوب المستشار الإنجليزى لوزارة المعارف فى الربع الأول من هذا القرن .

وجاءت حكومة الوفد الأخيرة وخاضت معركة شرسة . .

وأعلن طه حسين أن التعليم كالماء والهواء . . ولا يمكن أن نتقاضى عليه الدولة أجراً .. إنه من الخدمات التي يجب على الدولة أن تقدمها للمواطنين . . خدمة ضرورية وهامة كالعلاج والدواء . . ومقاومة الأمراض .

وعندما جاءت الثورة التفتت إلى قضية التعليم . . وأولتها اهتماماً متزايداً . . حتى أنه في بعض سنوات الثورة كانت تبنى مدرستين كل ثلاثة أيام . . كان لابد من تعليم الشعب وتثقيفه .

وكانت المعادلة الصعبة التي كان على قيادة الثورة أن تحلها . . هي: كيف يمكن تعليم وتثقيف أبناء الجماهير بالإمكانيات المتاحة . . ؟

يختلف الأمر في البلاد المتقدمة . . فهناك لا يمكن أن يزيد الفصل الدراسي عن الحد المقرر . . إذا كان الفصل لـ ٤٠ طالباً فلا يزيد طالباً واحداً . . لماذا . . ؟ . . لأن هناك فصولا أخرى مفتوحة . . والإمكانيات كبيرة . . والأموال متوافرة لبناء فصول . . ولاستقدام مدرسين .

هنا . . الإمكانيات محدودة . . والمدرسون قليلو العدد . . والأجهزة مرتفعة الثمن .

. كيف يمكن إذن أن نعلم العدد المتزايد من التلاميذ . . ؟

كيف يمكن — أيضاً — أن تقبل الجامعة أعدادا تتزايد باستمرار .. المدرجات محدودة .. وأعضاء هيئة التدريس قليلون .

هنا لابد أن تلعب الثورة دورها .

فعلى الثوريين تطويع الإمكانيات الحالية لتستوعب العدد المطلوب .. وعلى هيئة التدريس أن تبذل أقصى جهدها لتعليم أبناء الشعب .. إما بزيادة ساعات التدريس .. أو باستنباط وسائل متقدمة لإيصال المعرفة إلى كل أبناء الشعب .

لا شيء في البلاد النامية التي تنشد التقدم يسمى « وفقاً للإمكانيات » .. أو « طبقاً لكذا .. » .

فقانون الثورة ينفي المستحيل .. ويأخذ بالإمكانية .. إمكانية حل كل المشاكل .

إن هذه السياسة هي التي قدمت إلى البلاد العربية والأفريقية الآلاف من المدرسين المصريين في كل فرع من العلوم والفنون .. وهذه السياسة هي التي واجهت تعليم وتثقيف الملايين من أبناء شعبنا على الرغم من تزايدهم المستمر .. وقلة الإمكانيات المتاحة .

وهذه النظرية الثورية في التعليم هي نفس النظرية الثورية في

الحرب التحريرية .. إذ هى نفس النظرية التى قادت الشعب الفيتنامى إلى النصر . لقد استطاع هذا الشعب أن يحل المعادلة الصعبة . كيف يمكن مواجهة ثلاثة أرباع مليون جندى أمريكى ، وترسانة الأسلحة الأمريكية المتقدمة المدعومة من الامبريالية العالمية ؟ . وانتصرت نظرية الثورة .. وهى أنه لا مستحيل .. وأن هناك إمكانية لحل كل المشاكل .. حتى مشكلة حرب التحرير .

ونفس النظرية هى التى سادت فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ . إذ لو طرح السؤال حول عدد القوات .. والأسلحة والطائرات .. والتقدم التكنولوجى الذى يتمتع به العدو . لما أمكن خوض الحرب . ولكنا قلنا أن إمكانية الفرد الثورى تصبح بلا حدود عندما يواجه أعداء الثورة .. والسلاح البسيط يصبح أقوى الأسلحة فى يد ثورية .. كما يموت أقوى الأسلحة عنـــد التقليديين .

وفى قضية التعليم .. الكتاب المقرر على الطالب يمكن أن يقرأه خمسة من الطلاب .. والفصل الذى يتسع لأربعين .. يمكن أن يتسع لمائة طالب .. والمدرس الذى يقضى ٦ ساعات فى الدرس يمكن أن يزيدها إلى ٨ ساعات .

والتجربة المصرية فى العمل وفى الإنتاج تقدم لنا أمثلة حية على صدق هذه النظرية .. وفائدتها .

فالحكم الفنى مثلا على ٨٠ ٪ من العربات التى تسير فى خطوط الأرياف وتنقل الفلاحين من قراهم إلى القرى المجاورة . . هو حكم بالموت . . حكم بأن تصبح خردة . . ولكن العمال المصريين — وهذا — سر التلاحم بين الطبقة العاملة المصرية والفلاحين المصريين . . رأوا أن هذا الحكم يقضى بالموت أيضاً . . على الفلاحين وعلى القرى . . فبدأت تنتشر ورش الإصلاح فى القرى لإصلاح هذه العربات . . لا شىء مستحيل . . الثورة هى الإمكانية . . إمكانية عمل كل شىء . . وحل كل المشاكل . . ليس بالفهلوة بل بالعلم . . وبالتجربة .

فى حرب أكتوبر استطاع سلاح المهندسين المصريين تطوير بعض الأجهزة والأسلحة لتنسجم وتلائم الواقع .

أليس هذا عملا تقدمياً فى جوهره ؟

لا شىء مستحيل .

يجب ألا نركن إلى الواقع ، ونستسلم ونقول هذا مكتوب وليس بالإمكان أحسن مما كان ، وهذا العالم هو أحسن العوالم الممكنة .

لا شىء مستحيل .

إذا اختفت الشمس ، وغام القمر ، وأظلمت الدنيا ، وجفت

البحار .. وماتت الأغصان .. وظن الأشرار أنهم قادرون عليها أتاها أمر الله .. فمن احتكاك الصخر الصلد تخرج شرارة الحياة .

ولقد كان كمال الدين حسين يرى المستحيل فى قضية التعليم .. ، التغيير مستحيل ، القواعد التى أرسيت مقدسة لا ينبغى المساس بها ، ، ١+١ = ٢ فقط .

وإذا سلمنا بأن كل شىء مستحيل فى هذه الحياة .. فلم كانت الثورة . ولم كان الأمل فى التغيير ؟

إن التعليم ليس عدداً من الفصول . . ، ولا أجهزة معملية ، ولا جملة من أعضاء هيئة التدريس .. ، ليس التعليم كتباً وأقلاماً من الرصاص . . وأجراساً تدق كل صباح .

فالتعليم يمكن أن يتم بدون فصول .. وبلا أجهزة .. وبدون أجراس تدق . . ، وبلا أجراس على الإطلاق .

التعليم قضية ثورية . . بل هو قضية كل ثورة . . ، لأن تعليم أبناء الشعب هو الأمل . . والمستقبل . . وبالتعليم يمكن أن تسير الثورة وتتقدم وتبنى المجتمع الجديد .

ولا يمكن أن يترك الشباب من خريجى المدارس الثانوية

خارج أسوار الجامعات يمضغون الضياع . . والقلق . والخوف من المستقبل .

وكان لابد أن تستجيب الثورة لنداء يمثل الشعب وأن تفتح الجامعة لمن يريد الانتساب بها . . فالمعيار ليس فى الدخول إلى الجامعة .. انما فى عملية التحصيل من الجامعة .. وفى الاختبارات المتتالية والمتوالية التى تحكم على درجة تحصيل الطالب .

هنا تلعب الإمكانية دوراً خطيراً .

أهذا بالإمكان . . أم مستحيل . . ؟

لقد قال كمال الدين حسين أنه مستحيل . . وكان ضد قانون الثورة . وضد قانون كل ثورة .. ولم يكن فى هذا متجنياً .. انما كان بريئاً . . لأنه كان لا يعرف .

أكان كمال الدين حسين يدرس ويعرف ويعلم ويعى أبعاد قضية التعليم فى مصر . . ؟

نشك فى هذا . . وإلا لما وقف ضد فتح أبواب الجامعات لمن يريد الانتساب .

لكن ما حدث بعد ذلك . . كان هو جوهر الصدام .

إذاً كيف يمكن أن يتحول ثائر . . ثار من أجل الشعب فى

٢٣ يوليو سنة ١٩٥٢ . . ليصبح فى سنة ١٩٥٧ ضـــد إرادة الشعب ؟

وبصرف النظر عن كل اعتبار .

وإذا ما نظرنا إلى الموضوع كله مجرداً من كل الظروف المحيطة . . فبماذا نحكم عليه . . ؟

ببساطة شديدة : إرادة مجلس الشعب تقـــول بفتح باب الانتساب .

الوزير المسئول : يرفض .

أين الديمقراطية إذن . . وفى أى جانب ؟

هل تدخل جمال عبد الناصر فى هذا الأمر . . ؟ . . هل أوعز إلى النواب أن يتفقوا مع الجماهير . . . ؟ . . هل أوحى إليهم أن يساندوا الطلبة ؟

وهل تدخل لتكون نتيجة التصويت على القرار برغبته لصالح النواب ضد الوزير كمال الدين حسين . . ؟

لا أحد يستطيع أن يقول هذا .

لقد قدم كمال الدين حسين استقالته لأن سياسته مرفوضة من مجلس الأمة .

وكانت المفاجأة أن يعلن عبد الناصر أن السياسة التى يعرضها الوزراء عـــلى مجلس الأمة لوزاراتهم هى تعبير عن سياسة الحكومة .

لقد وقف ناصر مع الوزير ضد مجلس الأمة .

وفى الحقيقة أنه أراد وحدة الصف لأعضاء مجلس قيادة الثورة . . كان يعرف أن كمال الدين حسين لا يعرف أبعاد العملية الحضارية التى يعنيها التوسع فى منح فرص التثقيف والتعليم للشباب . . وكان يعرف أيضاً أن رفض الوزير الأخذ بما قرره مجلس الأمة هو عمل غير ديمقراطى . . إلا أنه أراد أن يأخذ الأمر على عاتقه . . وأن يقدم الجوهر على المخبر . . فأعلن أن سياسة الوزير جزء من سياسة الوزارة وبما أن مجلس الأمة كان قد أقر سياسة الوزارة ككل . . فلا محيص عن التسليم بها جزءاً جزءاً .

تم أصدر توجيهاته فى الوقت نفسه لقبول أوراق الطلبة المنتسبين . . وكان عددهم قليلا .

كان العام الدراسى قد بدأ منذ أكتوبر ١٩٥٧ وقد مر أكثر من شهرين . . ورفض قبولهم فى الجامعة كمنتسبين فيه ضياع لعام دراسى لا ذنب لهم فيه :

وهكذا اختار جمال عبد الناصر الجانب الشائك فى الصراع

وهنا صمت البغدادى .. لماذا لم يهدد عبد اللطيف البغدادى وهو رئيس مجلس الأمة بالاستقالة .. ؟ .. لماذا لم يهدد بأنه سيفجر قنبلة للعدوان على الاغلبية البرلمانية .. والدستور .. وما إلى هذه الشعارات .. ؟ .. لماذا .. ؟ .. لان الموقف فى هذه المرة كان لصالح زميله كمال الدين حسين ..

عندئذ يصبح إهدار الاغلبية البرلمانية مباحاً .. والدستور مستباحاً .

لقد حدث تجاهل للأغلبية البرلمانية .. شكلا .. اما فى الحقيقة والواقع .. أخذ برأيها فقد فتحت أبواب الجامعة لمن يريد أن ينتسب .. وكان هذا انتصاراً للأغلبية البرلمانية .

ما موقع هذه العملية من قضية الديمقراطية .. معها أو ضدها؟

هم يستطيعون أن يحكموا أكثر .. ما داموا قد تكلموا بعد صمت .. وتكلموا كثيراً .

هوامش الفصل الثانى

(١) قوانين يوليو الاشتراكية ١٩٦١ — كتب سياسية — ١٩ نوفبر سنة ١٩٦١ ص ٣٧٧ ، ٣٧٨ - القاهرة

(٢) محمود الجيار — مجلة روزاليوسف — العدد ٢٤٨١ - ص ١٤

(٣) سامى جوهر — الصامتون يتكلمون - ص ٣٠

(٤) كان عبد اللطيف البغدادى وزيراً للشئون البلدية والقروية ووزيراً للتخطيط .

(٥) بدأ مجدى حسنين التفكير سنة ١٩٥٢ فى إنشاء مديرية التحرير. لتشمل مساحة ٦٠٠ ألف فدان قد تصل فى المستقبل إلى مليون فدان تقع بين ترعة النوبارية والطريق الصحراوى بين مصر والإسكندرية ، تنتفع بالرى من مياه الفيضان بالرفع ١٠ أمتار و ٢٠ متراً بحيث تكون تكاليف رى الفدان تتراوح بين ١٫٥ و ٢٫٥ جنيه للفدان سنوياً .
وفى سنة ١٩٥٣ بدأت الخطوات لتنفيذ المشروع فتقرر أن تبدأ بعشرة آلاف فدان . . وعندما صدر قرار بأن يتول الاشراف على المديرية إلى وزارة الزراعة وإبعاد مجدى حسنين عنها .. قدرت أرض المديرية

المزرعة بـ ١٠ آلاف فدان و ٧ آلاف فدان أخرى معدة للزراعة و ٤ ملايين شجرة ووصل مجموع ما أنفق عليها حوالى عشرة ملايين جنيه . وكان هذا المشروع هو أول تجربة حقيقية لزراعة الصحراء بطرق علمية وحديثة .. وقامت فكرته على أساس الزراعة الثقيلة .. والملكية الجماعية للأرض ومزارع الدولة .. وقد أنشيء فى هذه القطعة من الصحراء مجتمع جديد وكان يعمل فيها حوالى ٢٠ ألف نسمة فى خمس قرى . وكانت المديرية تضم مدارس ومصانع ومسارح وسينما ويقدر الآن ثمن الأشجار التى زرعت فى المديرية بـ ١٢٠ مليون جنيه على أساس أن ثمن الشجرة ٣٠ جنيها ... ، وقد تشكل المديرية مجلس إدارة جديد ونقلت تبعيتها لمجلس الوزراء فى ٢١ مارس سنة ١٩٥٤ وكان المجلس الجديد يضم البغدادى وكمال حسين ... وقـــد سجل عبد اللطيف البغدادى بخط يده عند زيارته للمديرية : لقد تحولت الصحراء الجرداء إلى أرض خضراء يانعة وإنما لمسته من روح الشباب الطموح الذى يعمل بها ليدل على أن شبابنا مقبل على مستقبل باهر .. واليوم يحق لنا أن نطمئن أننا مقبلون على نهضة كبيرة ستحقق الأمل المنشود فى ثورة الشعب .. وفى سنة ١٩٥٧ كان البغدادى أول من سدد السهام لمديرية التحرير !

(٦) يدعى الكتاب أن تقارير استطلاع الرأى العام كانت تقرر فوز موسى صبرى فى الانتخابات ، ولم يذكر الكتاب ماهية هذه التقارير ، إلا أنه من الثابت أن هناك ضباطاً كثيرين دخلوا المعركة الانتخابية وخاضوا تجربتها .. بعضهم فاز وبعضهم سقط .

(٧) لطفي واكد ضابط من الضباط الأحرار ، اشترك في عدة تنظيمات سرية قبل الثورة ثم انضم إلى تنظيم الضباط الأحرار . كلفه عبد الناصر بالاتصال بالفدائيين في القناة لمساعدتهم في التدريب والتسليح وقيادة مجموعاتهم . قام بعمليات فدائية جريئة في منطقة السويس قبل الثورة وبعد الثورة .. تولى رئاسة تحرير جريدة الشعب ، كان عضواً بمجلس الأمة في أول برلمان بعد الثورة . أعتقل في عهد جمال عبدالناصر .. ، خرج من الاعتقال ليشترك في المقاومة الشعبية بعد هزيمة ١٩٦٧ وكان قائداً لمنطقة القنطرة .

(٨) [أضواء على مديرية التحرير : بقلم لطفي واكد] :

منذ أيام قليلة ، أصدر السيد رئيس الجمهورية قراراً بإلغاء القانون رقم ١٤٨ لسنة ١٩٥٤ بإنشاء مؤسسة مديرية التحرير وضمها إلى الهيئة الدائمة لإصلاح الأراضي البور .

ولم يكن هـذا القرار مفاجئاً بل كان من المنطق توقع صدوره استكمالا للشكل القانوني ووضعا لجميع النقط فوق الحروف .

لم يكن طبيعياً ولا معقولا عند إنشاء هذه المؤسسة — التي تحمل معنى ثورياً رائعاً — أن تقوم في ظل القواعد واللوائح والنظم الحكومية وإلا لكتب لها الفشل . لأن جهازنا الحكومي لم يتطور تطوراً ثورياً كافياً لاستيعاب عمل ثوري ضخم كانشاء هذا المشروع . ولا تسمح قواعده المتبعة بتحمل الهزات التي تنشأ في مرحلة بنائه لمثل هذا العمل الجبار ، فكانت حكمة واضحة أن يولد متحرراً من الروتين الحكومي — وقام المشروع فعلا وحقق غزوا ناجحاً لفضاء الصحراء

ـ وخلق نواة لتوسع غير محدود فى رقعتنا الزراعية وقام فى ظله لأول مرة فى تاريخ مصر ـ مجتمع مصرى ، عادل ، مستكمل لجميع مقومات المجتمع الكريم ـ وعندما وقف هذا المشروع الجبار على قدميه وأصبح حقيقة بعد أن كان فكرة ، كان أمراً طبيعياً أن تعود الأمور إلى وضعها الأصيل ، بعد أن زالت الأسباب الاستثنائية التى فرضت قيام المؤسسة خارج نطاق الجهاز الحكومى ، فصدر قرار الرئيس بإلغاء قانون المؤسسة ، وضمها لوزارة الإصلاح الزراعى ، تحقيقاً للوضع الدستورى السليم وإيذاناً بانتهاء مرحلة الإنشاء وبدء مرحلة الإنتاج .

والآن ، ونحن فى بدء المرحلة الجديدة ، مرحلة ينتقل فيها هذا المشروع الثورى العظيم من يد أمينة إلى يد أمينة ، نتمنى للقائمين عليه كل توفيق فى إتمام الرسالة واستمرار الثورة الاجتماعية مع التوسع الزراعى ، تحقيقاً للخير العام للشعب .. كما يقتضينا واجب الإنصاف ، أن نسجل التقدير لهؤلاء الذين جعلوا من هذه الفكرة التى كانت حبراً على ورق عملا عظيما تفتخر به مصر ، وتعتز به الأجيال المقبلة .

(٩) المرحوم عمر أباظه ، كان مديراً لمكتب عبداللطيف بغدادى.

(١٠) حديثنا مع مجدى حسنين فى ١٩٧٥/١١/٢٩

(١١) مذكرات محمود الجيار ـ الأسرار الشخصية لجمال عبد الناصر ـ مجلة روزاليوسف ، العدد ٢٤٧٦ فى ١٩٧٥/١١/٢٤ ـ القاهرة .

(١٢) المصدر السابق .

(١٣) نرجح أنه حسين الشافعي .

(١٤) سامى جوهر — الصامتون يتكلمون — ص٤٢ - المكتب المصرى الحديث — القاهرة .

(١٥) إذا قامت الاشتراكية يبق حانقوم الديمقراطية ، إذا قامت اشتراكية بدون ديمقراطية ، تبق اشتراكية مزيفة ، تبق شعار فقط ، التى كانوا بيسموها فى ألمانيا الاشتراكية الوطنية ، أيام هتلر - ناصر - الاجتماع الرابع فى محادثات الوحدة الثلاثية ١٩٦٣/٣/٢٠ .

(١٦) الصامتون يتكلمون — ص ٤٢ ، ٤٣ .

(١٧) كان فى مصر ثلاث جامعات فقط هى القاهرة وعين شمس والاسكندرية ، ثم أنشئت جامعة أسيوط سنة ١٩٥٧ ، ولم تكن قد بدأ العمل فيها بعد هذا وقد وصلت ميزانية التعليم فى هذا العام (١٩٥٧) إلى ٤٥ مليون جنيه ، وكانت فى سنة ٥٣ — ٥٤ (٢٦٫٨٠٠٫٠٠٠ جنيه) فقط .



« .. نحن طلاب وحدة ووحدويون عن اقتناع بدليل اننا قبلناها فى عام ١٩٥٨ والجميع يعلم أنها كانت صعبة» .

جمال عبدالناصر

ببساطة .. وسهولة كمضغ اللبان الأمريكانى ، يقول الصامتون الثلاثة الذين تكلموا . . ووجدوا ما يمكن أن يتكلموا فيه . . قالوا أنهم كانوا ضد الوحدة التى قامت مع سوريا فى فبراير سنة ١٩٥٨ .

وقد انساقوا لهذا الكلام ظناً منهم أن هذه الوحدة كانت ملكاً خاصاً لجمال عبد الناصر . . وانحيازاً لثورة يوليو .

ولما كانت الوحدة قد انتهت بالانفصال . . فان موجة إلصاق المسئولية والخطأ — أى خطأ — بعبد الناصر وبثورة يوليو قد جرفتهم . . فانساقوا مع التيار . . تدفعهم الموجة إثر الموجة . . فذهب بهم التيار سريعاً إلى حيث لم يتصور أحد أن يكونوا هناك .

لقد أدى بهم الظن بأن الوحدة فكرة ملعونة أصيب بها عبد الناصر . . فأورثها الشعب العربى الذى انجذب اليها أو انجذبت إليـــه .

وهذا الظن الذى يصاب به هذه الايام عدد من الشخصيات

التى كنا نحترمها ونجلها لا تشخيص طبى له حتى الآن . . انما التشخيص العلمى له أنه ناتج عن الجهل ببديهيات الأمور .

وقد نخطىء نحن فنردد المثل الذى يقول : عدو عاقل خير من صديق جاهل . . ونتذكر قصة الدبة وصديقها ، التى رأت ذبابة تطن على رأسه فأرادت أن تتخلص منها لتهيىء له نوماً سعيداً هنيئاً فأحضرت حجراً كبيراً وألقته على رأس صاحبها .

صحيح أن هذه المبادرة الذكية جداً قد أدت إلى التخلص من طنين الذبابة . . إلا أنها أدت أيضاً — ودون أن تدرى الدبة لجهلها — إلى قتل صاحبها .

وهكذا بينما يريد الصامتون أن يزيلوا الغبار الذى علق بتاريخهم . . إذا بهم يقتلون أنفسهم دون أن يشعروا .

وقد بدأت القصة بمحاولة ذكية للتنصل من شرف انتسابهم إلى الوحدة المصرية السورية قائلين أنهم كانوا ضدها .

ونحن بالطبع لم نسألهم عن رأيهم إذا ما كانت الوحدة قد نجحت .. هل يكون هذا رأيهم ..؟ .. غير أننا نعرفه مقدماً وهو : الادعاء بأنهم كانوا مع الوحدة قلباً وقالباً .

بل قد يصل بهم حد الادعاء بأنهم المبشرون بها . . الداعون

إليها . . ، المناضلون فى سبيلها ، . . و . . إلى آخر ما فى جعبتهم .

وتوجد فى القواميس كلمة لوصف هذا الموقف وهى : الانتهازية . إلا أننا نتعفف عن استعمالها . لماذا ؟ لأننا ندرك تماماً . . كما يدرك كل من قرأ كلامهم أنهم لا يعرفون . . وأن حسن النية وليس سوء النية كان وراء كل ما قيل وما سوف يقال .

فهل الوحدة العربية ببساطة قطعة من اللبان يمضغها هذا أو ذاك ؟ .

أهى فكرة ضائعة يتلقفها هذا أو ذاك . . ويتمسح بها هؤلاء وأولئك ؟ .

إن الوحدة العربية أكبر من كل هذا .

الوحدة العربية أكبر من جمال عبد الناصر . وأكبر من ثورة يوليو . . وأقوى من النظم والملكيات والجمهوريات .

الوحدة العربية قدر ومصير . . وهدف . . وأمل . . وحركة تاريخية تعبر الزمان وتتخطى المكان وتشرق عندما يدلهم الليل ونعجز عن الرؤية .

الوحدة العربية موجودة . . كائنة فى المنطقة العربية تصهرها

شمس الصحراء فتتحول إلى بركان يقذف الحمم على أعداء العروبة وأعداء الوحدة .

الوحدة كانت موجودة قبل جمال عبد الناصر . . وبعد جمال عبد الناصر . . وسوف تظل موجودة .

على أنغام الوحدة تقدمت الجيوش العربية لتصد غارات التتار عن الشرق . . وتحمى الحضارة .

وبالوحدة التحمت أجزاء الوطن العربى وواجهت العصابات الأوروبية المرتدية مسوح الرهبان ومحتمية بصليب المسيح . . وبدأت غاراتها على الشرق العربى فى نهاية القرن الحادى عشر واستمرت أكثر من ثلاثة قرون .

وفى هذه الفترة ظهر صلاح الدين . . الرمز والبطل . ظهر كالشهاب اللامع . . ليجذب الأنظار إلى الفكرة . . ويدفع الشعب العربى إلى الهدف .

واستطاع صلاح الدين أن يحرر الشرق من الاستعمار الأوربى . . وأن يطرد العصابات الأوروبية التى تسترت بالدين واستعملت اسم المسيح لتحقق مطامعها وتستولى على الشرق وأرضه وثرواته وتخضعه وتستعمره وتستنزفه .

وفى القرن الحادى عشر انقض آل عثمان على الشرق العربى .. فأخضعوه كله بالسلاح والقتل والإرهاب .. ونام الشرق كله خمسة قرون .. ثم كان عليه أن يستيقظ .. أن ينهض .. لقد اختمرت الفكرة ووضح الهدف .. ومن وراء التاريخ ظهر صلاح الدين .. وهكذا تحرك العرب .. يتكلمون بلغة واحدة .. فى الشام .. وفى مصر .. وفى العراق .. وفى ليبيا .. وفى الجزائر .. وفوجىء طاغية آل عثمان بأن المارد الذى تصور أنه مات يبعث من جديد .. وهوى طاغية آل عثمان طريح الفراش .. مريضاً مرض الموت .. وسمى الرجل المريض .. وبدأت دول أوربا تتآمر على أملاكه وخزائنه وجواريه .

وفى أوائل هذا القرن انبعثت نفس الصرخة العربية من كل بلد عربى .. ضد المستعمر الأوربى الجديد الذى كان يريد أن يزيح الرجل المريض من الطريق .. وتوهم أنه يستطيع أن يستخدم العرب لتحقيق أحلامه ومطامعه مقابل أن يتفضل عليهم ببعض الألقاب وببقايا الموائد .

ونبضت الوحدة فى العروق وفى القلوب .. واستشهد الأبطال على بنادقهم وهم يدافعون عن بلادهم كلها .. وكان فى ميدان المعركة شهداء من كل البلاد العربية .. من مصر وسوريا والعراق .. وليبيا .. والجزائر .. وتونس .. واليمن .. شهداء وأبطال

من كل البلاد العربية . . لم يكن هناك فواصل بين الماضى والحاضر والمستقبل . . اختلط التاريخ مع الدم . . وماتت الاختلافات . . وقبرت المطامع الصغيرة . . وسطعت الحقيقة الوحيدة . . وهى الوحدة بين كل العرب .

لقد تقدم الأجداد على أنغام الوحدة وردوا عدوان المغول عن أبواب الشرق . . وأنقذوا المدنية والحضارة .

وفى الحرب العالمية الثانية وبعدها كان لحن الوحدة المقدس يسرى كالنار بين جماهير الشعب العربى .

لم تكن هناك قوة قادرة على الوقوف ضد الحلفاء المتخمين بنشوة النصر . . إلا وحدة العرب . . ولذا فقد أرادوا تمزيق هذه الوحدة بدق إسفين « إسرائيل » فى قلبها . . ولتحول دون لقاء المشرق العربى بالمغرب العربى، وليصبح هذا الإسفين «إسرائيل» ترسانة سلاح لحراسة منابع البترول وحمايتها : شريان الحياة لأوربا والغرب . . ولتكون رأس حربة للاستعمار فى الوطن العربى . . والسوط فى يد الغرب لتأديب الثورات الوطنية . ووأد صرخات الحرية .

ولم يكن المطلوب ضمان تدفق البترول إلى أوربا . . ولا قيام إسرائيل بدور الشرطى فى منطقة الشرق الأوسط لصـــالح

الامبرياليين . . ، كذلك ولا لإجهاض الحركات الوطنية . . فقط .

كان المطلوب قيام الدول العربية بدور الحزام الاستراتيجي حول الاتحاد السوفيتي . . والقوى الاشتراكية فى أوربا .

وفوق هذا كانوا يريدون أن تظل الجماهير العربية كما هي . . فقيرة ، ومتأخرة وجاهلة ومتخلفة . حتى تستأنس وتخضع لهم . . وتعجز فى الوقت نفسه على استثمار موارد البلاد واستقلالها لصنع التقدم .

وكانوا يتسلون بتصفية الوحدات السياسية واحـــدة بعد الأخرى .

وكانت مصر تقف كالمارد ضد كل هذه النوايا السيئة والمشاريع المشبوهة .

كانت مصر تناضل ضد حلف بغداد . . وضد ضم البلاد العربية إلى مناطق النفوذ . . وضد السيطرة الإمبريالية .

وكان الاستعمار الجديد قد ارتدى أقنعة جديدة وثياباً جديدة . . وجاء يتكلم لغة جديدة . . يقول فيها أنه يريد انقاذ البلاد من الشيوعية . . كان يريد ضم البلاد العربية كلها فى قبضته بدعوى الحماية من الشيوعية .

وقالت مصر أن هذه اليد لا تحمى بل تهدد . . إنها لا تدافع عنا بل تخنقنا .

لم نتعب من النضال . . أبداً لم يتصور الشعب العربي أن الأوان قد آن للراحة والهدوء .

وكانت الوحدة تعطى للنضال مذاقاً يظل على لسان البطل حتى يصبح شهيداً . . وتمنح الموتى شهادة بالحياة من جديد .

فالوحدة حياة . . وميلاد . . وبعث مستمر . . ومتجدد . . وهي قدر ومصير . . وبداية لا نهاية لها .

والوحدة كانت قبل عبد الناصر . . وبعد عبد الناصر .

والوحدة ولدت وسط معارك الحرية . . ، وفى ميادين الوطنية والقومية . . فأكسبتها هذه الولادة . . قوة . . وحيوية . . وخصوبة .

ولم يكن عسيراً على عبد الناصر أن يحس بهذا النبض القوى فى جنبات صدره . . . ، ولم يكن صعباً عليه أن يشعر بالقمح ينضج على عيدانه ، ويصبح فى لون الذهب ، ووقت الحصاد يدق الأبواب . . لم يعد ثمة مبرر للانتظار .

المخاض أيها السادة بدأ . . وحركة الوحدة العربية تدق بعنف أبواب التاريخ . . وعجلة الأحداث تسرع فى سيرها .

أية قوة يمكن أن تقف أمام هذا الأفق المشرق بالمستقبل ..؟

إن كل شيء . . كل كائن . . كل ذرة تدق بالوحدة . . فمن يجرؤ على مواجهة أمواج البحر المتلاطمة .

الجداول الصغيرة ، والقنوات ، والبحيرات .. تندفع كلها إلى البحر الكبير . . إلى المحيط . . من البحر إلى المحيط نداء واحد . . وصوت واحد . . وقلب واحد : الوحدة .

ووسط هذا النشيد القدسي . . المتدفق انقضت ثلاث دول على مصر لتضربها . وتدفن رمزها . . وأملها .

في الماضي لم يكن ثمة خطر .

الخطر الآن ماثل .

الأمـــة قد وجدت رمزها الذي يجسد أملها . . ويترجم صرختها .

لقد ظهر البطل الذي انتظرته الأمة طويلا ، البطل الذي يتحدى المردة والشياطين . . ، ويصارع التنين ذا الألف ذراع .

ولأول مرة في التاريخ تقف دولة صغيرة في مواجهة ٣ دول . . منها دولتان كبيرتان هما انجلترا وفرنسا . . ، ثلاث دول مزودة بأحدث الأسلحة . . وأقواها وأشدها فتكا .

وتحدى عبد الناصر وقال : سنقاتل ولن نسلم .

وتراجعت الدول الثلاث وانسحبت جيوشها .

وهكذا تحقق المستحيل ، . . حدث ما لم يحدث من قبل .

أمكن مقاومة الاستعمار وضربه .

وهكذا شدد الوطنيون هجماتهم فى كل المواقع .

وبالمقابل وجه حلف بغداد حرابه نحو سوريا عبر تركيا التى حشدت قواتها على الحدود السورية وأخذت تضغط وتستفز وتهدد.

وآزر الأسطول السادس الأمريكى هذه التهديدات وأخذ يتجول على شواطىء البحر المتوسط ويغازل سوريا ولبنان .

نضجت الظروف الموضوعية ولابد من الوحدة لدفع العدوان ورده .

ولم يكن هناك بلد يمكن أن يقود سوى مصر . . فمصر هى التى تصدت . . ومصر هى التى انتصرت على العدوان الثلاثى بجيوشه الجرارة وأسلحته المتقدمة .. وتاريخه العريق فى الاستعمار والإجرام .. مصر هى التى صمدت .. مصر هى التى فدت العروبة . . مصر هى التى تقدمت الصفوف .. على مر التاريخ مصر كانت فى المقدمة . . تتعرض للضربات . . . تتعرض للنكسات . .

وتتقدم نحو الانتصارات . . ولم تنغلق على نفسها أبداً . . حتى فى العصر العثمانى المظلم كانت تتطلع إلى هناك . إلى بقية الأجزاء العربية .

« أما عبد الناصر .. القيادة الثورية المصرية فهو فى شخصه ونفسيته وتفكيره والنظام الذى أوجده والاتجاه الذى اعتنقه وأخلص له، والقاعدة المنظمة المتينة التى ركز عليها هذا الاتجاه والتى هى نظام الحكم فى مصر كنواة جبارة ومنطلق فعـــال لاستقطاب نضال الشعب فى كل مكان واجتذاب كل عناصر الخير والكرم والتقدم الكامنة والمتناثرة فى هذا الشعب ، إن جمال عبد الناصر هو فعلا وبالذات موضوع وهدف لهذه المعركة الفاصلة التى يشنها الغرب الاستعمارى ، من خلال شخصه، على العرب وحريتهم ووحدتهم وتقدمهم »(١)

وهكذا كان على الوحدة أن تولد . . وفوراً . . وكان على مصر أن تقوم بدورها الوحدوى بلا تردد .. وكان على عبد الناصر أن يأخذ مكانه فى المقدمة ويقود :

كان على الوحدة أن توجد . . وكان على مصر أن تقف فى صف واحد مع سوريا . . وتلتحم البلدان . . وينصهر الشعبان ويذوبان فى كيان واحد . ونشيد واحد . . ولحن قدسى واحد .

وفى هذا الوقت . . وأسباب الوحدة تنادى الجماهير . . وحتميتها تستصرخ كل القوى السياسية فى المنطقة . . دفع الغرب بعملائه للتآمر على حياة عبد الناصر . . والقيام بانقلاب ضده . . والتقى الغرب الاستعمارى مع الرجعية والعمالة العربية ممثلة فى نورى السعيد وزمرته من الخونة . . وتصور رواد ألبوت هول فى لندن أنهم على وشك سماع اللحن الجنائزى على ثورة يوليو . . وعلى بطلها . . ابن مصر . . جمال عبد الناصر . . وكتب زعيم حزب البعث العربى :

« . . لو زال عبد الناصر ، كان ذلك سيرجع بالعرب عشرات السنين إلى الوراء ، إلى زمن الاحتلال والتجزئة والفساد والانحلال ، لأن سياسة عبد الناصر الاستقلالية العربية قد رفعت قضية العرب وامكانياتهم درجات حاسمة إلى فوق ونقلتها إلى المستوى الجدى الذى يفصل فصلا حاسماً لا لبس فيه بين الأوضاع الراهنة الفاسدة التى هى سبب ضعف العرب وسيطرة الاستعمار

ووجود إسرائيل ، وبين الحيـــاة والأوضاع الجديدة التي يتطلع إليها العرب والتي توفر لهم من أسباب القوة مايكفل تحررهم ووحدتهم.. »(٢)

لا أيها السادة الذين لزمتم الصمت طويلا كما تقولون . . ثم تكلمتم أخيراً . . الوحدة لم تكن قطعة من اللبان الأمريكانى تمضغونها بمثل هذه البساطة والسهولة .

ما من أحد يصدق بعد ما قرأ هذا الكلام الذى نشرتموه بعد ادعاء صمت . . أنكم كنتم فى يوم ما . . فى موقع الحكم والمسئولية . . أبداً لن يصدق أحد ذلك .

ولكى يصدق الناس هذا . . يصدقون أنكم كنتم فى موقع الحكم والمسئولية، لأنه كان حقيقة للأسف . . لا بد على الأقل أن نحكى وأن نعيد . . وأن نستعيد بعض هذا الكلام الذى هو كمضغ اللبان . . للتسلية والطرافة ليس إلا . . فإذا ظهر منه ما ظهر . . من أنكم كنتم تهرفون ، ولا تعرفون ما تقولون ، . . والموضوع كان أكبر . . ، والخطب كان أعظم . . انقلبتم تعضون بنان الندم حيث لا ينفع سوى النواح على سالف العصر والأوان .

* * *

وقبل أن ندخل فى الكلام الذى يكرم به المرء أو يهان . . ينبغى التركيز على ما قدمنا من معان :

- أن الظروف الموضوعية هى التى فرضت الوحدة المصرية السورية فى فبراير سنة ١٩٥٨ .

- أن الخطر من حلف بغداد كان ماثلا على المنطقة من خلال التحرش بسوريا .

- أن الوحدة جزء من استراتيجية الإحاطة بإسرائيل وهى الاستراتيجية التى تحققت خلال حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ .

* * *

ونصل الآن إلى قول الصامتين أنهم كانوا ضد الوحدة . . وكانوا يطالبون بالاتحاد فقط .

كأن ما ينطبق على الوحدة لا ينطبق على الاتحاد . . أو كأن الوحدة شىء مختلف تماماً عن الاتحاد . . الوحدة هى الأصل والاتحاد هو الفرع . . وما يسرى على الأصل يجرى على الفرع . . إلا أن هناك اختلافات طفيفة .

ولكن هذا يتطلب منا وقفة طويلة لأن هناك بديهية أساسية

تحكم كلام الصامتين كله فى هذا الموضوع . . وهذه البديهية هى أنهم يعلمون ولا يعرفون .

● يقول كمال الدين حسين :

« . . قلت لعبد الناصر أن يرفض الوحدة ويكتفى بالاتحاد »

وسألنى : ليه يا كمال ؟

فقلت له : إننى لا أثق فيهم . وأرى أن البعثيين المتولين الأمور فى سوريا عملاء . . وميشيل عفلق وجورج سعادة دول أكبر عملاء ويعملون ضد الإسلام واعتقادى أن الوحدة مش حتنفع . . انما يريدون الاستناد إلينا فترة من الزمن حتى تقوى حركتهم ثم ينفصلوا . . ورفض الاخذ برأنى ، وقد كان عبد الناصر أيامها يبحث عن الزعامة . . وقد قال لجمال سالم مبرراً قبوله الوحدة أن البلد فيه مليون مشكلة وقبولى الوحدة هو الحل الوحيد لتغطية كل الفشل . . (٣) » .

ويتفق عبد اللطيف البغدادى مع كمال الدين حسين فى أنه كان معارضاً للوحدة وأنه قال لعبد الناصر « إن البزرى شيوعى وهو عندما يعرض الوحدة بدلا من الاتحاد يريد أن يحقق أمرين هما . . أنه إذا رفضت الوحدة سارع وأعلن أن مصر ترفض وحدة

الدول العربية وبذلك تفقد زعامتها فى الدول العربية . . وإذا قبلنا الوحدة فسيكونون هم الذين سعوا إلى تحقيقها ثم يعملون على تقويضها ويلقون باللوم علينا وتفقد مصر زعامتها للأمة العربية ،

× يقرر الزعيمان كال حسين وبغدادى أنهما كانا يريدان الاتحاد بدلا من الوحدة .

× وأنهما صرحا لعبد الناصر بهذا الرأى .

× وأن جمال عبد الناصر كان يبحث عن الزعامة فوجدها فى وحدة سوريا .

× وأن الوحدة كانت طوق النجاة للتخلص من مليون مشكلة .

ونحن بالطبع لا نريد أن نتحدث عن ظروف الوحدة ، وأنها كانت فى مواجهة الهجمة الاستعمارية الشرسة على الدول العربية ، كذلك لا نريد أن نحكى عن الوضع الداخلى فى سوريا عندما أوفدت مجموعة من العسكريين والمدنيين بقرار من مجلس النواب السورى ومن الشعب السورى ومن الزعامات السورية كلها تطلب الوحدة .

لا نريد أن نحكى عن الانقلابات المتتالية ، وانعدام الاستقرار . . وتطلع الشعب السورى إلى نظام مستقر يشعر فيه بنوع من الطمأنينة والامان .

كذلك لا نريد أن نقول ونعيد أن الشعب السورى كان دائماً وأبداً يطلب الوحدة . . وأن الوحدة كانت مطلباً أساسياً وأمنية عزيزة عند الشعب السورى . . وأن كل حزب أو جبهة أو زعيم . . أو قيادة لم تجد مكاناً لها فى سوريا إلا عبر مطلب الوحدة .

هذه الأمور بديهية كلها . . يعرفها رجل الشارع فى مصر وسوريا والعراق ولبنان . . وفى كل الأقطار العربية . . فما يكاد يتنادى بالوحدة مصرى إلا واستجاب له السورى والعراقى واللبنانى . . و . . وكل شعوب الأمة العربية .

وكان جمال عبد الناصر يرى الوحدة مطلباً شعبياً فى مصر وسوريا . . وأقطاراً عربية أخرى . . انما كان لا يريدها وحدة كصرخة الشباب تطفئها قبلة الرغبة .

كان عبد الناصر يريد أن يبدأ الوحدة فى مجالات الاقتصاد . . ثم الثقافة . . ثم يتدرج بها خطوة خطوة إلى أن يصل إلى الوحدة الكاملة .

ولم يكن الوفد السورى الذى وصل إلى القاهرة فى يناير سنة ١٩٥٨ مفوضاً فى طلب الوحدة مع مصر . . هو الصرخة الوحيدة التى انبعثت من سوريا الشقيقة بعد ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ . .

وبعد ما رأت أن جمال عبد الناصر هو الزعيم الوحيد الذي استطاع بنضاله .. وصلابته .. وثوريته .. تجسيد الوحدة العربية .. ونقلها من مجال الشعارات .. إلى مجال العمل .

كانت هناك وفود ووفود .. وفود من الشباب .. من الأحزاب .. من حزب البعث أقوى الأحزاب .. ومن الحزب الوطني الذي كان يرأسه صبري العسلي .. ومن حزب الشعب الذي يتزعمه ناظم القدسي .. ومن الحزب الشيوعي .. ومن الجميع .. ولم يبدأ فوران الوحدة في عام ١٩٥٨ انما بدأ من قبل .

ففي يوم ٢٦ يوليو سنة ١٩٥٦ في الاسكندرية .. وقبل أن يختتم الرئيس جمال عبد الناصر خطابه الذي أعلن فيه تأميم قناة السويس .. تلقى ورقة صغيرة وهو ما زال على منصة الخطابة .. كانت الورقة عبارة عن برقية تقول إن المجلس النيابي السوري أصدر قراراً بالاتحاد مع مصر .. وقد اعترف عبدالناصر بهذه الواقعة فيما بعد .

وقرر عبد الناصر وقتها التريث وتكوين لجـــان لدراسة خطوات الوحدة .. إلا أن العدوان الثلاثي عاجله في أكتوبر ١٩٥٦ .

وما كاد ينتهي العدوان الثلاثي ويخرج آخر جندي بريطاني

وفرنسى حتى كانت عملية بناء ما خربه المعتدون تبدأ . . ثم جرت الانتخابات لرئاسة الجمهورية . . وانتخابات أول مجلس نيابى . . وفى يناير سنة ١٩٥٨ أى بعد عام واحد كان فى القاهرة وفد نيابى ورسمى سورى مفوض فى طلب الوحدة مع مصر .

هل كان عبد الناصر يريد الوحدة الفورية كما كانت تنادى الجماهير السورية فى شوارع دمشق وحلب واللاذقية . . ؟

لا .

عبد الناصر كان يرى أن نبدأ الوحدة بالاتحاد خطوة خطوة . . ثم تأتى الوحدة . . وفى آخر جلسة من جلسات الوحدة فى يناير ١٩٥٨ كان عبد الناصر متخوفا من الوحدة .

« . . يذكر الأخ صلاح البيطار : أنا كان رأيى الاتحاد لغاية آخر يوم ، وكنت أقول له أنا متخوف من الوحدة ورأيى الاتحاد . (٤) »

كان فعلا يريد الاتحاد خطوة خطوة . . خطوة فى الاقتصاد . . وخطوة فى الدفاع . . وخطوة فى الثقافة . . ثم تأتى الوحدة بعد ذلك .

« . . فى سنة ١٩٥٨ يا أخ صلاح(٥) أنت

جيت هنا يوم ١٦ يناير علشان الوحدة .. أنا كان رأيي إيه في الوحدة .. ؟ »

« .. كان رأيي أن الوحدة تحتاج إلى دراسات .. كان رأيي أن الوحدة سابقة لأوانها وأن أنا باقترح اتحاد .. كنت أقترح اتحاد .. وتقوم دولة اتحادية .. كنت أتصور أن نبدأ باقتصاد ودفاع وثقافة وبعد كده تحل المتناقضات ونقيم دولة دستورية .. وانتو فرضتوا على في سنة ١٩٥٨ الوحدة .. (٦) »

ولم يخف عبد الناصر جزعه وقلقه من الوحدة الفورية .. كان يرى أن الاستجابة للإجماع الشعبي في البلدين مصر وسوريا نور يضيء الطريق إلى الوحدة .. وكان في الطريق عقبات .. وصخور .. ومطبات .. وكان لابد من تعبيد الطريق .. إضاءة الطريق لا تكفي .. بل لابد من تعبيده .. ولذا .. فقد واجه أعضاء مجلس الأمة يوم ٥ فبراير سنة ١٩٥٨ .. في نفس اليوم الذي أعلنت فيه أسس الوحدة بين مصر وسوريا .

« .. انني أرى من واجبي في هذه اللحظات أن أصارحكم وشعب الجمهورية العربية المتحدة

كله معكم ، أن الطريق الذى نقبل عليه طويل وشاق »

« .. إن رحلتنا عليه ليست نزهة نروح بها عن النفس وانما رحلتنا هى مشاق ومتاعب ، وكفاح وجهاد .. »

وفى دمشق :

« .. إن أهدافنا واضحة وطريقنا شاق ، ولكننا نصمم على هذه الأهداف ، مع علمنا بصعوبة الطريق ، لقد تحملتم صعوبة الكفاح من أجل هذا اليوم الخالد ، ومن أجل تثبيت دعائم الاستقلال .. وسنكافح جميعاً يداً بيد وقلبا بقلب من أجل تدعيم هذا الاستقلال ومن أجل تدعيم جمهوريتنا ، ومن أجل التقدم الاجتماعى بين ربوع الجمهورية العربية المتحدة(٧)

وفى دمشق أيضاً يقرر جمال عبد الناصر أمام الجماهير المحتشدة امام قصر الضيافة أنه لم يكن يتصور أن تتم الوحدة بهذه السرعة ،

« .. لم يدر بخلدى أبداً أن أكون رئيساً

للجمهورية العربية المتحدة . . ولم أفكر فى أن تتم الوحدة بهذه السرعة . . كنت أقدر أن أمامنا سنوات ، ولكن فجأة ، فرضتم إرادتكم هنا فى دمشق . . وهناك فى القاهرة . . هنا فى سوريا ، وهناك فى مصر . . فقام الاتحاد . . هذا الاتحاد أيها المواطنون ، هو نتيجة إرادتكم ونتيجة مشيئتكم ومشيئة الشعب العربى فى باقى الدول العــــربية ، فى كل دولة من الدول العربية . .(٨) »

الذى كان يطلب الاتحاد ويدرك صعوبة الوحدة هو جمال عبد الناصر . . وكان يحذر . . ويتخوف . . من اتمام الوحدة بهذه السرعة .

لم يكن بغدادى وكمال حسين وحسن ابراهيم يرفضون الوحدة ويطالبون بالاتحاد . . أبداً لم تثبت فى أى محضر رسمى أو عرفى . . أو مجلس عام أو خاص أن صرح أحدهم بأنه يفضل الاتحاد على الوحدة .

إذن عبد الناصر هو الذى كان يريد الاتحاد لا هم .

ولكن هناك دائماً من يحذر بعد وقوع الكارثة .. وهناك

— دائماً — من يقدم النصيحة التى لا تنفع أبداً لأنها تأتى بعد الأوان .

وهناك من يقف على الأشلاء ويزعم أنه كان ضد التجربة .. وأنه برىء .

حقاً إنهم أبرياء .

لقد تم كل شىء من وراء ظهورهم . . فلم يعلموا به . . ولم يدروا بأية خطوات .. على حين غرة فاجأتهم الوحدة .. فأبجمتهم . . ثم استمرأوا الصمت لأنهم وجدوه أبلغ من الكلام . . ولم يجدوا وقتاً مناسباً للكلام إلا اليوم فتكلموا .

لهم العذر .

لكن التاريخ لا يعذر . . لأن التاريخ يسجل الحقيقة . . والحقيقة تقول أن كل شىء بدأ وانتهى تحت سمعهم وبصرهم .. وأنهم شاركوا فيه . . وناصروه . . وآزروه .

ومن المهم فى هذا المجال أن نعود إلى بعض التفاصيل :

الوحدة مع سوريا بدأت بداية طبيعية جداً . . إذ ما كاد يظهر الوجه التقدمى لثورة يوليو حتى سقطت الحواجز المصطنعة بين مصر وسوريا . . وبدأت الوفود هنا والوفود هناك تبحث

فى الوحدة، فى ٢٠ أكتوبر سنة ١٩٥٥ عقد ميثاق عسكرى للدفاع المشترك بين الدولتين اعتبرتا فيه كل اعتداء مسلح يقع على احداهما أو قواتهما اعتداء عليهما معاً وتلتزمان عملا بحق الدفاع الشرعى والجماعى عن كيانهما بأن تبادرا إلى معونة الدولة المعتدى عليها وبأن تتخذا على الفور جميع التدابير وتستخدما جميع ما لديهما من وسائل بما فى ذلك استخدام القوة المسلحة . . ووحدت مصر وسوريا فى هذا الاتفاق القيادة المشتركة لجيشهما .

على أن ميثاق الدفاع المشترك بين مصر وسوريا لم يكن بداية الالتحام بين البلدين بعد ثورة يوليو لقد كانت مقدمة الدستور السورى تقول :

« . . نعلن أن شعبنا الذى هو جزء من الأمة العربية بتاريخه وحاضره ومستقبله يتطلع إلى اليوم الذى تجتمع فيه أمتنا العربية فى دولة واحدة ، وسيعمل جاهدا على تحقيق هذه الأمنية المقدسة فى الاستقلال والحرية . . »

وجاء فى صلب الدستور الصادر سنة ١٩٥٦ أن سوريا جمهورية عربية ديمقراطية وأن الشعب السورى جزء من الأمة العربية .

وفى يناير سنة ١٩٥٦ صدر الدستور المصرى ونص فى مادته

الأولى على أن مصر دولة عربية مستقلة ذات سيادة وهى جمهورية ديمقراطية ، والشعب المصرى جزء من الأمة العربية .

وفى يوليو سنة ١٩٥٦ وافق مجلسا الوزراء والنواب السوريان على إقامة اتحاد مع مصر وشفعا هذه الموافقة بطلب لسرعة العمل على تحقيق هذا الاتحاد .

وعندما وقع العدوان الثلاثى على مصر لم تكن سوريا بعيدة عنا .. أعلنت هذه البلاد العزيزة عزمها على الدخول بجيشها ميدان القتال .. إلا أن عبد الناصر كان لا يريد أن يتسع نطاق القتال .. لثقته أن الرأى العام العالمى سيحول دون تمادى المعتدين فى عدوانهم وكانت بطولة أبناء مصر فى هذه الحرب أصبحت مضرب الأمثال .

على أن أبناء سوريا لم يقفوا مكتوفى الأيدى فدمروا آبار البترول التى تمتد من العراق إلى سوريا ولبنان وتعطل وصول البترول من كركوك إلى طرابلس ومن كركوك إلى بانياس .. وبذا وقف تدفق البترول العراقى من منابعه بالعراق إلى شاطىء البحر المتوسط وانقطع وصوله إلى أوربا .. وأتلف الشعب العراقى بعض أنابيب البترول فى كركوك .. وتحرك الشعب العربى كله مع مصر .

وعلى أرض مصر اختلط الدم المصرى بالدم السورى دفاعاً

عن التراب العربي .. ففي يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ في الساعة الأولى بعد الظهر على بعد عشرة أميال من بحيرة البرلس ، أغرقت زوارق الطوربيد المصرية طراداً فرنسياً اسمه (جان بارت) حمولته سبعة آلاف طن وكان يحمل على ظهره نحو ٦٠٠ بحار فرنسي كانوا يستعدون للنزول إلى الشاطىء .. وجن جنون العدو .. فانقضت طائراته على زوارق الطوربيد المصرية .. واستشهد في هذه المعركة عدد من الأبطال على رأسهم الصاغ جلال دسوقي . . وكان من الأبطال الملازم جول جمال وهو أحد الضباط السوريين الذين تخرجوا في الكلية البحرية بالاسكندرية .

وبعد عام .. أي في أكتوبر ١٩٥٧ تقريباً بعثت مصر بقوات مصرية إلى سوريا رداً على الحشود التركية التي كانت تتجمع على الحدود السورية لتهدد سلامتها . . ولتكون سنداً للمؤامرات في الداخل . . كما كانت رداً على تحركات الاسطول الأمريكي السادس الذي كان يقترب من الشواطىء السورية واللبنـــانية . . وقد استقبلت هذه القوات المصرية بمظاهرات الترحيب .

وفي نفس الشهر ، أي أكتوبر ، وجه مجلس النواب السوري الدعوة إلى مجلس الأمة المصري لزيارة سوريا لتبادل الرأي والتعجيل بمشروع الاتحاد بين مصر وسوريا .

واستجاب مجلس الأمة المصري .. وكان رئيسه عبد اللطيف

البغدادي . . وهو نفسه عبد اللطيف البغدادي الذي تكلم أخيراً بعد صمت . . وقال أنه كان ضد الوحدة . . وعلى أثر ذلك تألف وفد من أربعين نائباً برئاسة أنور السادات وكيل مجلس الأمة وقتذاك . . ووصل هذا الوفد إلى دمشق فى نوفمبر سنة ١٩٥٧ للتباحث فى قرار الاتحاد الذى أصدره مجلس النواب السورى .

هذا ولم يثبت أن عبد اللطيف البغدادى أصدر توجيهاً ما . . يفهم منه أن المناقشة تتعلق بالوحدة أو الاتحاد . . لسبب بسيط لا ريب أنه اتضح من خلال الصفحات السابقة . . وهو : عدم الفهم .

ذلك لأن البغدادىلم يدرس ما حوله جيداً ، ولم يع التاريخ . . ولم يلم بالأسباب التى تحرك المجتمعات البشرية .

وهذا على كل حال أمر لا يسأل عنه .

على كل حال ذهب وفد مجلس الأمة إلى دمشق . . وكانت تنتظره هناك استقبالات حافلة ، فقد اندفعت المظاهرات تخترق الحواجز وتتعداها وتهتف بصوت كالرعد : « الوحدة الوحدة يا ناصر . . » وأحاطت بالمجلس النيابى السورى وهى تهدر بالوحدة وبجمال عبد الناصر . . واستطاع أكرم الحوراني رئيس المجلس النيابي وأنور السادات رئيس الوفد المصرى أن يخرجا إلى الجماهير ويعلنا أن المجلس سوف يقر الوحدة الفورية مع مصر .

وعلى أصوات الجماهير الهاتفة الهادرة عكف المجلس السورى والوفد المصرى على دراسة خطوات الاتحاد .. وطبقاً للمعلومات المتوافرة — حتى اليوم — فان ثمة توجيهاً كان يحمله السادات من الرئيس ناصر بقصر البحث على مشروع الاتحاد الفيدرالى بين الدولتين . . هذا ولم يصرح الرئيس أنور السادات بما ينفى هذا أو يؤيده — حتى اليوم — انما يمكن استنتاج ٣ أمور :

أولها : أن القيادات فى الدولتين كانت تبحث مشروع اتحاد فيدرالى بين الدولتين . . استجابة لإرادة الشعبين .

ثانيها : أن الرأى العام فى البلدين كان يرى أن هناك خطوات تمت فعلا على طريق الاتحاد . . أهمها ميثاق الدفاع المشترك .. ووصول القوات المصرية إلى سوريا دعماً وتأييداً لها ضد المحاولات الاستفزازية على حدودها . . وأن الطريق أصبح مفتوحاً للوحدة .

ثالثها : أن الوحـــدة يجب أن تتم فوراً لأن الظروف كانت تتطلب من الدولتين عمليات مواجهة فورية .

وكان على رئيس وفد مجلس الأمة المصرى أن يلتزم بالمشروع المقدم من الجانب السورى والموافق عليه من مجلس الوزراء ومجلس النواب .. وهو المشروع الذى ينسجم مع رغبة عبدالناصر .

وقد وافق نواب المجلسين السوري والمصري على إصدار قرار يعلنون فيه رغبة شعبين السوري والمصري في إقامة اتحاد فيدرالي ويدعون حكومتي سوريا ومصر إلى اجراء مباحثات فورية للتنفيذ .. ووافق مجلس الأمة المصري — برئاسة البغدادي طبعاً — على هذا القرار في ١٨ نوفمبر سنة ١٩٥٧ .

وهكذا أصبح أمام القيادة السياسية المصرية قرار مشترك من نواب الشعبين السوري والمصري بالاتحاد .. إلا أن صوت الشارع العربي كان يصر على الوحدة .. هذا ولم تجد القيادة السورية مناصاً من الاستجابة لصوت الشارع .. فحزمت أمرها وجاءت إلى القاهرة وأوضحت لمصر أن الظروف الموضوعية الملحة — بالإضافة إلى صوت الشارع العربي في مصر وسوريا — والهجوم الاستعماري المتصاعد مع الاستعمار وحلف بغداد والرجعية العربية .. هذا الهجوم الموجه إلى سوريا .. يجب كسره .. وأن أي تأخير أو تأجيل لإعلان الوحدة سوف يضر ضرراً بليغاً بالأوضاع السورية .. هذا إذا لم يهدد استقلال سوريا تهديداً مباشراً .

فعفيف البزري عندما جاء إلى القاهرة .. كان قائداً للجيش السوري .. لم يكن يحمل مشروعاً للوحدة أو الاتحاد .. ولم يكن مفوضاً من الشعب السوري .. كان البزري يمثل مجموعة من

الضباط . . وكان كغيره من المجموعات السورية التي وصلت إلى القاهرة في هذه الفترة .. ويجب أن يكون واضحاً أن الوحدة كانت بناء على قرار ديمقراطي وشعبي من الشعبين المصري والسوري .. وفيما يختص بسوريا فان هذا القرار كان مدعماً من القيادة السياسية السورية : شكري القوتلي رئيس الجمهورية ، صبري العسلي رئيس الوزراء ، أكرم الحوراني رئيس المجلس النيابي .. ثم عدد من الوزراء والنواب السوريين .

جاءت هذه القيادة السورية إلى القـــاهرة وعقدت عدة اجتماعات(٩) مع الرئيس جمال عبد الناصر وصحبه لوضع الأسس للدولة الجديدة .

وقد سبق هذه الاجتماعات اجتماعات أخرى عقدها الرئيس عبد الناصر مع وفود عسكرية ومدنية وحزبية بشأن الوحدة .. كان كل وفد يصر على الوحدة لا الاتحاد .. وقد عزز هذا الإصرار الوضع الداخلي في سوريا وقتذاك .. كان كل ضابط قد استنفر نفسه وقواته .. وكانت الاضطرابات وعدم الاستقرار قد دفعت البلاد إلى حافة حرب أهلية .. وكانت الوحدة هي قارب النجاة الوحيد .. وكانت تتردد في دمشق نكات تحمل تعبيراً مفجعاً عن الوضع القلق .. كان يقال أن من يحكم سوريا هو الذى يستيقظ مبكراً عن الآخر .. !

هل كان عبد الناصر يعرف حقيقة الوضع فى سوريا . . ؟ !
وهل كان هذا الوضع يتطلب منه أن يغير أفكاره بشأن الاتحاد إلى الوحدة . . ؟

عندما ناقش عبد الناصر الضباط السوريين الذين جاءوا إلى مصر ضمن الوفود التى كانت تتوافد على القاهرة لمناقشة الوحدة .. « قال لهم إنه يفضل أن يكون شكل الوحدة فى البداية فيدرالياً . لكنه شعر من كلامهم أن التناقضات فى سوريا خطيرة وأن المشاكل كثيرة وأن الوحدة الفيدرالية ليست الحـــل ، وأن التناقضات والمشاكل يمكن أن تحدث انقسامات فى سوريا تؤدى إلى حرب أهلية . . ولقد عرف من الذين أتوا إليه أشياء كثيرة عن الوضع آنذاك فى سوريا . ومن جملة ما قيل له أن بعض الضباط مرابطون فى ثكناتهم وكل ضابط استنفر قواته . وهذه القوات متنبهة لا تنام . . (١٠) » .

فى ذلك الوقت كانت سوريا بؤرة الصراع حـــول الشرق الأوسط والعالم العربى . وهذا سببه أن سوريا ، بالإضافة إلى دورها القوى حيث أنها قلب حركة القومية العربية ، هى بمثابة حاملة الطائرات على الساحل العربى . وفى ذلك الوقت أيضاً كان الضباط السوريون فى فترة ما بين نهاية عهد أديب الشيشكلى وقيام الوحدة من الضباط الوطنيين لكنهم يعيشون فى أجواء من

التناقضات عجزوا عن حلها وأوصلتهم إلى مأزق .. ووجد عبد الناصر نفسه أمام حقائق خطيرة : الصراع يتزايد على سوريا . ضباط الجيش السورى من النوع الوطنى والقومى ، لكن التناقضات تلفهم. الوضع الداخلى فى سوريا يهدد بحرب أهلية ، فكرة الوحدة مطروحة فى الساحة السورية وتحتاج إلى تنفيذ .. وكان على عبد الناصر أن يقرر : إما أن يقبل الوحدة ، وإما أن يترك سوريا هدفاً لحلف بغداد والقوى الأخرى التى تتصارع عليها .

حتى عندما جاءه الضباط السوريون فى القاهرة يطلبون تحقيق الوحدة كان ما يزال فى حالة من التردد ، ولاحظ عندما حدثهم عن ضرورة التمهيد ، وعن الأخذ بالفيدرالية بدلا من الاندماج ، ردوا عليه بأن الأوضاع القلقة التى تعيشها سوريا تتطلب وحدة اندماجية وليس أى صيغة أخرى من صيغ الوحدة . وهو كان يميل إلى ضرورة التمهيد للوحدة الاندماجية ربما لأنه لم يكن ملماً تماماً بطبيعة الأوضاع القلقة التى كانت تعيشها سوريا فى تلك الفترة .

.. وبعد ما كان عبد الناصر يفضل التمهيد للوحدة وكان هذا رأيه منذ أقر مجلس النواب السورى عام ١٩٥٧ مشروع طلب الوحدة وجد نفسه بعد أحاديثه مع القيادات العسكرية التى جاءته من دمشق يطلب الوحدة الاندماجية(١١) .

وهكذا ساعدت الصورة التي رسمها الضباط السوريون على اتخاذ قراره بالوحدة الاندماجية.

وهنا يبرز سؤال: من الذي كان يلتقي بالضباط السوريين .. وبالقيادات السياسية .. من .. ؟

جمال عبد الناصر .. ؟!

ليس وحده.

كان معه الذين تكلموا .. والذين لم يتكلموا بعد.

هل كان دور الضباط السوريين حاسماً في الموقف .. ؟

كان الضغط على القيادة السياسية المصرية للقبول بالوحدة مستمراً .. كان الضغط من مصر ومن سوريا .. كان الخطر ماثلا في كل مكان ويحيط بالبلاد .. وكان الرد الوحيد هو الوحدة.

لم يكن الذي يطلب الوحدة ويضغط هو عفيف البزري الشيوعي ... بل كان الذي يطلب الوحدة هما الشعبان السوري والمصري.

وكان الواجب القومي يدعو عبد الناصر أن يستجيب وأن ينحي جانباً مطلب « الاتحاد » الفيدرالي.

على أنه لم يستجب وحده .. بل استجاب معه السادة البغدادى رئيس مجلس الأمة .. والنواب ممثلو الشعب .. والوزراء ومنهم كمال الدين حسين .. بل — بالذات — كان البغدادى وكمال الدين حسين من أكثر المسئولين تحمساً للوحدة لا للاتحاد .

على أننا لا نتفق مع رواية هيكل (١٢) من تصوير قدوم الضباط السوريين للقاهرة على أنه مغامرة سرية يقوم بها عدد من الضباط من وراء ظهر القيادة السياسية .. إذ يقول : « وعلى سبيل المثال سأل ناصر الضباط عما إذا كان الرئيس شكرى القوتلى على علم بمجيئهم إلى القاهرة فقالوا له : لا يعرف .. وعلى سبيل المثال أيضاً سأل عن عبد الحميد السراج ولماذا لم يأت معهم فقيل له إنه فى دمشق لكى لا يفلت الوضع .. »

ويحكى هيكل هذه الرواية بطريقة توحى بأن الوحدة كانت مغامرة سرية تمت بمعزل عن الشعب السورى .. وعن القيادة السياسية .. ويظهر التلفيق واضحاً فى هذه الرواية فيما يختص بسؤال جمال عبد الناصر عن عبد الحميد السراج .

وفى هذا الخصوص ينبغى أن نستمع إلى جمال عبد الناصر .. فكلامه يفيدنا جداً حيث لا يغطى النقاط التى أثيرت فقط .. بل يتعداها إلى دحض افتراءات كثيرة لم نتعرض لها بعد :

يقول ناصر موجهاً كلامه إلى صلاح البيطار رئيس الوزراء السورى(١٣) :

فى سنة ١٩٥٨ يا أخ صلاح . . انت جيت هنا يوم ١٦ يناير علشان الوحدة ، أنا كان رأيى إيه فى الوحدة ؟

كان رأيى ان الوحدة تحتاج إلى دراسات . كان رأيى ان الوحدة سابقة لأوانها وان أنا بافترح اتحاد . . كنت أقترح اتحاد وتقوم دولة اتحادية . . وانتو فرضتو على فى نفس سنة ١٩٥٨ الوحدة .

أنا ماقعدتش معاك وماقلتلكش إن أنا باشترط حل الاحزاب . . انت جيت هنـــا وقعدت مع الضباط فى قصر الطاهرة . . واتكلمتوا وجيت وقلت انتو كنتو متفقين على حل الاحزاب بعدكده يقال إن جمال عبد الناصر هو اللى اشترط حل الاحزاب وهو اللى عمل كذا وهو اللى عمل كذا .

فى ١٥ يناير وضعتونا فى وضع خلصناه يوم أول فبراير فى ١٧ يوم ، وكلامنا لم يؤخذ بيه بالنسبة لتشكيل الوحدة ، ولا لتنظيم الوحدة ، ثم بعد هذا نحمل احنا كل شىء . . نحمل كل هذه العملية . . ان احنا اشترطنا كذا . . واشترطنا كذا .

فى الوقت اللى احنا تهيبنا . . وأنا لآخر ثانية كنت متردد .

ثم يصل عبد الناصر إلى النقطة التى يثبت بها تلفيق هيكل :

« . . الضباط اللى جم . . عبد الحميد السراج شفته مرة »
(أى أنه لم يسكن فى دمشق لكى لا يفلت الوضع كما يزعم هيكل . بل حضر مع الضباط مباحثات الوحدة . . ولم يره جمال عبد الناصر قبل الوحدة إلا مرة)

« . . الوحيد اللى كنت أعرفه أيام ما كان لاجىء هنا هو شكرى القوتلى . . »

* * *

من كلام عبد الناصر تظهر عدة حقائق هامة :

١ – أن عبد الناصر كان يريد الاتحاد . . وخطوة خطوة حتى تقام الوحدة على أسس قوية ومتينة .

٢ – أن الوحدة فرضتها الظروف التى كان أهمها النشاط الاستعمارى بغرض تطويق المنطقة العربية .

٣ – أن الوحدة لم تكن عملية فوقية بين القيادات السياسية فى البلدين . . بل كانت صرخة شعبية من جماهير البلدين .

٤ – أن جمال عبد الناصر لم يكن يطلب الزعامة . . لأنه كان الزعيم

الفعلى للمنطقة العربية .. انما كان رمزاً للوحدة .. وعنواناً لها .. كان الشخصية التى استطاعت تجسيد الأمل فى الوحدة .. ولم تكن هناك شخصية أخرى تصلح لهذا الدور إلا شخصية جمال عبد الناصر .

لقد خرج جمال عبد الناصر .. من معركة التأميم ومن حرب السويس .. ومن معركة تمصير الشركات والمؤسسات والبنوك الأجنبية .. ومن معركة حلف بغداد .. ومن قضائه على الإقطاع .. وكسر احتكار السلاح .. خرج بطلا .. وزعيما قومياً .. ولم يكن فى حاجة إلى طلب الزعامة .

كان عبد الناصر .. هو الأمل .. هو محور الوحدة .. هو القائد الذى التفت حوله الجماهير .. واحتضنته .. وافتدته لأنه افتداها .. وافتدى الوطن .. الوطن العربى كله.

٥ – أن الوحدة لم تكن مغامرة سرية كما يصورها هيكل .. ولم يطلبها ضباط عملاء للقاهرة .. لقد ثبت أن عبد الناصر لم يلتق بعبد الحميد السراج إلا مرة واحدة قبل الوحدة .. ولم يكن عفيف البزرى قائد الجيش يمثل الجيش السورى .. أو حزبا .. انما جاء ضمن وفد عسكرى .. وكان هذا

طبيعياً لأن مصر وسوريا كانتا مرتبطتين بميثاق دفاع مشترك عسكرى وكان من الطبيعى أن تكون هناك محادثات ولقاءات بين العسكريين كل حين وآخر .

٦ – أن الوحدة قامت بالطريق الدستورى وكانت مطلباً ملحاً فى الساحة العربية وفى الساحة السورية بصفة خاصة . وأن الأحزاب كلها على اختلاف اتجاهاتها كانت تنادى بالوحدة .. وتطلبها .. وكان الحزب الذى يتخلف عن هذا الشعار .. أو يسقطه تعزله الجماهير من موقعه .

٧ – أن الصامتين الثلاثة الذين تكلموا وقالوا إنهم كانوا ضد الوحدة .. كان لهم شرف الموافقة على الوحدة فى كل خطواتها خطوة خطوة .. !

* * *

هناك نقطة أخيرة فى الوحدة .. ينبغى التعرض لها سريعاً حتى لا نعود إليها .. وهى قول جمال عبد الناصر لجمال سالم مبرراً قبوله الوحدة إن البلد فيه مليون مشكلة وقبولى الوحدة هو الحل الوحيد لتغطية كل الفشل .

وقد جاء هذا القول على لسان كمال حسين .. ونحن نشك فى

أن يصدر هذا الكلام من جمال عبد الناصر لجمال سالم . . ولم يقدم كمال حسين من جهته دليلا لإزالة هذا الشك وخاصة أن كليهما قد توفاه الله . . ولم يعد أحد منهما صالحاً لتأدية الشهادة .

إلا أن الذى يسترعى انتباهنا كلمة « الفشل » .

فأى فشل يعنيه كمال حسين . . ؟

- أيعنى بالفشل اتفاقية الجلاء . . ؟
- أيعنى بالفشل تأميم قناة السويس . . ؟
- أيعنى بالفشل كسر احتكار السلاح . . ؟
- أيعنى بالفشل دحر العدوان الثلاثى . . ؟
- أيعنى بالفشل تمصير البنوك والشركات الأجنبية . . ؟

لابد أنه يعنى « فشلا » آخر .. يعرفه هو .. ولا نعرفه نحن .

* * *

بعد اعلان الوحدة والاستفتاء عليها وانتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة وفى يوم ٨ مارس سنة ١٩٥٨ وقعت اليمن اتفاقاً باتحاد فيدرالى بينها وبين الجمهورية العربية المتحدة وأنشىء بمقتضى هذا الاتفاق مجلس أعلى لاتحاد الدول العربية المتحدة .

ثم لم تمر ستة أشهر حتى كان لرئيس الجمهورية أربعة نواب هم:

- عبد اللطيف البغدادى . . الصامت الأول .
- عبد الحكيم عامر .
- أكرم الحورانى .
- صبرى العسلى .

هذا ولم يكن منصب نائب رئيس الجمهورية للبغدادى يعنى « الوضع على الرف » .. انما كان نائباً لرئيس الجمهورية بمسئوليات محددة هى : وزير التخطيط المركزى فى الوزارة . . وكان كمال الدين حسين (الصامت الثانى) الوزير المركزى للتربية والتعليم . . ومعنى هذا أنه لم يكن لأحدهما او لثلاثتهما اعتراض أو نقد على الوحدة . . بدليل أنهم قبلوا هذه المناصب فى حكومة الوحدة . . ولم تكن مناصب هينة . . بل كان أحدهما الرجل الثانى فى دولة الوحدة . . وكان الثانى الوزير المركزى فى دولة الوحدة . . ! !

* * *

من أطرف الروايات ما يقصه عبد اللطيف البغدادى عن عرض عبد الناصر عليه ليكون حاكماً على سوريا .

انها فى الواقع رواية تنبىء بموهبة متأخرة .. ومقدرة فذة على التخيل تفوق مقدرة دون كيشوت الذى عاش طوال عمره يحلم بأنه يحارب طواحين الهواء .

يحدث هذا فى البلاد الواطئة حيث تكثر طواحين الهواء .. أما هنا فإذا كانت الطواحين موجودة فالهواء النقى غير موجود .. ولذا يتعرض الذوق العام للإفساد والفساد .. ويضطر أصحاب هذا الذوق إلى رفض مثل هذه الروايات .

يقول السيد البغدادى أطال الله فى عمره ليتحفنا بمثل هذه الروايات .. أن الرئيس عبد الناصر فاجأه بقوله : إن شاء الله لن تفشل وأنا عايزك تمسك سوريا .. تكون الحاكم لها .

ورد عليه البغدادى : مش ممكن .

فيضحك عبد الناصر : ليه . ده انت كده تدخل التـــاريخ وحتكون أول حاكم لسوريا فى ظل الوحدة .

ويرد البغـــدادى : أنا لا أريد التاريخ أن يتحدث عنى ، ولكننى لا أريد أن أفشل .. وأنا

ما اعرفش حاجة عن سوريا . فازاى
أكون حاكماً لها .

فيقول له عبد الناصر : طيب . فكر يومين وقل لى رأيك .

ويستطرد البغدادى مقترباً خطوة خطوة من لحظة التنوير الدرامية :

« بعد اليومين زدت اقتناعاً بالرفض . . علمت أن سوريا تحكم بطريقة بوليسية عن طريق المكتب الثانى ، وجدت أنه سيحبس عنى المعلومات ويقدمها لعبد الناصر الذى سيجعله يحكم سوريا فعلا وأكون أنا صورة فقط . . وذهبت إلى عبد الناصر لأعلنه بإصرارى على الرفض فقال لى :

اسمع يا بغدادى . . قبل ما تتخذ قرار نهائى بالرفض روح شوف مصطفى أمين . . ده لسه راجع من سوريا وعنده معلومات كثيرة . . اقعد معاه وبعدين ابقى قل لى رأيك . . »

وهنا نصل إلى اللحظة التنويرية نفسها . . إذ يتحرك البطل نحو هدفه الاستراتيجى .. غير مدرك أنه وصل إلى هدفه بسرعة أكثر من اللازم وهذا ما يؤثر على ايقاع الأحداث فى السيناريو المحكم .

على كل يقول البغدادى

«.. وفعلا اجتمعت بمصطفى أمين الذى أخرج لى نوتة كان مدوناً بها كل ملاحظاته عن اتصالاته فى سوريا .. ويبدو أن عبد الناصر كان كلفه بهذه المهمة كما اعتاد دائماً أن يكلفه بمهمات مماثلة (!!) ..»

ولابد أن نتوقف هنا قليلا .. لنلقى بملاحظة ليس إلا.

الملاحظة هى: أن دفاع مصطفى أمين الوحيد فى قضية التجسس لحساب المخابرات الأمريكية التى ضبطت فى يوليو سنة ١٩٦٥ أنه كان مكلفاً بالاتصال بالأمريكيين من قبل الرئيس الراحل جمال عبد الناصر .. ونظراً لأن هذا الدفاع كان دفاعاً واهياً لم تأخذ به المحكمة .. فضلا على أنها تلقت ما يفيد نفى ذلك من رئاسة الجمهورية .. إلا أنه بعد الإفراج عن مصطفى أمين بعد ١٥ مايو سنة ١٩٧١ صار يردد هذا الدفاع ويضيف إليه .. ويعدل فيه ليصبح مقبولا لدى الرأى العام .. ومن هنا .. فالفرصة الذهبية السانحة الآن هى أن يدلى أحد معاونى عبد الناصر بأن الرئيس الراحل كان يكلفه «بمهمات مماثلة» .. ليتوصل إلى أن قضية التجسس التى أقيمت ضده وحكم عليه فيها .. ملفقة!!

وبالطبع لم يبخل بغدادى بمنح مصطفى أمين هذه الشهادة . . وحاشا لله أن تكون مجانبة للحقيقة .. فقد كان صاحبها عبد اللطيف البغدادى قاضياً . . كان رئيساً لمحكمة الثورة وجلس فى مقعد القضاة الذين يحكمون . . فهو يعرف معنى هذه الشهادة . . وقد قصد بها المعنى الظاهر . . وهو التدليل على صحة كلامه الخاص بعرض حكم سوريا عليه .. لكن المقصود أن تؤدى هذه الشهادة إلى هدف آخر . . وبالتحديد هو :

١ — تبرئة مصطفى أمين من جريمة التجسس .

٢ — دمغ عبد ناصر بتلفيق التهم للأبرياء والإلقاء بهم فى السجون .

على أن هذه الملاحظة تتبعها ملاحظة أخرى وهى خاصة بجزء من الشهادة أيضاً . . الشهادة التى أدلى بها عبـــد اللطيف البغدادى لصالح مصطفى أمين .. فإنه يقول فى جزء منها أن الرئيس عبد الناصر قد كلفه بهذه المهمة .. مهمة دراسة الوضع فى سوريا .

وهذه ليست بالتحديد المهمة التى كلفه بها عبد الناصر .

عبد الناصر لم يكلفه بدراسة الوضع فى سوريا . . انما كلفه بمهمة محددة فى سوريا وهى تجميع معلومات عن موقف حزب

الشعب الذى كان رأسه ناظم القدسى .. لم يطالب صورة الموقف العام للحزب .. أو معلومات عن رئيسه أو أعضائه .. انما طلب منه تجميع معلومات عن موقف الحزب من الوحدة .

والمعروف أن هذا الحزب .. هو حزب يمينى رجعى، وهو الحزب الذى يجمع رؤساء وأعضاء مجلس إدارة الشركة الخماسية التى شاركت بنصيب — لا تحسد عليه — فى عملية الانفصال .

هو إذن حزب يمينى ورجعى ومرتبط بالامبريالية العالمية، ودراسة موقفه من الوحدة عملية دقيقة وحساسة ولا يمكن أن يقوم بها شخص خارج اطار أفكار ومعتقدات حزب الشعب .. شخص رجعى ومناضل يمينى وله ارتباطات مشبوهة بالامبريالية الأمريكية .

فمن يكون هذا الشخص غير مصطفى أمين .. ؟

بالطبع لم يكن مصطفى أمين وحده هو الذى ذهب إلى سوريا قبل الوحدة وخلال الوحدة .. انما ذهب إلى سوريا عدد كبير من الصحفيين والسياسيين .. ثم عدد من الضباط الأحرار منهم كمال رفعت .. وذهب عدد من ضباط المخابرات منهم أمين هويدى .. وشعراوى جمعه .

وكان ذهاب هـــذه المجموعات إلى سوريا بناء على طلب

السوريين أنفسهم لمقارنة الصورة التى قدموها للقيادة السياسية المصرية مع الصورة التى سوف تراها هذه المجموعات المصرية .

وكان هذا ضرورياً . . ففى سوريا قوات مسلحة مصرية تقف على حدودها المشتركة مع تركيا . . والاستفزازات مستمرة للتحرش من ناحية البحر بواسطة الأسطول السادس الأمريكى . . والشعب يطالب بالوحدة . . وكانت مهام العناصر التى ذهبت إلى سوريا تختلف وتتنوع، فبينما كان مطلوباً من كمال رفعت دراسة الوضع السياسى وأثر التهديدات الخارجيـــة والتمزق الداخلى على الجماهير السورية . . كان مطلوباً من عناصر أخرى دراسة الثغرات التى يحاول حلف بغداد النفاذ منها . . والتأثير من خلالها على الوضع الداخلى فى سوريا . . ولم يكن يستطيع أن يقوم بهذا إلا العناصر التى تمرست على النضال .

لكن ما جاء فى أقوال البغدادى يعطى للقارىء انطباعاً عاماً بأن عبد الناصر كان يكلف — دائماً — مصطفى أمين بمهمات مماثلة . . ومن هنا يمتد المعنى إلى قضية التجسس التى أدين فيها مصطفى أمين والتى دافع فيها عن نفسه بأن الاتصالات التى كان يجريها مع عملاء المخابرات الأمريكية كانت بتكليف من الرئيس جمال عبد الناصر . . ولهذا فانه برىء ! !

* * *

ونعود إلى الرواية لنستمتع بحبكة السيناريو .

• يقول البغدادى (ص ٥٢) :

« . . وقال لى مصطفى أمين أن الشعب السورى يريد الوحدة مع مصر بأى شكل من الأشكال . . والناس هناك عايزينك أنت وكمال حسين تتولوا الحكم هناك وأنا مقتنع بهذا . . »

يا سلام !!

اقفرت بلاد الشام ، وجفت الينابيع فى عاصمة الأمويين ، وأصيبت حلب الشهباء واللاذقية ودمشق بالعقم حتى لا يجد مصطفى أمين سوى البغدادى وكمال حسين ليحكما سوريا !!

وتعالوا نتتبع طرافة الحوار فى سيناريو الوحدة الذى كتبه البغدادى حيث يسأل فيه الصحفى مصطفى أمين عن السبب الذى يدعو السوريين إلى طلبه حاكماً عليهم ويحمل إليه هذه البيعة مصطفى أمين . . يسأل البغدادى عن السبب وهذا من حقه . . فيقول له مصطفى أمين « لأن كل حاجة مسكتها فى مصر نجحت »

ولكن لا نؤخذ على غرة . . ففى كلام الصامتين الثلاثة كمائن لو لم نتبينها فى حينها سقطنا فيها .

من هذه الكمائن . . ما يحاول أن يثبته عبد اللطيف بغدادى

من أن «كل حاجة مسكتها فى مصر نجحت . . . وهذا القول أطلقه مصطفى أمين لإثبات ما يريده البغدادى . . فالخدمات متبادلة بين البغدادى وبين مصطفى أمين .

البغدادى يشهد لصالح مصطفى أمين .

ومصطفى أمين يشهد لصالح بغدادى .

تبادل المنافع والمصالح .

صحيح أن بغدادى قد تولى عدة مناصب . . ، وقد قام بأعماله على خير وجه طبقاً لسياسة حكومة الثورة التى كان يرأسها جمال عبد الناصر فى الفترة من ١٩٥٦ إلى ١٩٦١ .

ونحن لا نريد أن نحاسبه على أنه طرد سكان حى القوالة . . وحاول طرد سكان حى معروف بمقولة أنه سيبنى الحى من جديد .

وقبل ذلك لا نريد أن نحاسبه على أنه وهو المسئول عن إجراءات محكمة الثورة التى أعلنت فى سبتمبر سنة ١٩٥٣ .. أهدر ضمانات المتهمين .

وكان بغدادى وقتها وزيراً للحربية والبحرية . . وقد ولدت محكمة الثورة فى مكتبه بعد خطاب ألقاه محمد نجيب قال فيه ما قاله رسول الله : من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة فاضربوه بالسيف

كائناً من كان . . ثم استند إلى حديث نبوى آخر بقوله : من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد ، يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم ، فاقتلوه .

عندئذ .. ذهب البغدادى إلى مكتبه فى وزارة الحربية وأغلق على نفسه الباب ، وأضيئت الأنوار الحمراء حتى لا يقترب أحد لأن الديمقراطى الأوحد يضع دستور محكمة الثورة .. وخرج الدستور — دستور محكمة الثورة — الذى ينص على أن مكتب الادعاء الملحق بمحكمة الثورة له حق الأمر بالقبض على المتهمين وحبسهم احتياطياً ولا يجوز المعارضة فى هذا الأمر .

وتنص المادة الثانية من دستور محكمة الثورة على أن يخطر المتهم بالتهمة ويوم الجلسة بمعرفة المدعى قبـــل ميعادها بأربع وعشرين ساعة على الأقل (!!) ولا يجوز تأجيل القضية لأكثر من مرة واحدة ولمدة لا تزيد عن ٧٢ ساعة . .(١٤)

ثم تتوالى الضمانات (!!)

تنص نفس المادة على أن يحضر المتهم بنفسه أمام المحكمة فاذا تخلف جاز القبض عليه ، وحبسه وله أن يتولى الدفاع بنفسه أمام المحكمة أو ينيب محامياً واحداً للدفاع عنه فى جميع ما هو منسوب إليـــه .

وتنص المادة السادسة على أن تبدأ المحكمة بسؤال المتهم عن الأفعال المنسوبة إليه ثم تأخذ فى سماع شهود الادعاء إن كان هناك شهود، ولها أن تسمع شهود النفى إذا رأت لذلك محلا ، ثم تسمع مرافعة المدعى ودفاع المتهم .

ثم يأتى النص المشرق ! الذى لا مثيل له :

« ولها أن تتبع فى الإجراءات غير ما سبق إذا ما رأت وجهاً لذلك ولا يجوز المعارضة فى هيئة المحكمة أو أحد أعضائها . . »

« أحكام هذه المحكمة نهائية لا تقبل الطعن بأى طريقة من الطرق أو أمام أى جهة من الجهات ، وكذلك لا يجوز الطعن فى اجراءات المحكمة أو التنفيذ . . »

* * *

ثم كان الموقع التـــالى . . والذى يعتبر استمراراً لدوره الديمقراطى فى ثورة يوليو . . وهو رئاسته لمجلس الأمة .

وفى الفصل السابق عرفنا إلى أى حد كان يطبق البغدادى الديمقراطية فى مجلس الأمة . . لقد أراد شطب أربعة أعضاء من مجلس الأمة فى أواخر سنة ١٩٥٧ . . وعندما رفض أعضاء المجلس بالإجماع ادعى أن هذا عدوان على الديمقراطية . . ! !

ومن الغريب أن ادعاء العدوان على الديمقراطية يجيء من عبد اللطيف البغدادى ضد جمال عبد الناصر .. بينما يدعو هو نفسه الرئيس جمال عبد الناصر إلى مجلس الأمة فى ١٦ يناير سنة ١٩٥٨ لإهدائه ميدالية الشعب بمناسبة الاحتفال بعيد الدستور . . وفى هذا الاحتفال الذى يرأسه عبد اللطيف البغدادى نفسه . . يقرر أعضاء مجلس الأمة إهداء ميدالية الشعب للرئيس ناصر . . . « تقديراً لمجهوداته فى سبيل مصر »(١٥)

ولنعد إلى السيناريو المثير . . والحوار الممتع الدائر بين عبد اللطيف البغدادى ومصطفى أمين .

لقد توقفنا عند الفقرة التى يقول فيها مصطفى أمين — والرواية على لسان البغدادى — « الناس هناك عايزينك انت أو كمال حسين تتولوا الحكم هناك وأنا مقتنع بذلك . . »

وبعد أن يرد عليه بغدادى بالرفض . . نجد مصطفى أمين يتراجع بسرعة عن اقتناعه ويقول له :

— لك الحق . . ولكن ماذا ترى . . ؟

فيجيبه بغدادى :

— نترك واحد منهم يكون هو الحاكم . . هو الذى

يبتدىء التجربة وعند ما يفشل فستظهر الأخطاء على السطح . . تماماً كما تتعكر المياه ويطفو السمك . . وبعد ذلك نتولى الحكم مستفيدين من هذه الأخطاء .

فما هذا المنطق . . ؟

أيمكن أن يكون شيئاً آخر غير المنطق « الانتهازى » لكننا نعف عن استعمال هذه الكلمة ! ! . . إلا أننا لا يجب أن نغفل الحقيقة المروعة التى تكشف عن نفسها بين الحين والآخر . . وهى أن عبد الناصر كان فى واد . . وأنتم ومن يظاهرونكم — أيها الصامتون — كنتم فى واد آخر .

إن المسألة لم تكن حكم سوريا أيها السادة . . انما كانت وحدة مصر وسوريا . . لم يكن الأمر حكم مصر أو سوريا . . ولكن قوة مصر وسوريا . . وقيادة مصر وسوريا لمواجهة التحديات الخارجية والداخلية .

لقد ترك عبد الناصر حكم سوريا للسوريين . . لأن الحكم لم يكن رغبة عبد الناصر ولا هواه . . وبرغم طلب السوريين ذلك . . فانه كان يعرف ويدرك أن وحدة مصر وسوريا لا تعنى حكم مصر لسوريا ولا حكم سوريا لمصر . . لا تعنى تسلط قيادة

مصرية على قيادة سورية . . ولا تعنى تسلط قيادة سورية على قيادة مصرية . . هوى الحكم لم يكن مرضا فيه . . والزعامة نظراً لأنها حقيقة لا تقبل الجدل . . فلم يكن يطلبها . . لأن العرب والجماهير العربية . . هى التى أعطته الزعامة . . ونصبته قائداً لها . . ورمزاً لوحدتها . . ونضالها . . وشجاعتها .

من هنا فان عملية حكم سوريا كانت قضية محسومة سلفاً أن يكون حكم سوريا للسوريين. هذا إلا ما تقتضيه روابط الوحدة وأهدافها من ضرورة التنظيم والتوجيه والتفاعل .

وهنا تصبح شهادة عبد الناصر .

« . . فى الحقيقة أنا لم أكن أشارك فى حكم الإقليم السورى مطلقاً . . يعنى أنا مفترى على فى هذه العملية .

« . . فى سوريا الوزراء السوريين كانوا بيحكموا حكم كامل . . والمجلس التنفيذى كان عنده كل الصلاحيات .

« . . ما طلعتش حاجة أبداً إلا لما جت من المجلس التنفيذى . . »(١٦)

ونحن فى الواقع نشك فى رواية البغدادى عن عرض حكم سوريا عليه .

ويصل بنا الشك إلى الحد الذى رفضها فيه بكل ما أثير فيها وعنها .

لماذا .. ؟

لأن الدليل المادى يدحضها . فعلى أثر إعلان الوحدة اختار الرئيس عبد الناصر نائباً له فى سوريا .

فمن اختار .. ؟

لقد اختار الشخص المناسب .. اختار أكرم الحورانى رئيس مجلس النواب السورى .

صحيح أن التنافس والصراع الحزبى فى سوريا قد أدى فيما بعد إلى أن يصدر الرئيس ناصر قراراً بتكوين لجنة سياسية عليا لتنظيم الأوضاع فى سوريا . وكانت اللجنة مكونة من ثلاثة هم على الترتيب التالى :

× زكريا محى الدين .

× أكرم الحورانى .

× عبد اللطيف البغدادى .

* * *

ووقع الانفصال .

فهل كان سببه حكم عبد الناصر . . أو نظام عبد الناصر . . أو ديكتاتورية عبد الناصر كما يدعى الصامتون الثلاثة . . ؟

يعترف البغدادى بازدياد سخط الشعب السورى على الوحدة بعد صدور القرارات الاشتراكية سنة ١٩٦١ وبدأ التذمر . . .

والخلاف فى هذا الاعتراف هو تعميم السخط على الشعب السورى كله من القرارات الاشتراكية . . لأن السخط كان قاصراً على الطبقة التى أضيرت من القرارات الاشتراكية . وهى التى تملك الشركات والمؤسسات والاحتكارات التى أممت . . أما الشعب السورى فما الذى سيسخطه من القرارات الاشتراكية .

- هل يضار الفلاح السورى من تمليكه أرضاً جديدة ؟
- هل يضار العامل السورى من قوانين منع الفصل التعسفى والتأمين ضد المرض والبطالة والمشاركة فى الإدارة ونصيب معقول فى الأرباح . . هل يضار . . ؟

وقد التقت إرادة الطبقة الرجعية السورية الساخطة . . مع إرادة الاستعمار الساخط وحدث الانفصال .

هل يعنى ذلك أنه لم تكن هناك فى مصر وسوريا أوضاع خلقت المجال الصالح لتفريخ الانفصال . . ؟

نعم . . كانت توجد أوضاع تهيء المناخ للانفصال .

ولكن السبب الجوهرى للانفصال هو :

- الاستعمار .
- والرجعية .

وقد كانت الرجعية العربية فى قمة السلطة بالإقليم السورى . . ولذا فان عبد الناصر لم يستطع أن يكشف أوراقه لهذه الرجعية . . فلو كشفها لهم ما صدرت هذه القوانين الاشتراكية أبداً . . لأنهم كانوا ضد الاشتراكية(١٧) . . كانوا يريدون الوحدة مجردة من مفهومها التقدمى . . وحدة فوقية . . وحدة أصحاب البنوك والشركات والإقطاعيين . . وحدة لايبرج . . وحدة أمراء أوربا وملوكها ضد الثورة . . لم تكن الوحـــدة التى يريدونها هى الوحـــدة التى تتناقض مع الاستعمار ومصالحهم ومصالحه وأطماعهم وأطماعه فى المنطقة فانقلبوا عليها .

ولم يكن الانفصال الذى وقع محصلة لفشل تجربة الوحدة انما هو سعى حثيث وعمل مدبر

لإعادة أوضاع رجعية واستعمارية . فان كان فشل تجربة الوحدة مهل نجاح الانفصالية والرجعية فالطبقة الرجعية ساهمت بكل وسائلها في إخفاق تجربة الوحدة . ومصالحها المستندة إلى الدعم الاستعماري هي التي حققت الانفصال ولجأت كعادتها إلى الخداع فسايرت عواطف الشعب في إعلان الشكوى من تشويه مفهوم الوحدة واستنكرت الضغط على الحريات لتكسب الوقت . ولكنها لم تأبه للوقوع في التناقض فهي التي ادعت الثورة على الطغيان احتفظت بأجهزة الطغيان وحبس الحريات . وهي في حقيقتها الطبقة الرجعية ذات المصالح الكبرى من رأسمالية وإقطاعية التي تستبيح التفريط بالحقوق القومية ومنعة الوطن وسلامته وترضى أن تعود بلادنا معاوقة بالأخطار الاستعمارية في سبيل إشباع جشعها الاستغلالي .

« . . ان الاستعمار والرجعية يحاولان أن يرجعا بلادنا إلى الوراء . . فالاستعمار لا يمكن أن يدعى الدفاع عن الاستقلال أو العمل للوحدة

العربية وتقنع دعواه أحداً ، والاقطاعيون والرأسماليون لايمكن أن يدعوا إدعاء جدياً أنهم يعملون للاشتراكية ولمصلحة الشعب ، فى حين أن الوقائع تدل على أنهم تآمروا على الوحدة وضربوها لكى يقضوا على مكاسبها وينقضوا على مكاسب العمال والفلاحين التى ضمنتها لهم قوانين التأميم والإصلاح الزراعى فيلغوها إلغاء تاماً .

« . . . . . كانت الرجعية والاستعمار قد تآمرا تآمرا عربى النطاق على أول تجربة للوحدة تآمراً متكافئاً مع ما كانت تمثله الوحدة من خطر عليهم(١٨) » .

ولم يدع عبد الناصر هـــذه التجربة تمر دون استخلاص الدروس المستفادة منها . . فبعد شهر ونصف على يوم الانفصال . . وفى ١٦ أكتوبر سنة ١٩٦١ قام بنقد ذاتى دقيق وشامل للوحدة . . ورغم أهمية الخطاب . . فاننا نقتطف منه الفقرة الأولى . . وهو موجود بالكامل ضمن خطبه لمن يريد أن يرجع إليه .

يقول الرئيس ناصر فى نقده الشجاع . . وكشفه الأسباب الحقيقية للانفصال .

« . . لقد وقعنا ضحية وهم خطير ، قادتنا إليه ثقة متزايدة بالنفس وبالغير . فقد كنا نرفض دائماً المصالحة مع الاستعمار . ولكننا وقعنا فى خطأ المصالحة مع الرجعية . لقد تصورنا أنه مهما كان من خلاف بيننا وبين العناصر الرجعية ، فانهم أبناء نفس الوطن وشركاء نفس المصير . ولكن التجربة أثبتت لنا خطأ ما كنا نتوقعه .

« . . أثبتت التجربة أن الرجعية وهى من ركائز الاستعمار لا تتورع عن الارتكاز عليه بدورها لقلب النضال الشعبى .

« . . أثبتت التجربة أن الرجعية على استعداد للتحالف مع الاستعمار ذاته ، لتستعيد مراكزها الممتازة التى تتمكن بها من مباشرة استغلالها ، حتى وإن أدى ذلك إلى أن تمكن له من التحكم فى مقدرات الشعوب التى تنتمى إليها .

« . . ولقد غير الاستعمار طريقة تسلله إلى أرضنا ، فى حين أننا لم نغير طريقة مواجهتنا له . كنا لا نزال نقاوم أحلافه العسكرية وقواعده ، بينما كان هو يتوارى وراء الرجعية وفى قصورها العالية والمشيدة من استغلال الجماهير . وبذلك كانت ضرباتنا ضده تطيش أخيراً فى الهواء ، ولا تصيبه ، لأنها كانت موجهة إلى المكان الذى لم يكن موجوداً فيه .

« . . كنا نوجه ضرباتنا إليه فى الأحلاف ، والقواعد وكان هو قد غير مكانه وتوارى فى القصور وفى خزائن أصحاب الملايين.

« . . ولابد لنا الآن لسلامة النضال الشعبى أن نخلص أنفسنا من هذا الوهم الخطير الذى تركنا أنفسنا له . . لابد لنا أن نقاتل الاستعمار فى قصور الرجعية وأن نقاتل الرجعية فى أحضان الاستعمار .

« . . لقد رأينا فى سوريا كيف تكتلت الرأسمالية والاقطاع والانتهازية مع الاستعمار للقضاء على مكاسب الجماهير ولضرب الثورة الاشتراكية ولاسترداد جميع امتيازاتها ، ولو بالقوة المسلحة ولو بإراقة الدماء . كنا نأخذ الأرض من الاقطاعيين سلمياً ، ونعوضهم عنها لنعطيها للفلاحين ، وفى سوريا الآن يقتل بالرصاص أى فلاح يتردد لحظة فى التسليم بحقه المشروع فى أرضه لكبار الاقطاعيين .

« . . أردناها بيضاء من أجل العدل ولم يتورعوا أن يجعلوها حمراء ملطخة بالدم استمراراً للظلم والاقطاعيين(١٩) . . »

هوامش الفصل الثالث :

(١) ميشيل عفلق - معركة المصير الواحد - ص١١١ فى ٥٦/١١/٩ دار الآداب - بيروت .

(٢) المصدر السابق .

(٣) سامى جوهر - الصامتون يتكلمون - ص٥٠ - القاهرة ١٩٧٥

(٤) عفيف البزرى قائد الجيش السورى وقتذاك .

(٥) اعترف عبد الناصر بهذه الحقيقة بعد عامين وذلك فى خطابه بمناسبة الاحتفال باذاعة نتيجة انتخابه رئيساً لدولة الوحدة فى ٢٢ فبراير سنة ١٩٥٨ .

(٦) جمال عبد الناصر فى محادثات الوحدة الثلاثية - المجموعة الثانية من المحاضر الرسمية - الاجتماع الاول - ١٩ مارس سنة ١٩٦٣ . وكان يمثل الجانب المصرى فى المحادثات : جمال عبد الناصر ، البغدادى ، المشير عامر ، كمال حسين ، على صبرى .

(٧) صلاح البيطار .

(٨) جمال عبد الناصر فى محادثات الوحـــدة الثلاثية - المجموعة

الثالثة من المحاضر الرسمية - الاجتماع الأول - ٦ ابريل سنة ١٩٦٣ وكان يمثل الجانب المصرى فى المحادثات : جمال عبد الناصر ، البغدادى ، المشير عامر ، كمال حسين ، على صبرى ، كمال رفعت ، أمين هويدى ، عبد المجيد فريد .

(٩) جمال عبد الناصر - خطاب ٢٤ فبراير سنة ١٩٥٨ - دمشق .

(١٠) جمال عبد الناصر - خطاب ٢٦فبراير سنة ١٩٥٨ - دمشق .

(١١) عبد الرحمن الرافعى - ثورة يوليو من ٥٢ - ١٩٥٩ - ص ٣٦٠ - القاهرة .

(١٢) محمد حسنين هيكل - بصراحة عن عبد الناصر - ص ١٣٥ - بيروت .

(١٣) جمال عبد الناصر فى محادثات الوحدة الثلاثية - المجموعة الثالثة من المحاضر الرسمية - ٦ ابريل سنة ١٩٦٣ .

(١٤) صاغ أمين حسان كامل - محكمة الثورة - ص٤٦ ، ٤٧ - القاهرة - ديسمبر سنة ١٩٥٣ .

(١٥) مضبطة مجلس الأمة المصرى، - ١٦ يناير سنة ١٩٥٨ .

(١٦) جمال عبد الناصر فى محادثات الوحدة الثلاثية - المجموعة الثـــانية من المحاضر الرسمية - الاجتماع الأول - ١٩ مارس سنة ١٩٦٣ .

(١٧) المصدر السابق - حيث قال جمال عبد الناصر :

« الحاجة الوحيدة اللى طلعت بدون أن تعرض على المجلس التنفيذى هى قرارات التأميم »

(١٨) ميشيل عفلق - معركة المصير الواحد - ص ٢٠٥ ، ٢٠٦ دار الآداب - بيروت .

(١٩) جمال عبد الناصر - خطاب ١٦ أكتوبر سنة ١٩٦١ - القاهرة

٤

ان الواقع معقد، ولو لم يكن كذلك، لكان يكفى قراءة معناه فى كتاب مفتوح، ليصبح الدرب مرسوما من غير تعرض للخطأ .

« ريجيه دوبريه »

لا يمكن أن يكون عبد اللطيف البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم يقصدون حقيقة اتهام الرئيس جمال عبد الناصر بالديكتاتورية . . فأضعف ايمانهم بهذا الاتهام كان يضعهم خارج الصورة . . إلا أننا نراهم داخل اطـــار الصورة . . بل داخل الصورة نفسها . . داخل السلطة والسلطان والحكومة والهيلمان .

إن التصرف الطبيعى لأى فرد إزاء وضع يرفضه أن يعلن موقفه فى حينه ثم يقوم بسلسلة من الاجراءات تدعم موقفه وتضعف موقف الطرف الآخر .

إلا أن الصامتين لم يتصرفوا كأفراد طبيعيين . ، بل تصرفوا كأنبياء . . نهم يقررون أنهم رفضوا طريقة عبد الناصر فى الحكم . . لكنهم لم يعلنوا هذا الرفض . . إنه رفض الصامتين . . ، وكل شيخ وله طريقة ، . . وهم لم يقوموا بعمل من شأنه أن يدعم موقفهم ويضعف موقف الخصم وهو عبد الناصر .

ويبدو أنهم فى غمار البهجة التى تضفيها السلطة على صاحبها نسوا الرفض . . ونسوا أنهم فى ستقبل الأيام سوف يضطرون

إلى القول بأنهم كانوا من « الرافضة » ولذا فانهم استمروا مع عبد الناصر .

رفضوه وظلوا معه .

عادوه ورسموا بسمة المحبة على وجوههم
.. فى قلوبهم مرض من الاشتراكية لكنهم
سايروا الاشتراكية ورفعوا راياتها .. وزحفوا
إلى مواقعهم تحت أعلامها .

لماذا صنعوا هذا بأنفسهم .. ؟!

من عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٦٤ كان الثلاثة مع ثورة يوليو .. ومع عبد الناصر .. فما الذى حدث بعد عام ١٩٦٤! .. ؟

نحن بالطبع .. ما زلنا على اعتقادنا بأن الصامتين الثلاثة لم يقصدوا اتهام عبد الناصر بالديكتاتورية .. ولم يدر بخلدهم فى يوم ما .. أن يكونوا حيث هم الآن .. فعزيز علينا — نحن — أن نتصور هؤلاء الثلاثة حيث هم الآن .. ولذا نخير لنا وللثورة وللاسم العزيز علينا .. وعلى الأمة العربية كلها : جمال عبد الناصر .. خير أن نتهم أنفسنا بانعدام الرؤية .. فالبصر كليل .. والضباب يحجب حقيقة الأشياء .. خير أن نفعل هــذا من أن نتهمهم بالخداع .. وأنهم كانوا يظهرون غير ما يضمرون خوفاً على

مراكزهم ومناصبهم وسلطانهم . . فلما آن الأوان ليخرجوا من الصورة . . ويؤذن الواقع بأن عهداً جديدا يوشك أن يبدأ انقلبوا . . خسروا الدنيا والآخرة .

نحن لا نرى فيهم إلا الخير . . والبراءة . . والفضيلة . . ولذا فعندما نتعرض لبعض ما أثير على لسانهم ضد ثورة يوليو . . وضد عبد الناصر . . انما نريد التصحيح . . والتوضيح . . ثقة منا بأنه لا يصح إلا الصحيح .

على أننا يجب أن نوضح :

أن هذا لا يعنى الموافقة على كل ما تم فى عهد عبد الناصر .

للثورة قواعدها . . ، وللتغيير قانونه .. لكننا نرفض تصفية الخصوم السياسيين بأدوات البطش والقهر والإرهاب .

ونحن — حتى الآن — لا نعرف مدى مسئولية عبد الناصر — شخصياً — عن عمليات التصفية الجسدية التى وقعت . ذلك لأننا نعرف . . — وهذا لا خلاف عليه — أن الثورة عند ما قامت — وبسبب ظروف موضوعية — لم تلغ جهاز الدولة الرجعى المتخلف الذى كان عبداً لكل سلطة وقوة تأتى إلى الحكم .

وكان هذا الجهاز له تراث عريق فى البطش والإرهاب ومعاداة

الجماهير . . فباسم المحافظة على النظام الاجتماعى القائم أجريت عمليات البطش بالتنظيمات العمالية واليسارية فى العشرينات وفى ظل حكومة الأغلبية .. حكومة سعد زغلول(١) ، وفى الأربعينات لفقت تهم التجسس للمعادين للاستعمار الإنجليزى .. وفى أواخر الأربعينات جرت أكبر حركة اعتقالات واغتيالات لليمين الرجعى واليسار الوطنى . . باسم المحافظة على النظام . . ولم يكن المسئول هو الملك ورؤساء الوزراء السابقين . . بدليل أن محاكم الثورة لم تحاكم هؤلاء على مثل هذه الجرائم . . انما قدمت بعض المسئولين فى أجهزة القمع للمحاكمة . . إيماناً من الثورة — وقتذاك — بأن أجهزة القمع والبطش لا تستمد سلطاتها من قيادات الدولة . . بقدر ما تستمدها من تراثها وتاريخها . . وعاداتها . . وارتباطاتها العديدة . . وليس سراً أن نعرف أن عدداً من الشخصيات فى البوليس السياسى المصرى كان يتقاضى مرتبات من السفارتين الإنجليزية والأمريكية نظير عمله فى أقسام مكافحة الشيوعية !

حتى هؤلاء المسئولون الذين قدموا إلى محكمة الثورة . . لم يقدموا بتهم البطش والإرهاب وقتل الخصوم السياسيين . . انما قدموا بتهم غامضة . . أظهرها ما ارتبط بأعضاء جماعة الإخوان المسلمين التى حلت فى عام ١٩٤٨ . . كان أعضاء جماعة الإخوان

المسلمين جنس ممتاز « سوبرمان » .. بينما أعضاء التنظيمات الأخرى من جنس أدنى وأقل مرتبة ولذا حق عليهم العذاب والإرهاب .

أجهزة القمع والبطش والإرهاب ورثتها الثورة ضمن ما ورثت في صرح جهاز الدولة .

للثورة قانونها . . وللتغيير اعده . . انما ظروف الواقع تجعل استثناء ما قاعدة ما .

فالثورة بيضاء استثناء من القاعدة التي تقول بإن الثورة حمراء . . فإذا ما تساقطت قطرات من الدماء على ثوبها .. يصبح الأمر جريمة . . انما لا يصبح إلغاء للثورة . . ولا نفياً لها .

حيث تكون الثورة حمراء لا يكون ثمة مجال للحساب . . انما والثورة بيضاء فالحساب يجب أن يؤخذ ولكن في حدود .. وفي إطاره الموضوعي .

على أننا لا يجب أن نتحفظ . . إنما يجب أن نصرح بأنه لو سلمنا – جدلا – بالمسئولية الشخصية لجمال عبد الناصر عن بعض الإجراءات ضد الخصوم السياسيين . . فالسؤال المنطقي : ما هي هذه الإجراءات . . ومتى وقعت . . ومن الذي أصدر القرار ؟ . . وضد من صدرت هذه الإجراءات . . ؟

فإذا سلمنا — جدلا أيضاً — بالمسئولية المباشرة لجمال عبدالناصر .. أى أنه هو الذى جمع المعلومات .. وهو الذى صنفها . وهو الذى حدد الأضرار الناتجة عن هذا التصرف أو ذاك .. وأنه استحضر مواد القانون واختار منها ما يلائم هواه فى الانتقام من هؤلاء الخصوم السياسيين .. إذا سلمنا بكل هذا .. — وهذا مستحيل بالطبع — .. فأين كان هؤلاء .. ؟

لماذا لم يقولوا : لا .. ؟

لقد كانوا يعلمون ويعرفون .. فلماذا صمتوا . لماذا لم يصرخوا بكلمة : لا .. ؟

لقد كانوا فى السلطة .. فى قمة السلطة . ولزموا الصمت .

لماذا لزموا الصمت .. ؟

لماذا لم يقولوا : لا .. ؟

لماذا تركوا البطش والارهاب والقمع يمر دون أن يوقفوه .. أو يعترضوا طريقه .. ؟!

عفواً فقد قال كمال الدين حسين ، لا ، !

ولكن متى .. ؟ .. وفى أى مناسبة .. ؟

قالها فى أكتوبر سنة ١٩٦٥ .

وفى مناسبة القبض على جماعة الإخوان المسلمين فيما يسمى بمؤامرة قلب نظام الحكم .

وكان كمال الدين حسين وقتها بعيداً عن السلطة والسلطان . . أما عند ماكان فى السلطة وجرى اعتقال الإخوان بالجملة والتنكيل بهم فى أكتوبر عام ١٩٥٤ على أثر محاولة اغتيال عبد الناصر . . فان كمال الدين حسين لم يعترض . . لم يقل : لا .

إن محمود عبد اللطيف المتهم الأول فى محاولة الاغتيال لم يعتقل وحده . . انما اعتقل مع عشرات من الإخوان المسلمين ومن جهازهم السرى . . ولم يحاكم محمود عبد اللطيف وحده انما حوكم مع العشرات ونفذ فيه حكم الإعدام . . هو وعدد من زعماء الإخوان المسلمين منهم : يوسف طلعت والمحامى ابراهيم الطيب والمحامى هنداوى دوير والشيخ محمد فرغلى والمحامى عبد القادر عودة .

. . وحوكم فى نفس الوقت ٧٠٠ من الإخوان المسلمين . . ينتمون إلى الجهاز السرى .

لم يقل كمال حسين : لا .

ولم يكتب كلمة لمحمد نجيب وقتها أو لجمال عبد الناصر ليقول له : اتق الله . . !

وفى نفس الوقت أيضاً وقعت مذبحة فى ليمان طرة نتيجة استفزاز الحرس وخبراء التعذيب والبطش بالمسجونين السياسيين .. كان الخبراء يريدون أن يثبتوا للسلطة أن هؤلاء المساجين لا أمل منهم ولا فيهم .. ولكى ينسف هؤلاء الخبراء — ذوو الأيدى القذرة — الجسور بين الثورة وبين الاشتراكيين .. صعدوا الاستفزاز ثم أطلقوا الرصاص على هؤلاء العزل .. !

لم يعترض بغدادى ولا كمال حسين ولا حسن ابراهيم ولم يقولوا : لا .

ولا عن لهم أن يسألوا باستنكار عن السبب .. ولا ان يأمروا بالتحقيق .. ولا أن يتنازلوا ويحققوا بأنفسهم .

سكتوا .

هل كان عبد الناصر هناك فى سجن طره .. ؟

هل كان هو الذى حكم على الإخوان المسلمين .. ؟

بل انا إذا عدنا إلى الأيام الأولى من الثورة .. وإلى أول حادث اضطرت فيه الثورة إلى أن تصدر حكما بالإعدام .

فمن الذى نراه هناك .. وراء منصة القضاة .. هل نرى جمال عبد الناصر .. ؟

فى ١٣ أغسطس سنة ١٩٥٢ قام عمال شركة مصر للغزل والنسيج بكفر الدوار بإضراب تطور إلى مظاهرة عنيفة ضمت حوالى ١٠ آلاف عامل وأشعلت النار فى سيارات ومكاتب الشركة .. وهاجم فريق من العمال المصنع بهدف إتلافه .. وقد استنجد رجال الإدارة بالجيش فى الاسكندرية ورجال المطافى. ووقع اشتباك بين العمال المضربين الذين كانوا قد اعتصموا داخل المصنع ورجال الجيش والبوليس وقتل ثلاثة جنود وثلاثة من العمال ووصل عدد الجرحى إلى حوالى ٢٨ جريحاً . (٢)

والذى يهمنا من هذا الحادث هو ما انتهى إليه من صدور أحكام بالإعدام .. وأصابع الديكتاتورية التى ظهرت فى هذه الظروف .

وفى الواقع أن إضرابات كفر الدوار لم تقم بهدف احراج الثورة .. انما قامت لمطالب اقتصادية .. وكان هذا أمراً طبيعياً .. فقد رأى العمال أن الثورة قد بدأت بالكلام عن توزيع أراضى كبار الملاك على الفلاحين فتوهموا أن الثورة الاشتراكية قد بدأت ولابد أن تسرع بخطواتها نحوهم — نحو العمال — وأنا أتفق فى هذا مع الرأى الذى يقوله الدكتور عبد العظيم رمضان(٣) من أن الطبقة العمالية قد وقعت فى خطأ أن الثورة الاشتراكية قد بدأت بينما كانت الثورة الديمقراطية لم تبدأ بعد .

وكان وقوع الاضطرابات والعنف مثيراً للدهشة لأن عمال هذه الشركة كانوا يتمتعون بامتيازات كثيرة لا يتمتع بها زملاؤهم من عمال المصانع الأخرى سواء فيما يتعلق بالمسكن أو الأجور أو الرعاية الطبية والاجتماعية وهذا ما دفع بالكثيرين إلى توهم وجود أية حركة وراء هذا الإضراب العنيف .

لكن الحقيقة كانت تقـــول أن مطالب العمال الاقتصادية واضحة . . وتتلخص فى :

١ – إجراء انتخابات حرة للنقابة وأن يكون مقر النقابة خارج المصنع .

٢ – المساواة فى المنح مع الموظفين .

٣ – زيادة الأجور .

٤ – إلغاء الفصل التعسفى .

٥ – إبعاد محامى الشركة .

وقد انزعج زعماء البرجوازية المصرية من هذا الحادث ، وعقب عليه عبود (باشا) قائلا إن هذا بسبب مشروع قانون الإصلاح الزراعى وما سببه من قلق لدى العمال الأمر الذى جعلهم يتساءلون عن الفوائد التى سيجنونها من الثورة . .(٤)

أما الصحيفة داعيه الديمقراطية وهى جريدة المصرى .
والتى ما زال رئيس تحريرها أحمد أبو الفتح العائد من أوربا بعد عشرين عاماً يصول ويجول فى الصحف المصرية الآن .. ويبشر بالديمقراطية كأنه أحد أبطالها . كتبت المصرى تقول أن هناك يداً أثيمة وراء حوادث كفر الدوار .. ولابد من بتر هذه اليد(٥) ولم يترك الزعيم مصطفى النحاس هذا الحادث يمر دون تعليق فاستنكره .. ودعا العمال إلى الأخذ بالطرق القانونية(٦)

على أن هيكل — كعادته — يقول أن السبب فى مقابلة هذا الإضراب بالعنف من جانب الثورة أن الثورة كانت تدطرح شعار الاتحاد والنظام والعمل، ووقع التصرف فى كفر الدوار بشىء من التحدى للسلطة الجديدة . ووجدت السلطة فيه ما يتنافى والشعار المطروح . ورأت فيه عملا يخل بالوحدة الوطنية ويعطل العمل والإنتاج . وبالتالى حدث الصدام .

ان ما حدث فى كفر الدوار كان نوعاً من الصدام فى الظلام بين طرفين يحملان الأمانى نفسها تقريباً لكن الانتظار إلى الحوار جعلهما يظهران ، بل يتصرفان كخصمين .(٧)

وهذان تفسيران متناقضان . أولهما يرجع السبب إلى التحدى ومقابلته بتحد أعنف . . وثانيهما الافتقار إلى الحوار بين طرفين يحملان نفس الأمانى . . وهذه عادة هيكل بسبب افتقاره إلى التحليل الطبقى للأحداث . . ولذا فان تحليله يوقعه فى قبضة الهوى والغرض . . فمثلا يقول :

إنه لو حدث حوار بين عبدالناصر والقيادات العمالية لما كان انتهى إلى غير الصدام وهذا سببه نوعية القيادات . . فقد كان زعيم العمال الذى يتصدر الحركة النقابية فى يوم من الأيام هو النبيل عباس حليم الذى يمثل الأسرة المالكة بالإضافة إلى ذلك أن فؤاد سراج الدين باشا بويع زعيما للحركة العمالية فى مصر مدى الحياة .

وهذا الكلام فضلا على سطحيته . . يمتاز بقدر كبير من المغالطة . . والمغالطة من الفضائل التى يتمتع بها هيكل .

فأين كان عبد الناصر فى أغسطس سنة ١٩٥٢ . . ؟ . . إنه لم يكن علـى المسرح السياسى . . كان يحرك الخيوط من وراء الكواليس . . لكنه لم يكن الذى يجرى الحوار . . ولا كان مسئولا عن العمال ولا عن الحركة العمالية . . انما كان فى معركة

إصدار قانون الإصلاح الزراعى — الذى صدر فيما بعد فى ٩/٩/١٩٥٢ — وكان فى معركة الأحزاب .. وهل تبقى أن تطهر نفسها .. أو تلغى .. وكان فى معركة الجلاء .. والمباحثات المصرية البريطانية .. وكان فى معركة القناة حيث أرسل عدداً من الضباط الأحرار لتنشيط أعمال المقاومة .

فمحاولة الكلام عن حوار مع عبد الناصر فى هذه الفترة .. هى محاولة تستهدف إلصاق نتائج أحداث كفر الدوار بعبدالناصر.

لقد كانت مهمة هيكل خلال حكم عبد الناصر هى تفسير الأحداث وتبرير الأخطاء .. وتقديم المعلومات التى تنفع الصديق والعدو على السواء(٨) بالإضافة إلى المهمة الأساسية له .. وهى تخريب ثورة يوليو .. وتفريغها من مضمونها التقدمى .. وبين الطريق إلى هذا الهدف والوصول إليه .. تحول هيكل إلى مركز قوة بحيث أضعف قدرة عبد الناصر على إمكانية التخلص منه فى الوقت المناسب .. ولذا فان هيكل يحاول الآن الصاق أشياء كثيرة بعبد الناصر .. كان هو أول المبررين لها .. هذا إذا كانت قد صدرت عنه أو صدرت عن معاونيه .. فإذا ما كانت هذه الأخطاء بعيدة .. فلا مانع من تقريبها إليه .. بحيث تلتصق به .. ويصبح هو مسئولا عنها .. ومن أمثلة هذا أحداث كفر الدوار .

أما الأمر الآخر فى كلام هيكل . . وهذا ما نتفق فيه مع الصامتين الثلاثة . . أنه يحاول تشويه الحركة العمالية المصرية بادعائه أنها كانت منقادة لأمراء البيت المالك مثل عباس حليم . . واليمين الاقطاعى مثل فؤاد سراج الدين . . وهذا إهدار رخيص لتاريخ الطبقة العاملة المصرية . . وكفاحها .

والطبقة العاملة المصرية التى انقادت للأمير وللاقطاعى هى شراذم مستهلكة وعميلة لا يمكن أن تحسب على الطبقة العاملة المصرية . . لأن قيادة الطبقة العاملة المصرية فى هذه الفترة — فترة ظهور الأمير والاقطاعى — كانت فى السجون الملكية ! !

هذا فيما يختص بأقوال هيكل عن أحداث كفر الدوار . .

فإذا انتقلنا إلى المسئولية وإلى الأحكام التى صدرت . . فاننا لا نجد عبد الناصر . . لأنه — كما قدمنا — كان بعيداً عن مسرح أحداث كفر الدوار . . ، . . . وكان الذى يتولى شئون العمال فى مجلس قيادة الثورة هو البكباشى عبد المنعم أمين .

وفى كل الاجتماعات التى عقدت مع العمال فى هذه الفترة — من بداية الثورة حتى أحداث مارس ١٩٥٤ — كان ينوب عن مجلس قيادة الثورة البكباشى عبد المنعم أمين والصاغ عبد العظيم شحاته . . وكان يحضر هذه الاجتماعات سيد قطب . .

لماذا . . ؟ . . ولم يكن عبد المنعم أمين يخفى عداءه للشيوعيين . . وكان يرى فى أية حركة . . أو أى نشاط أصابع الشيوعيين . . وكان العداء التقليدى بين الإخوان واليساريين قد أبعده عن الحيدة الواجبة .

ونظراً لأن كمال الدين حسين كان من الإخوان المسلمين . . وظل على علاقة معهم . . تأرجحت بين الشد والجذب فانه كان يكون محوراً مع عبد المنعم أمين . . فكان صوت عبد المنعم أمين هو صوت كمال الدين حسين .

هذه الحقيقة يجب فهمها جيداً خاصة عندما نصل إلى أحداث كفر الدوار .

لقد كان الانطباع الأول لهذه الأحداث أنها من فعل الشيوعيين . . وأنها صورة من صور التحدى يجب مقاومته بالعنف . . فأصدر اللواء نجيب قراراً بتشكيل مجلس عسكرى لمحاكمة المتهمين وتطوع البكباشى عبد المنعم أمين عضو مجلس قيادة الثورة – آنذاك – برئاسة المجلس(٩) واقترح عقده فى موقع الحادث وتشكل المجلس العسكرى من الصامت الثالث حسن ابراهيم والصاغ عبد العظيم شحاته واليوزباشى أحمد وحيد الدين حلمى والصاغ محمد بدوى الخولى واليوزباشى فتح الله رفعت واليوزباشى

جمال القاضي . . ونفذ اقتراح عبد المنعم أمين وعقد المجلس فى مكان الحادث .

وجرت المحاكمة فى جو من الإرهاب العنيف .. لم تتح المحكمة فرصة للمتهمين للاتصال بالمحامين . . حتى أن عبد المنعم أمين رئيس المجلس رأى الصحفى موسى صبرى فى قاعة الجلسة ممثلا لصحيفة الأخبار فطلب منه أن يدافع عن العامل محمد مصطفى خميس باعتباره حاصلا على ليسانس الحقوق .

وأصدر المجلس العسكرى الحكم بالإعدام على محمد حسن البقرى ومحمد مصطفى خميس .

ثبت من التحقيقات أن البوليس هو الذى أطلق النار أولا فاستفز العمال . . وبذا انهار ركن هام فى الجريمة .

ويروى عبد المنعم أمين(١٠) ان حكم المجلس العسكرى لم يكن بالاجماع بما يتعارض مع قانون الأحكام العسكرية ، كما أن تصديق مجلس قيادة الثورة على الحكم لم يكن بالاجماع أيضاً .

فقد اعترض على الحكم ولم يوافق عليه كل من :

١ ــ جمال عبد الناصر .

٢ ــ يوسف صديق .

٣ — خالد محيى الدين .

ووافق الجميع على الحكم . . ومنهم بالطبع الصامتون الثلاثة : البغدادى ، وكمال حسين ، وحسن ابراهيم ! !

هذا ما حدث فى الأيام الأولى للثورة عندما اضطرت الثورة إلى أن تصدر حكما بالإعدام .

لم يكن عبد الناصر وراء منصة القضاة . . ولم يكن يرأس المجلس العسكرى . . . ولم يكن هو الذى أصدر قراراً بتشكيل المجلس العسكرى . . ولم يكن ضمن الموافقين على الحكم . . بل كان أول الثلاثة الذين اعترضوا على الحكم ولم يوافقوا عليه . . ثم صدق اللواء نجيب على الحكم بعد تردد . . ونفذ الإعدام . . !

فسياسة الإرهاب والعنف والقمع وضعت منذ الأيام الأولى للثورة . . وأصبحت قاعدة فيما بعد . . وقد استغل هذه القاعدة حضرات أعضاء مجلس قيادة الثورة لضرب خصومهم السياسيين . . فالإخوان يضربون الشيوعيين . . والشيوعيون يضربون الإخوان . وهكذا . . دارت العجلة .

هذا هو الجرح الحقيقى فى ثورة ٢٣ يوليو . . وكان على عبد الناصر أن يضمد هذا الجرح . . ولكن جرح الوطن كان

أكبر . . كان عليه أن يكافح ويناضل بقوة وشجاعة ضد هذه القاعدة الدامية . . إلا أن كفاحاً أكبر كان ينتظره .

كان أبناء الوطن يقفون فى القناة فى مواجهة القوات البريطانية . . وكان الاستعمار يتربص ليضرب هذه الثورة الوليدة .

وكان العدل يطالبه بأن يحول نظره إلى الداخل .

وهنا سقط الزعيم العظيم فى التمزق والحيرة والقلق .

وهكذا قدمت مصر البطل الدرامى . . البطل الذى يعانى العذاب فى أعمق أعماقه .. وعليه أن يواجه التنين فى القناة بشجاعة فائقة . . ثم عليه أن يجلس على مائدة المفاوضات ويبتسم . . ويمارس لعبة السياسة مع أعتى السياسيين .

هل نسقط فى حلقة التبرير والدفاع عن عبد الناصر . . ؟

أبداً .

نحن فى الواقع نضع الأشياء فى مكانها الصحيح .

* * *

يقول كمال الدين حسين :

أحببت عبد الناصر أكثر من نفسى وكنت

أثق فيه .. ولكني اختلفت معه في الرأي لمصلحة وطني . .(١١)

وهل من يحب عبد الناصر لا يقف معه في رفضه الإعدام لخصوم سياسيين . . ؟!

وهل كان من مصلحة الوطن اعدام خميس والبقري ؟

وهل كان من مصلحة الوطن تنفيذ توصية سيد قطب بالتخلص من الشيوعيين – الخصوم السياسيين – بأية طريقة . . ؟!

* * *

منذ ذلك الحين بدأ عبد الناصر ينظر إلى زملائه في مجلس قيادة الثورة نظرة شك وريبة . . هؤلاء الأصدقاء . . والزملاء . . الذين كانوا يجلسون في ليالي الشتاء حول عدة أطباق ساخنة من الحساء . . وعشاء بسيط . . ويتأملون وجوه بعضهم بحب . . وصدق . . وطهر . . ثم يسمعون في الإذاعة أن صديقاً لهم قتله الملك . . فيضعون وجوههم على زجاج النوافذ . . وعلى الجدران . . ويخفون دموعهم حتى لا يراها أبناؤهم الصغار الذين يتجولون في حجرات البيت : هذا هو الإرهاب .

كيف يستبيحون أن يقتل عامل . . ؟

أيمكن أن تمتد الخصومة السياسية إلى القتل . . ؟

ذات يوم فكر عدد من الضباط وكان بينهم جمال عبد الناصر في أن القتل هو خير وسيلة للتخلص من الخصوم السياسيين . . وكان العدو الرئيسى لحركة الضباط الأحرار فى الجيش هو اللواء حسين سرى عامر .

يقول بغدادى أن جمال عبدالناصر كان دائماً يفاجئنا بتصرفات يقوم بها بمفرده حتى من قبل قيام الثورة وأذكر انه فى يوم ٩ يناير سنة ١٩٥٢ أعد خطة لاغتيال حسين سرى عامر ولم يكشفها لنا إلا بعد قيامه بتنفيذها مع حسن ابراهيم وكمال رفعت وحسن التهامى . . كان جمال يقود السيارة وترك محركها دائراً بينما كانت مهمة حسن ابراهيم مراقبة الطريق . . أما التنفيذ فقام به كمال رفعت وحسن التهامى بمدافع رشاشة وفشلت الخطة لأن الرصاص أصاب السائق فقط ونجا حسين سرى عامر (١٢) .

وقد قال بغدادى هذا الكلام فى معرض الكلام عن الزعامة . . ومفاده أن جمال عبد الناصر كان يحب الزعامة دائماً . . أو كان يحب الرئاسة . . ولهذا كان ينفرد باتخاذ قرارات ينفذها دون علمهم .

والتناقض الأساسى فى هذا الكلام أن هذه الخطة رسمت فى

اجتماع خاص للضباط الأحرار وتقرر أن يقوم بها أربعة هم : جمال عبد الناصر ، حسن ابراهيم ، كمال رفعت ، حسن التهامى .

وفعلا نفذت العملية بهذه الطريقة . . وبهؤلاء الأشخاص كاعتراف البغدادى نفسه .

لكن هذه الرواية لا يقصد بها اتهام عبد الناصر بالانفراد بالرأى . . انما يقصد بها أن عبد الناصر والذين يحملون راية الفكر الناصرى من بعده . . كلهم قتلة . . وأنه وهم لا يتورعون عن القتل للتخلص من خصومهم السياسيين . . وفى هذا دليل ضمنى على شهوة القتل عند عبد الناصر . . وبذلك ينسجم الاتهام بالديكتاتورية مع الاتهام بالمذابح الماضية وغير الماضية . . وقد طاش السهم هذه المرة أيضاً لأن شهوة التخلص من الخصوم السياسيين بدأت من الصامتين الثلاثة .

ومن ناحية الانفراد بالرأى فالثابت أنه لم ينفذ هذه العملية وحده . . انما اشترك معه فيها ثلاثة من الضباط . . منهم حسن ابراهيم نفسه أحد الصامتين الثلاثة . . ومنهم كمال رفعت . . ثم حسن التهامى . . فهو إذن لم ينفرد بالرأى . . إذ من الطبيعى أنه لو انفرد بالرأى لانفرد أيضاً بالتنفيذ . . !

يقول عبد الناصر عن هذه الواقعة :

« . . ورويداً رويداً وجدت فكرة الاغتيالات السياسية

التى توهجت فى خيالى ، تخبو جذوتها وتفقد قيمتها فى قلبى كتحقيق للعمل الإيجابى .. وأذكر ليلة حاسمة فى مجرى أفكارى وأحلامى فى هذا الاتجاه ، كنا قد أعددنا العدة للعمل .. واخترنا واحداً قلنا أنه يجب أن يزول من الطريق(١٣) ودرسنا ظروف حياة هذا الواحد ووضعنا الخطة بالتفاصيل وكانت الخطة أن نطلق الرصاص عليه وهو عائد إلى بيته فى الليل .. ورتبنا فرقة الهجوم التى تتولى اطلاق النار ، ورتبنا فرقة الحراسة التى تحمى فرقة الهجوم ، ورتبنا تنظيم خطة الإفلات(١٤) إلى النجاة بعد الإفلات من العملية بنجاح .

«.. وجاءت الليلة الموعودة وخرجت بنفسى مع جماعات التنفيذ . وسار كل شىء طبقاً لما تصورناه ... وأدرت محرك سيارتى ، وانطلقت أغادر المسرح الذى شهد عملنا الايجابى الذى رتبناه .. وفجأة دوت فى أذنى أصوات صراخ وعويل ، وولولة امرأة ورعب طفل ، ثم استغاثة متصلة محمومة .. وكنت غارقاً فى مجموعة من الانفعالات الثائرة والسيارة تندفع مسرعة بى .

«.. ثم أدركت شيئاً عجيباً .

«.. كانت الأصوات ما تزال تمزق سمعى ، الصراخ والعويل والولولة والاستغاثة المحمومة .. لقد كنت بعدت عن المسرح

بأكثر مما يمكن أن يسرى الصوت ، ومع ذلك بدا ذلك كله يلاحقنى ويطاردنى . . ووصلت إلى بيتى واستلقيت على فراشى ، وفى عقلى حمى ، وفى قلبى وضميرى غليان متصل . . ولم أنم طوال الليل . . بقيت مستلقياً على فراشى فى الظلام ، أشعل سيجارة وراء سيجارة ، وأمرح مع الخواطر الشاثرة ، ثم تتبدد كل خواطرى على الأصوات التى تلاحقنى .

- أكنت على حق . . ؟

وأقول لنفسى فى يقين :

— دوافعى كانت من أجل وطنى .

- أكانت تلك هى الوسيلة التى لا مفر منها . . ؟

وأقول لنفسى فى شك :

— ماذا كان فى استطاعتنا أن نفعل . . ؟

- أيمكن حقاً أن يتغير مستقبل بلدنا إذا خلصناه من هذا الواحد أو من غيره ، أم المسألة أعمق من هذا . . ؟

وأقول لنفسى فى حيرة :

— أكاد أحس أن المسألة أعمق .

- إننا نحلم بمجد أمة فما هو الأهم : أيمضى من يجب أن يمضى أم يجىء من يجب أن يجىء . . ؟

وأقول لنفسي واشعاعات من النور تتسرب بين الخواطر المزدحمة :

— بل المهم أن يجيء من يجب أن يجيء .. اننا نحلم بمجد أمة . ويجب أن يبنى هذا المجد .

و . . وأقول لنفسي وما زلت أتقلب في فراشي في الغرفة التي ملأها الدخان وتكاثفت فيها الانفعالات :

● وإذن . . ؟

— أسمع هاتفاً يرد علي :

● وإذن ماذا . . ؟

وأقول لنفسي في يقين هذه المرة :

— إذن يجب أن يتغير طريقنا . . ليس ذلك هو العمل الايجابي الذي يجب أن نتجه إليه . المسألة أعمق جذوراً وأكثر خطورة وأبعد أغواراً .

و . . وأحس براحة نفسية صافية ، ولكن الصفاء ، ما يلبث أن تمزقه هو الآخر أصوات الصراخ والعويل والولولة والاستغاثة تلك التي ما زالت أصداؤها ترن في أعماقي .

ووجدت نفسي أقول لجأة :

— ليته لا يموت !

« وكان عجيباً أن يطلع على الفجر ، وأنا أتمنى الحياة للواحد الذى تمنيت له الموت فى المساء . . وهرعت فى لهفة إلى إحدى صحف الصباح . . وأسعدنى أن الرجل الذى دبرت اغتياله . . قد كتبت له النجاة .

« . . ولكن تلك لم تكن المشكلة الأساسية . . وانما المشكلة الأساسية . . هى العثور على العمل الايجابى . . ومنذ ذلك الوقت بدأ تفكيرنا الحقيقى فى شىء أعمق جذوراً وأكثر خطورة وأبعد أغواراً .

« . . وبدأنا نرسم الخطوط الأولى فى الصورة التى تحققت مساء ٢٣ يوليو ، ثورة منبعثة من قلب الشعب ، حاملة لأمانيه ، مكملة لنفس الخطوات التى خطاها من قبل على طريق مستقبله(١٥) » .

إلى هنا ينتهى كلام عبدالناصر عن الواقعة التى أثارها الصامتون الثلاثة . والتى قالوا فيها . . أن جمال عبد الناصر :

١ — انفرد بالرأى فيها .

٢ — أنه قرر اغتيال حسين سرى عامر .

٣ — أن تنفيذ خطة الاغتيال قام به كمال رفعت وحسن التهامى وحسن ابراهيم وانتهت إلى إصابة السائق ونجاة اللواء سرى(١٦) .

ومن ناحية الانفراد بالرأى فالثابت أن التدبير لم يكن من صنع عبد الناصر وحده بدليل اشتراك غيره معه من الضباط الأحرار مثل حسن ابراهيم . . وكمال رفعت . . والتهامى .

أما إن عبد الناصر قرر اغتيال حسين سرى عامر فهذه حقيقة . . انما يجب أن توضع عملية الاغتيال فى ظروفها الموضوعية .. وإلا أصبحت جريمة شأن أية جريمة أخرى .

وهناك ظروف يتحتم فيها على القوى الثورية أن توازن بين مختلف الأساليب لتحقيق أهدافها ولحماية أمنها . . فتختار أسلوباً معيناً ليس بالطبع أفضل الأساليب .

وفى كل ثورة كان يطرح الاغتيال السياسى فى مرحلة مبكرة . . فى ثورة أكتوبر الاشتراكية طرح الاغتيال السياسى عام ١٩٠٥ وهى المحاولة التى جرت لاغتيال عم القيصر . . وفى ثورة ١٩١٩ سبقتها مرحلة من الاغتيالات السياسية . . وفى العصر الحديث تنتهج بعض حركات التحرير أسلوب الاغتيال الفردى والخطف وما إلى ذلك .

والحقيقة أن عملية اغتيال حسين سرى عامر لم تكن مجرد اغتيال رجل يسيطر على الجيش ويناصب تنظيم الضباط الأحرار

العداء . . ولا قيادة كبيرة من قيادات الجيش تأتمر بأمر السراى . . وتعمل للملك . . ولو كان على حساب الوطن . . انما كان لأن حسين سرى عامر قرر توجيه الحرس الحديدى للملك — وهو الحرس الذى استعمل لقتل الشهيد الامام حسن البنا المرشد العام للإخوان المسلمين .. واغتيال الضابط عبد القادر طه .. واغتيال عدد كبير من الضباط الشبان غير معروف حتى الآن — قرر توجيه الحرس الحديدى للتخلص من مجموعة الضباط الذين تدور الشبهات حولهم .. وكان على رأسهم جمال عبد الناصر .. ومجموعة الضباط الذين اشتركوا معه .. وكان لابد من الرد عليه .. ولابد أن يعرف غيره أنه سيلقى نفس المصير إذا ما فكر فى الاقتراب من تنظيم الضباط الأحرار .

هذا هو الدافع — فى تقديرى — لعملية اغتيال حسين سرى عامر . بصرف النظر عن التفسيرات الأخرى .

وهنا ينبغى أن نستمع إلى كمال رفعت . . وهو أحد الضباط الأحرار الذى كلف بتنفيذ عملية الاغتيال نفسها .

يقول كمال رفعت :

وقعت هذه الحادثة فى يناير سنة ١٩٥٢ وفى ظروف كان الضباط الأحرار . . بل الشعب المصرى كله يعيشون فى حيرة

تمتزج فيها عوامل مختلفة ومتشابكة من الإيمان ، ومن الإقدام والتردد ، تلفهم تيارات شتى وانفعالات مختلفة . . يرون وطنهم وقد تحكمت فيه القلة التي يساندها الوجود الاستعماري ، وانهيار الزعامات التقليدية وظهور طبقة من الأفاقين تتحكم فى مقدرات البلد . وقد ساعد على هذه البلبلة ، التمزق الفكرى الذى كان يعانى منه شعبنا — مما لا داعى للاسترسال فى شرحه — وأصبح السؤال المطروح هو : ما العمل ؟ وكيف نمنع الانهيار وننقذ الوطن من الهاوية التي يتردى فيها ؟ وكانت هناك آراء متضاربة، فالعمل الثورى المرتقب يمر ببعض العقبـــات من ناحية استكمال تنظيم الضباط الأحرار ، وأهمية تشعبه داخل مختلف وحدات الجيش خصوصاً داخل التشكيلات المقاتلة . وتخلف وتخاذل بعض العناصر عن المشاركة فى العمل الثورى فى مراحل التشكيل الأخيرة ، ومحاولات السلطة فى ذلك الوقت أن تتعقب التنظيم بهدف تصفيته وكشف حلقاته . كل هذه العوامل كانت تحث العناصر الثورية داخل التنظيم على ضرورة السرعة فى العمل ، خصوصاً أن بعض هذه العناصر التى شاركت فى عمليات الفدائيين فى منطقة القنال بعد إلغاء معاهدة سنة ١٩٣٦ قد بدأ التعرف عليها من قبل أجهزة السلطة مما كان يهدد التنظيم بالفشل .

وقد تباينت الآراء فى ذلك بين العناصر الثورية التى كانت

تعتبر العمود الفقرى للتنظيم . فبعض الآراء كانت تميل إلى القيام بعمليات اغتيال لبعض العناصر التى يعتمد عليها النظام الملكى السابق . وآراء أخرى كانت تميل إلى الانتظار للقيام بعملية ثورية شاملة تطيح بالنظام كله . كما كان هناك قسم ثالث - ليس من العناصر الثورية - لا يبدى رأياً لكنه مستعد أن ينتقد أى رأى آخر . ومن المعروف أن مثل هذه المناقشات كانت تدور فى حلقات معينة داخل التنظيم لا تشمل كل أعضائه فليس من المفروض أن يعلم كل شخص هذه الأمور الحساسة والدقيقة . وأعتقد أن ذلك انطبق على الأخ عبد اللطيف البغدادى فلم يخبره جمال عبد الناصر كما لم يخبر غيره بهذه العملية بالرغم من أن زميله وصديقه حسن ابراهيم كان يعلم بها واشترك فيها بالقيام بمراقبة الطريق .

وأنا شخصياً أعتبر أن هذه العملية كانت خطأ بالرغم من أنها حدثت نتيجة ظروف وملابسات سبق بيانها . فان مثل هذه الأساليب لا تجدى فى تغيير أى واقع مهما بلغ هذا الواقع من مرارة فالعمل الإرهابى لا يمكنه أن يخدم أى قضية ثورية ، بل على العكس قد يكون عاملا من عوامل فشلها . كما أنها ليست من المسائل التى يفخر بها الرجل السياسى .

وإذا كان هذا رأى كما رفعت . . فنحن

لانتفق معه بالضرورة .. بل فى الحقيقة نختلف معه . . لأن العمل الثورى يمتد ويتسع ويشمل جبهة عريضة رحبة من توزيع المنشورات . . إلى تجنيد الرجال الصالحين . . إلى الدعوة . . إلى التجميع . . إلى التنظيم . . إلى التحريض . . إلى تصفية القوى المناهضة . . إلى الثورة الشاملة .

العمل الثورى لا يلوث الأيدى . . لأنه يستهدف تغيير المجتمع إلى الأحسن والأفضل . . فكما يباح لقوى الرجعية والبيمين أن تنشب مخالبها فى صدور الأحرار . . فلم لا يكون من حق الأحرار أن ينشبوا مخالبهم فى عنق الرجعية واليمين . . ؟ . . أهناك شك فى أنهم يملكون أنياباً ومخالب ؟

لابد فى الثورة من العنف . . لأن القوى الأخـــرى لن تسلم بالسلم . . إذ لابد أن ترد بالعنف . . تدافع بالعنف . . تحافظ على ما استنزفته بالعنف . العنف دينها وقانونها . . فلا يذهبن بنا الظن إلى أنه يمكن القيام بثورة على

طريقة الجنازات . . أن يودع الأهل من مات ثم ينصرفوا بهدوء إلى البيوت ليذرفوا الدمع .

الثورة ليست قدراً يفرض نفسه .. وينتزع الحياة من أصحابها فينزل الناس على حكمه صاغرين .

الثورة عمل واع ومنظم ودقيق ومحكم يقوم على العنف .

الثورة ليست عملاذاتيا وشخصياً يخضع للأهواء .. والضعف البشرى .

الثورة كالحرب .. لا معركة فيها بغير عنف . . ولا انتصار بغير عنف . . ولا غد مشرق ومستقبل حر بلا عنف .

الثورة كالولادة . . فيها قدر كبير من القوة والعنف .. اندفاع المولود من الظلام الذى كان فيه . . إلى الحياة بالعنف .

التبرؤ من العنف موقف لا يتفق مع الثورية . . إلا إذا كان يعنى الانسحاب من العنف الذاتى إلى العنف الجماعى .. من الموقف الشخصى

إلى الموقف الاجتماعي وهنا ينهض ما يسمى باستراتيجية الثورة .. وفي ضوء هذه الاستراتيجية يرفض هذا العنف الصغير ليحل مكانه عنفاً أكبر . . وبدلا من التخلص من اللواء حسين سرى عامر . . لابد من التخلص من كل الرجعيين .. بدلا من القضاء على عدو الشعب رقم (١) لابد من القضاء على كل أعداء الشعب .

هنا فقط يمكن قبول الانسحاب من دائرة العنف .

وهنا فقط يمكن تفسير النكوص عن فكرة الاغتيالات الفردية من جمال عبد الناصر . . وكمال رفعت على السواء . . أما إدانة العنف فوقف غير علمي وغير موضوعي . . لأن لكل ثورة أسلوبها المتميز والمميز . . ولكل ثورة أسلحتها . . ولكل ثورة وقت . . وزمان ومكان . . ولا يوجد تشابه بين الثورات . . انما القانون العام الذى يحكم كل ثورة . . وكل عمل ثورى هو : العنف .

هل كان يمكن قيام الثورة الفرنسية بالاتفاق

. . أو الثورة الاشتراكية بالتضامن الآخوى . .
أو كان يمكن نشر الإسلام وقيمه الخالدة بالحسنى.

بالعنف وحده تتجدد الحياة .

تهب رياح الخريف فتعصف بأوراق الشجر
لتؤذن للربيع بالازدهار .

وتعصف الأمواج الوحشية بالشاطىء لتغسله
وتطهره لأيام "صيف المقبلة .

هوامش الفصل الرابع :

(١) بطشت حكومة سعد زغلول بأول تنظيم يسارى فى مصر سنة ١٩٢٤ ، وحلت التنظيمات العمالية بهدف إعادة تكوينها تحت قيادة وفدية .

(٢) عبد الرحمن الرافعى - ثورة يوليو - ١٩٥٢ - ١٩٥٩ ص٤٣ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة .

(٣) د. عبد العظيم رمضان - الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر - ص ٥٢ - القاهرة .

(٤) المصرى - ٥ سبتمبر ١٩٥٢ .

(٥) المصرى - ١٤ أغسطس ١٩٥٢ .

(٦) المصرى - ١٦ أغسطس ١٩٥٢ .

(٧) هيكل - بصراحة عن د.د الناصر - ص ٥٦ - دار القضايا - بيروت - ١٩٧٥ .

(٨) كان هيكل هو الذى كشف أسرار اجتماع ناصر بالقيادة العامة قبل هزيمة ١٩٦٧ حيث تقرر عدم البدء بالهجوم وانتظار الضربة الأولى . . ونشر هذا قبل الهجوم بيومين .

(٩) أحمد حروش - ثورة يوليو - ص ٢٨٦ - بيروت ١٩٧٥ .

(١٠) المصدر السابق .

(١١) كمال الدين حسين - روز اليوسف - العـــدد ٢٤٦٠ فى ٤ أغسطس ١٩٧٥ .

(١٢) سامى جوهر - الصامتون الثلاثة - ص ٢٠ - القاهرة .

(١٣) اللواء حسين سرى عامر .

(١٤) هذه الصورة من رسم الخيال الخصب اللامع لمحمد حسنين هيكل .

(١٥) جمال عبد الناصر - فلسفة الثورة - صفحات ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٤ .

(١٦) لم يصب السائق إصابة مباشرة . بل كانت إصابته طفيفة .. ولم يمكث فى المستشفى سوى يوم واحد خرج بعده سليما .

٥

لقد توقف عبدالحكيم عامر عند رتبة الصاغ .. انه يستطيع أن يقود كتيبة لكنه لا يستطيع أن يقود جيشا ..

(...)

يقول الصامتون الثلاثة أن عبد الناصر اتجه إلى فكرة القيادة الجماعية بعد فشل الوحدة .. فأنشأ قيادة جماعية للدولة باسم مجلس الرئاسة . . وعلى الرغم من وجود هذه القيادة .. فان عبد الناصر انفرد بالحكم .

وبادىء ذى بدء ينبغى تصحيح التاريخ .. فالإعلان الدستورى بإنشاء مجلس الرئاسة صدر فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٦٢ . . أى بعد الانفصال بعام كامل .

وبين الانفصال وتشكيل مجلس الرئاسة عقد المؤتمر الوطنى لقوى الشعب . . وصدر الميثاق الوطنى الذى قال بحتمية الحل الاشتراكى . . وأوضح الرئيس أثناء مناقشات نصوص الميثاق ان هناك تناقضات فى المجتمع ويجب أن نعمل على حلها بالوسائل السلمية ، ولكن ونحن فى الميثاق لم نستبعد العنف . . وقلنا إذا الرجعية لم تسر معنا ، إذا أخذت فترة لتهاجمنا وتهاجم مجتمعنا ، بندخل معها فى العنف إلى أقصى حد ممكن . . »

وأشار الرئيس إلى أنه يعتبر أهم نقطة فى الميثاق هى ضمان خمسين فى المائة من مقاعد التنظيمات السياسية والشعبية للفلاحين

والعمال ، وهم أصحاب المصلحة الحقيقية فى الثورة . . وطالب بوضع تعريف للفلاح والعامل(١) قائلا :

« حينما تكلمت يوم ٢٢ يوليو ١٩٦٢ قلت إن كل من بأخذ أجراً على عمله فهو عامل . ولكن إذا كنت باخد أجر على عملى وعندى عمارة بتجيب لى سبعين جنيه أو ستين جنيه أبقى عامل أو رأسمالى ؟ . . مش معقول . . يوم ما نصل إلى تذويب الفوارق بين الطبقات ونوسع قطاع العمال وقطاع الفلاحين ، وكل واحد يطلع يشتغل . . يوم ما نصل إلى هذا ، يبقى كل من يأخذ أجراً عن عمله يبقى عامل . . »

وكان الميثاق إعلاناً بميلاد التنظيم الاشتراكى وهو الاتحاد الاشتراكى . . ودليلا للعمل الثورى .

« . . ووصل ما بين الكفاية والعدل ، وما بين الديمقراطية السياسية والديمقراطية الاجتماعية ، ما بين سيطرة الشعب على وسائل الإنتاج والإدارة الديمقراطية لهذه الوسائل المنتجة . . ما بين أمان الإنسان على غده وقدرته على إبداء رأيه اليوم

« . . ووصل الميثاق ما بين الحرب ضد الاستعمار والحرب ضد التخلف ، ما بين القضاء على الرجعية والقضاء على الفقر ، ما بين تذويب الفوارق بين الطبقات وحق الفرصة المتكافئة أمام كل مواطن .

« .. ووصل ما بين القوة الاقتصادية والقوة العسكرية والتقدم العلمى والفكرى والثقافى .

« . . بل وصل الميثاق إلى أبعد من ذلك فى استخلاصه بوضوح لعبرة مرحلة التحول العظيم وما تستطيع أن تقدمه لخدمة مرحلة الانطلاق العظيم .

« . . . من استخلاص هذه العبر صمم الميثاق على أن العمل الوطنى ، اجتماعياً وسياسياً لن يبلغ أهدافه فى مرحلة الانطلاق إلا تحت قيادة تحالف قوى الشعب العاملة ، بديلا عن تحالف الاقطاع ورأس المال الذى سقط . . بديلا ليس غيره بديل . .(٢) . . . »

ويوضح جمال عبد الناصر ان الميثاق ليس نصاً جامداً ،

ولكنه أسلوب للحركة الشاملة . . ان الميثاق يجب أن يكون أداة في يد تحالف قوى الشعب العاملة ولا ينبغي أن يتحول إلى قيد عليها .

ونبه إلى هذه الحقيقة مراراً :

« ليس هناك طريق مسدود أمام الثورة . .
ان الثورة هي مصلحة كل الشعب ، هي إرادة كل الشعب . . وحمايتها هي القانون الأول لهذا المجتمع . .(٣) » .

مع الفترة من الانفصال في سبتمبر ١٩٦١ إلى تشكيل مجلس الرئاسة في سبتمبر سنة ١٩٦٢ . . كانت هناك أحداث هامة على الصعيدين الداخلي والخارجي .

فمع هذه الفترة أيضاً تحقق مولد الوحدة الأفريقية ففي ٢٥ مايو سنة ١٩٦٣ .. بالعاصمة الأثيوبية وقع عبد الناصر مع أربعة وعشرين زعيما افريقياً ميثاق منظمة الوحدة الافريقية .

« قضية الحرية لا تتجزأ . . وقضية الرخاء لا تتجزأ . وأن نضال شعوب آسيا وأفريقيا لا يجرى فى عزلة عن نضال الأمة العربية(٤) . . »

وقد عبر الشاعر العظيم سنجور رئيس جمهورية السنغال عن تقدير وتقدير أفريقيا كلها لجمال عبد الناصر عندما زار القاهرة .. قال :

« .. مصر هذه القائمة على التوازن والانسجام بين البشر لا تزال مجسدة فيك على أكمل وجه يا سيدى الرئيس جمال عبد الناصر ، فأنت من أعماق الصعيد ولكنك ولدت فى الاسكندرية ففيك توحدت مصر العليا ومصر السفلى . ومهما يكن من شىء فأنت منذ الحملة الفرنسية على مصر أى منذ ٢٠٩٢ عاماً على وجه التحديد . إذا لم أخطىء التقدير ، أول مصرى صميم يصبح رئيساً لدولة مصر . وهذه الحقيقة وحدها كافية لتفسير القومية المصرية إن لم تكن وحدها كافية لتبريرها . تلك القومية التى تركت فى شعب يعد بين شعوب أفريقيا أرقها ارتباطاً بأرضه . فانما فضائلك نابعة من مصر فيك . وانما من خلال هذه المصرية أنك تريد أن ترسو بسفينة كفاحك على شط الاشتراكية نفسها . »

* * *

نعم . . أحداث كثيرة على الصعيدين الداخلي والخارجي وقعت مع هذه الفترة بين سبتمبر ١٩٦١ وسبتمبر ١٩٦٢ . . وكان أهم حدث هو التحول الاشتراكي الذي بدأ بقرارات يوليو سنة ١٩٦١ . . والذي ترسخ بإقرار الميثاق الوطني من قوى الشعب العامل . . ، وكان العمل يجرى لإقامة التنظيم السياسي الذي يستهدف « تحقيق الديمقراطية السليمة ، ممثلة بالشعب وللشعب لتكون الثورة بالشعب في أسلوبها وللشعب في غاياتها وأهدافها(٥) » ويستهدف :

« . . تحقيق الاشتراكية التي هي ثورة الشعب العامل ودفع إمكانيات التقدم ثورياً لصالح الجماهير وحماية الضمانات التي قررها الميثاق وهي.. كفالة الحد الأدنى لتمثيل العمال والفلاحين في جميع التنظيمات الشعبية والسياسية على جميع مستوياتها بنسبة ٥٠٪ على الأقل باعتبارهم أغلبية الشعب . ومبدأ القيادة الجماعية و . . (٦) » .

كان التنظيم السياسي ، الاتحاد الاشتراكي ، الذي يتمثل فيه تحالف قوى الشعب العامل ويقود العمل الوطني يقوم على الانتخاب . . وكان المؤتمر القومي العام وهو أعلى سلطة ينتخب في أول

اجتماع له رئيس الاتحاد الاشتراكى الذى يعتبر رئيساً للمؤتمر وللجنة المركزية واللجنة التنفيذية العليا .

وكان هذا شيئاً جديداً فى الحياة السياسية المصرية . . فلأول مرة ينهض تنظيم سياسى ينتخب أفراده . . من أعلى المستويات إلى أدناها . . وتتدرج المستويات فيه إلى أن تضيق فى الحلقة الأخيرة عندما تصل إلى اللجنة التنفيذية العليا . . التى هى السلطة العليا للدولة . . وهكذا تصبح قيادات هذا التنظيم كله ابتداء من أمناء الوحدات الأساسية إلى أعضاء اللجنة التنفيذية العليا من الملتزمين بأهداف الاتحاد الاشتراكى القائمة على تحقيق الاشتراكية العلمية فى اطار الواقع المصرى بكل ما تعنيه هذه الكلمة من معنى .

هذه هى القيادة الجماعية المطلوبة ، قيادة اشتراكية ، مؤمنة بالميثاق ، ملتزمة بأهدافه . . تصل إلى مقاعدها . . ومستواها عن طريق الانتخاب الذى يفرز ويستخلص ويصعد القيادات .

قيادات اشتراكية . . مؤمنة بالجماهير ، مرتبطة بها . . ، تمنحها كل طاقاتها . . وفكرها . . ووقتها .

« إن جماعية القيادة أمر لابد من ضمانه فى مرحلة الانطلاق الثورى . إن جماعية القيادة

ليست عاصماً من جموح الفرد فحسب ، وانما هى تأكيد للديمقراطية على أعلى المستويات ، كما أنها فى الوقت ذاته ضمـــان للاستمرار الدائم المتجدد . »(٧) .

القيادة الجماعية لعملية التحول هى التى كانت واردة فى ذهن الرئيس وهو يتحدث عن القيادة الجماعية .. ولا صلة لهذا بمجلس الرئاسة .

فى ٤ يوليو سنة ١٩٦٢ يخصص المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية جلسة ليرد فيها الرئيس جمال عبد الناصر على استفسارات الأعضاء

يقول الرئيس :

كيف وعلى أى مستوى يكون دور القيادة الجماعية فى التنظيم الشعبى على جميع المستويات فى اللجنة التنفيذية فى القرية إلى اللجنة التنفيذية العليا .. فيه قيادة جماعية وفيه مسئولية جماعية وفيه مسئولية فردية .

فالقيادة الجماعية من الوحدة الأساسية فى القرية . إلى اللجنة التنفيذية العليا .. » والقيادة الجماعية تبحث الأمور والأقلية تقبل رأى الأغلبية .. »

ويسأل أحد الأعضاء سؤالا حول إدماج التنظيمات النقابية
فينفى فى فيه الرئيس ناصر أنه قال فى الميثاق بإدماج التنظيمات النقابيه .

« . . احنا قلنا الاتحاد الاشتراكى يحتم عليه أن يكون الدرع الحامى لضمانات الديمقراطية السليمة وفى مقدمتها النسبة المكفولة لتمثيل الفلاحين والعمال وتدعيم التنظيمات التعاونية والنقابية وضرورة توفر مبدأ القيادة الجماعية(٨)» .

فتعبير « القيادة الجماعية » ورد كشكل للقيادة فى تنظيمات الاتحاد الاشتراكى .. باعتباره التنظيم السياسى الذى يضم تحالف قوى الشعب .. والذى تقع على عاتقه قيادة العمل الوطنى لتحقيق الاشتراكية متخذاً الميثاق الوطنى دليلا ومرشداً .

لابد من التفرقة إذن بين تعبير القيادة الجماعية وبين مجلس الرئاسة . . تعبير القيادة الجماعية جاء فى الميثاق مرتبطاً بالاتحاد الاشتراكى .. وفسر الرئيس ناصر هذه القيادة الجماعية فى جلسات المؤتمر الوطنى للقوى الشعبية الذى عقد فى ربيع عام ١٩٦٢ . . بينما لم يرد تعبير مجلس الرئاسة إلا بعد عدة شهور !

لا صلة إذن بين القيادة الجماعية وبين مجلس الرئاسة . .

ولكن المزج والخلط جرى بين التعبيرين واستفاد الصامتون الثلاثة من هذا .. فقرروا أن يربحوا منه على حساب الحقيقة .. فزعموا أن مجلس الرئاسة جاء تعبيراً عن القيادة الجماعية وترجمة لما قاله جمال عبد الناصر عن القيادة الجماعية . . من أنها عاصم من جموح الفرد .

والحقيقة أن التحول الاشتراكي تطلب إقامة تنظيم سياسي يدعو إليه ويحققه ويتابعه . . ويحميه ويتقـــدم به إلى آفاق الاشتراكية باعتبار أن الاشتراكية هي الحل الحتمي لمشاكل المجتمع . . وهذا التنظيم السياسي الذي يضم تحالف قوى الشعب العامل ينتخب قياداته على جميع المستويات في شكل لجان لوحدات أساسية أو جماهيرية . . ثم لجان القرى والمراكز والبنادر . . ثم لجان المحافظات . . وتصب كلها في المؤتمر العام أعلى سلطة في الدولة . . وهذا المؤتمر هو الذي يختار وينتخب اللجنة المركزية . . ثم اللجنة التنفيذية العليا . . ورئيس الاتحاد الاشتراكي . . والاتحاد الاشتراكي هو السلطة العليا . . وهو الذي يقود العمل الوطني .. والسلطة التنفيذية والسلطة التشريعية هما جناحا التنظيم السياسي .

إذن .. فالقيادة جماعية على كل المستويات .. وفي كل المراكز والمناصب السياسية والشعبية .

وهذه القيادة الجماعية ملتزمة بالميثاق .. وبالتحول الاشتراكي .. وبصيغة الاتحاد الاشتراكي كتحالف يضم قوى الشعب العامل .

أما الصامتون الثلاثة .. فلم يكونوا يؤمنون بالتحول الاشتراكي .. ولا بصيغة التحالف .. ولا بالميثاق بمعناه الحقيقي وضوابطه .

وكانوا يريدون أن يقودوا .

وكان لابد أن يتولى القيادة تحالف قوى الشعب العامل .

كانوا يريدون أن يحتكروا السلطة ويكونوا على قمتها .

وكان حتما أن يقود ممثلو التحالف .

وبين ارادتهم .. وحتمية الواقع وحركة المجتمع صدر الإعلان الدستورى فى ٢٧ سبتمبر سنة ١٩٦٢ بإنشاء مجلس الرئاسة .

• • •

أنشىء مجلس الرئاسة فى سبتمبر سنة ١٩٦٢ برئاسة جمال عبد الناصر وعضوية كل من : عبد اللطيف البغدادى ، المشير عبد الحكيم عامر ، كمال الدين حسين ، زكريا محيى الدين ، حسين

ابراهيم ، أنور السادات ، نور الدين طراف ، أحمد الشرباصي ، كمال رفعت ، على صبرى (رئيس المجلس التنفيذى فى ذلك الوقت) .. وبالطبع اعترض الصامتون على وجود عناصر جديدة .. لأن السياسة والحكم يجب أن تكون حكراً عليهم .. لكن عبد الناصر لم يعطى لهذا الاعتراض أهمية .

وفى البداية ظن الصامتون الثلاثة أن عبد الناصر قد نحى قيادة تحالف قوى الشعب العامل ، على جنب ، ودفع إلى الصدارة أعضاء مجلس الرئاسة .. وظلوا واقعين تحت هذا الوهم بعد الجلسات الأولى للمجلس .. إلى أن اكتشفوا أنهم مجرد ديكورات وأن عبد الناصر قد انفرد بالحكم مع هذه القيادة الجديدة التى تلغط بما يسمى « الاشتراكية »(٩) .. هذا العقار الجديد الذى له مفعول السحر بين الجماهير .. والذى يصيب البرجوازية والطبقات الجديدة بالتشنجات العصبية .. ويؤلب الرجعية العربية والامبريالية الدولية ضد مصر .. وضد أهل مصر .

هل يعنى هذا أن عبد الناصر تحول إلى ديكتاتور .. ؟ .. هم يقولون هذا .. !

فرق كبير بين الديكتاتورية واللا ديكتاتورية ، الديكتاتور رجل يحكم بإرادته غير آخذ فى الاعتبار رغبة الجماهير ومصالحها ،

وفى الأنظمة الديمقراطية يختلف الوضع حيث أن الجماهير بقياداتها وتنظيماتها السياسية ترسم للحاكم الخط السياسى الذى ينفذه .

بين هذا وذاك كان يقف عبد الناصر .

« إن عبد الناصر كانت لديه القدرة على تحسس الإرادة الشعبية وكان فى القرارات التى يتخذها متحملا المسئولية الكاملة يعبر بالفعل عن تلك الإرادة الشعبية .. » .

« .. ان عبد الناصر عندما اتخذ قرار القيام بالثورة لم يتخذه وحده انما مع بقية الضباط الأحرار ، وكان بذلك يخاطر بحياته وحياة رفاقه ، وهو باتخاذه قرار إلغاء الملكية وإعلان الجمهورية كان يعبر عن رغبة شعبية دفينة .

« .. وفى القضايا الأساسية من الطبيعى أن عبد الناصر اتخذ قرارات مسئولة وخطيرة ، لكنه لم يتخذها لأنه هو شخصياً يريدها .. انما لشعور من أن الشعب يريد ذلك .

« .. إذاً ، فانه عندما أمم قناة السويس بقرار أخذه على مسئوليته كان يعبر عن إرادة شعبية . وفى التحول الاشتراكى فعل الشىء نفسه تجاوباً مع الأمانى الموجودة فى ضمائر الناس . وعندما

أخرج الإنجليز من مصر لم يمارس دور الديكتاتور انما أقدم على خطوة يتمناها شعب مصر ، وفي كل هذه الخطوات كان الشعب يزداد التفافاً حول عبد الناصر .

.. وفي كل قرار اتخذه عبد الناصر لم يكن يستهدف تدعيم سلطته أو حماية مصالحه لأنه كان حريصاً على ألا يملك شيئاً ، وكان يعتقد أن ملكية أي قائد لأي شيء قد تكون قيداً على رؤيته الاجتماعية ، أو قد تكون حاجزاً يحول دون هذه الرؤية . وهذه في أي حال ليست طبائع الديكتاتور(١٠) .. .

إن الانفراد بالحكم كلمة مخففة لصفة الديكتاتورية .

فرق كبير بين ستالين وفرانكو .. الأول كان يعمل لصالح شعبه ولبناء الاشتراكية .. والثاني كان يعمل لنفسه ولصالح الامبرياليين .. ولزوع الفاشية .

فرق كبير بين ماو .. وباتستا .. الأول يعمل لصالح شعب الصين العظيم .. والثـــاني يعمل لصالح شركات السكر والامبريالية الأمريكية .

.. هناك أمر يغيب عن أذهان البعض . لقد قرر عبدالناصر القيام بعملية التحول الاجتماعي . وتبعاً لذلك عمد إلى نقل الملكية

الأجنبية فى مصر إلى الملكية الوطنية . هل يا ترى كان يجب أن يلجأ إلى الاقناع لتحقيق ذلك . . ؟ . . هل هو بالاقناع كان يستطيع تمصير شركات التأمين وتجارة القطن وتجارة الصادر والوارد وجزء كبير من قطاع التصنيع ؟ .

ذلك بأنه كان يدرك بصدق أن الاشتراكية بدعامتيها من الكفاية والعدل ، هى طريق الحرية الاجتماعية . وبدون التأميم واسترداد المصالح الوطنية من القوى الأجنبية هل كان يمكن أن يخطط ويبنى . . ؟ . انه لمن الأمور البالغة أن تتخلص نظرتنا للتأميم من الشوائب .. ان التأميم ليس إلا انتقال أداة من أدوات الإنتاج من مجال الملكية الخاصة إلى مجال الملكية العامة للشعب وليس ذلك ضربة للمبادرة الفرديه .

... هل كان بالاقناع يستطيع تحقيق الإصلاح الزراعى وتحديد الملكية . . ؟ . . وهل كان فى الإمكان أن يطلب من فرد يملك ١٠٠ ألف فدان أن يحتفظ بـ ١٠٠ فدان ويوزع الباقى على الفلاحين . . ؟

... من الطبيعى أنه لم يكن يستطيع ذلك ، ولذا كان يصعب تفادى عنصر القسر فى سبيل إحداث الثورة الاجتماعية ، لقد استعملت القوة وسلطة الدولة من أجل الثورة الاجتماعية ، ولم

يكن من السهل تحقيق ذلك بالمناقشة والاقناع . ان أى باشا أو اقطاعى لن يتنازل عن شبر واحد من أرضه إذا كانت المسألة مسألة مناقشة واقناع ..(١١) .

وعلى الرغم من قناعتنا الكاملة بهذا .. إلا أننا نرى أن الديمقراطية ميدان خصب للأفكار الخلاقة . . ، وللإبداع السياسى . . وأن الفرد مهما كانت درجة احساسه بالجماهير ، وصدق مشاعره نحوهم .. وتفاعله العميق معهم كلهم .. واقتناعه الكامل بأحلامهم وآمالهم .. فان القرار النهائى يجب أن يأخذ فى الاعتبار رأى الجماهير وارادتها وصوتها .

اننا ندرك تماماً أن جمال عبد الناصر كان واضحاً عندما رأى أن القضاء على الاستعمار والاقطاع وسيطرة رأس المال على الحكم . . يفتح الباب للعدالة الاجتماعية .. وأن العدالة الاجتماعية هى المقدمة الطبيعية للديمقراطية السليمة .

ندرك تماماً أنه لا يمكن التسليم بوجود الاستغلال الاقطاعى والرأسمالى . . والسيطرة الكاملة للطبقات المالكة على مقدرات الجماهير . . يمكن أن يسمح بالديمقراطية السليمة .. إنها الديمقراطية المزيفة . . حيث الطلاء الكاذب الذى يخفى أنيـــاب وأظافر الاستبداد والبطش . . والتاريخ ما زالت صفحاته تحمل بصمات

دامية وأدلة دامغة على الديمقراطية .. الديمقراطية التي كانت تسمح بقتل الفلاحين وجلدهم واغتصاب أرضهم وكرامتهم .. وكبريائهم .. وكانت تبيح استنزاف العمال وتسخيرهم .. وفصلهم بالجملة .. وإهدار آدميتهم .. وتلويث تاريخهم .

على أننا يجب ألا نبالغ فى المقولة التى تقول بأن كل قوانين الثورة كانت كلها قوانين اشتراكية مائة بالمائة .. ان قانون الاصلاح الزراعى مثلا كان لا يمكن أن يتفق وإرادة الفلاحين وهم العنصر الرئيسى صاحب المصلحة .. ذلك لأنه لم يكن ينطبق إلا على نحو ١٠٪ من مجموع الأراضى الزراعية ويسمح فى الوقت نفسه بملكية ٢٠٠ فدان .

وقد أدرك عبد الناصر بفطنته هذه الحقيقة فاتفق فى أن الاصلاح الزراعى فى ذلك الوقت لم يكن هو الثورة الاجتماعية انما كان دليلا على الحاجة إليها .

ولكن متى كانت مصالح الجماهير تتحقق مرة واحدة فى الثورة .. ؟ .. ومتى كانت الثورة تستطيع أن تفتح عينيها مرة واحدة وترى أين تكون مصالح الجماهير .. ؟ .. ومتى كانت الثورة — حتى لو أدركت ذلك — تستطيع أن تستخلص هذه المصالح مرة واحدة .. وبضربة واحدة دون أن تفتح جبهات أخرى وتؤلب الجميع فى اطار ثورة بيضاء .. ؟

هذا فيما يختص بالقوانين التى تمس الجماهير .. وتحقق مصالحها وتترجم آمالها وأمانيها إلى واقع .. فما بالنا بالقوانين الأخرى التى كانت تنحرف عن طريقها لتهـــدر .. وتهدد الطمأنينة ..؟

على أنه لا يمكن القول برأى الشعب .. وموافقته وتحمسه لهذا أو لذاك من القوانين .. فهذا ليس المقياس الصحيح .. فنحن نرى الآن إلغاء لبعض المؤسسات وفتح الأبواب لرأس المال الأجنبى .. والتغاضى عن التحريض المستمر ضد ثورة يوليو ووجهها الاشتراكى.. ولا يمكن أن يتفق هذا وإرادة الجماهير .. ولا يمكن أن يكون صوتها .. ولا رأيها .. ومع هذا فانه .. يحدث .. ويقع ويستمر .

ليس هذا تبريراً .. انما هو تنبيه لخطأ يتكرر .

فالظروف الموضوعية هى التى فرضت هذا الوضع .. وهذا الأسلوب .. وأهم هذه الظروف أن الثورة لم تكن قد أقامت بعد التنظيم السياسى الذى يتحسس رغبات الجماهير .. ويتعرف على مشاكلها .. ويبلور ارادتها .. ويدخلها شريكة فى الحكم واصدار القرار .

لم يكن الانفراد بالسلطة اختياراً حرا لعبد الناصر .. إنما كان اضطراراً لا بديل عنه .. !

ولنعد إلى مجلس الرئاسة الذى تحول إلى ديكور جذاب بعد الجلسات الأولى.

لقد أنشىء هذا المجلس بقرار من رئيس الجمهورية ليختص برسم السياسة العليا للدولة بواسطة أفراد اختارهم ناصر بنفسه.

إذن .. حق أعضاء مجلس الرئاسة مستمد من ثقة الرئيس ناصر .. فإذا ما سحب هذه الثقة .. أصبح وجودهم عديم الجدوى.

لكن ممن يستمد عبد الناصر هذه الثقة .. ؟

انه يستمدها من ثقة الشعب فى قيادته، ومن المعارك والانتصارات ضد الاستعمار والرجعية فى الداخل والخارج .. ومن قيادته لحركة التحرر الوطنى فى دول العالم الثالث .. ومن ايمانه الذى لا حد له بالشعب وقوته الخلاقة .. فى التصدى .. والتحدى .. ومواجهة خصوم الشعب.

فى حدود ثقة الشعب يتصرف القائد .. ويتصرف رئيس الجمهورية ويحكم ويصدر القرارات.

لكن هل تمتد هذه الثقة إلى حد اختيار المعاونين والمساعدين لمشاركته فى الحكم والسلطة .. ؟

حكم من . . . ؟

وسلطة ماذا . . ؟

حكم الشعب .

وسلطة تحالف قوى الشعب العامل التى يستخدمها سلاحاً للتغيير وللتحول الاشتراكى ولفتح طريق التقدم .

فى هذه الحالة . . فإن عبدالناصر ليس حراً فى الاختيار . . أى أنه ليس مفوضاً فى استبدال حكمه والقيادة الجماعية — بمعناها الذى شرحناه فى الصفحات السابقة — بحكم عدد من الشخصيات لم يختترهم الشعب . . ولم يستفت فيهم . . ولم ينتخبهم .

لعبد الناصر أن يحكم .

لعبد الناصر أن يستعمل سلطاته كاملة كرئيس الجمهورية المنتخب .

لعبد الناصر أن يمارس حقوقه الدستورية بنفسه أو بواسطة غـــيره .

لكن ليس من حقه أن يفرط كقائد وزعيم فى ثقة الشعب به إلى أفراد آخرين .

قد يقال أن عبدالناصر ديكتاتور . . طاغية . . مستبد ومتسلط .

هذا حق الجماهير التي انتخبته ووثقت به . . إن شاءت سحبت الثقة منه . . أو ثارت عليه .

وأيضاً مسئولية ناصر أمام الجماهير .. مسئوليته أمام الشعب الذى انتخبه، وليس أمامهم هم – الصامتين – . . شيء يتعلق به هو أمام الشعب . . ولا يتعلق به أمامهم .

لكن ليس من حق عبد الناصر أن يستبدل حكمه بحكم جماعة من الناس .

* * *

أما إن الديمقراطية لا تتحقق إلا بوجود البغدادى وكمال الدين حسين وحسن ابراهيم فى مجلس الرئاسة . . أو القيادة الجماعية . . وتنتفى بخروجهم . . فهذا شيء آخر لا نعلمه !

الديمقراطية ليست مصلحة متبادلة أو منافسة تدور بين ناصر وبين الصامتين الثلاثة .

هناك الشعب .

هناك الجماهير .

هناك مصر . . الوطن . . الاشتراكية . . القومية العربية .

أحياناً يظن المرء منا أنه محور الكون . . ، وأنه قبلة الدنيا ومحط الآخرة .

فيتوارى يوماً . . أو يختفي أياماً . . وهنا تحدث الصدمة المروعة . . إذ يفاجأ بالشمس تشرق ككل صباح . . وتغرب في المساء .. والناس يذهبون إلى أعمالهم ويعودون منها .. والحديث يدور . . والمتع البسيطة يقبل عليها الناس .

لم يتوقف الكون إذن . . ولم يقف دوران عجلة الأرض حول الشمس .

الصامتون الثلاثة ليسوا مقياساً للديمقراطية ولا معياراً للحرية . . ولا سنداً لأية قضية شعبية . . هم بشر يتأثرون بما يصابون به من أوجاع الدنيا . . ومسرات الحياة .

بشر . . لهم مطامع وأهواء وأغراض . . وفي نفوسهم فضائل ورذائل . . وتحتوي قلوبهم الخير والشر .

فقط لابد من الميزان .

يجب ألا يفقدوا الميزان الذي يزنون به الأمور . . حتى لا ينخدعوا . . ولا يخدعوا الآخرين .

* * *

ما قصة مجلس الرئاسه هذه . . ؟

بدأت القصة فعلا بعد الانفصال بعام تقريباً تخلله أحداث دهـــر

كانت الجمهورية العربية المتحدة (بإقليميها المصرى والسورى) تحكم بواسطة وزارة وزعت فيها المسئولية بين ٥٠ وزيراً منهم ثلاثة نواب لرئيس الجمهورية هم : عبد اللطيف البغدادى ، عبد الحكيم عامر ، أكرم الحورانى و ٢١ وزيراً مركزياً و ٢٩ وزيراً للمجلسين التنفيذى المصرى والسورى .

كان الوزراء المركزيون من مصر هم : عبداللطيف البغدادى (للتخطيط) ، وعبد الحكيم عامر (للحربية) وزكريا محيى الدين (للداخلية) ، وكمال الدين حسين (للتربية والتعليم) ، وحسين الشافعى (للشئون الاجتماعية) ، ومحمود فوزى (للخارجية) ، وعبد المنعم القيسونى (للاقتصاد) ، وسيد مرعى (للزراعة والاصلاح الزراعى) ، وأحمد عبده الشرباصى (للأشغال) ، وعزيز صدقى (للصناعة) وكمال رمزى استينو (للتموين) ، وعلى صبرى وكمال رفعت وزراء للدولة .

أما الوزراء التنفيذيون من مصر فهم : أحمد حسنى (للعدل) ، عباس رضوان (للداخلية) ، نجيب هاشم (للتربية والتعليم) ،

توفيق عبد الفتاح (للشئون الاجتماعية)، عباس زكي (للاقتصاد)، أحمد المحروقي (للزراعة)، حسن بغدادي (للإصلاح الزراعي)، حسن صلاح الدين (للخزانة)، ثروت عكاشه (للإرشاد)، مصطفى خليل (للمواصلات) محمد نصار (للصحة)، أبو نصير (للشئون البلدية والقروية)، موسى عرفة (للأشغال)، فتحي رزق (للصناعة) .. وكان يرأس المجلس التنفيذي نور الدين طراف.

كان عبد اللطيف البغدادي الصامت الأول الذي تكلم يشغل ٣ مناصب كبيرة .. وفي قمة السلطة:

١ – كان نائباً لرئيس الجمهورية.

٢ – وكان وزيراً مركزياً للتخطيط على مستوى الإقليمين.

٣ – وكان مشرفاً على التخطيط على الإقليمين.

وكان كمال الدين حسين الصامت الثاني الذي تكلم يشغل ٣ مناصب كبيرة في قمة السلطة:

١ – كان رئيساً للاتحاد القومي (التنظيم السياسي الوحيد)

٢ – وكان وزيراً مركزياً للتربية والتعليم على مستوى الإقليمين.

٣ – وكان رئيساً لنقابة المعلمين وهى أكبر نقابة للمهنيين ويتغلغل أفرادها فى كل مدينة وقرية فى مصر ولأفرادها تأثير فعال فى المدرسة وفى البيئة ولدى أولياء أمور الطلبة .. هذا ولم يصل كمال الدين حسين إلى هذا المنصب نتيجة لانتخابات .. بل لاختياره باعتباره واحداً من الضباط الأحرار .

هذه المناصب الهامة والحساسة فى جهاز الدولة كانت فى يد اثنين من الصامتين : بغدادى وكمال حسين .. فماذا نملا بها .. ؟ هل استخدما هذه القوة والسلطة والمنصب لدعم الاشتراكية وحمايتها والدفاع عنها .. ؟ .. هل استخدما هذه المناصب والمراكز والسلطة .. لحماية الوحدة .. وترسيخها .. ؟ .. هل استخدما هذه السلطة لتثبيت دعائم الثورة .. التى كانت تنهض على الكفاية والعدل .. ؟ !

لقد استخدما هذه السلطات كلها لدعم مراكزهم .. وتثبيت سلطاتهم هم .. وتكوين شلة تأتمر بأمرهم .. وتدافع عن كياناتهم .

كانوا فى واد غير وادى الثورة .

كانوا يسيرون فى طريق آخر .

عجزوا عن السير فى طريقها .. فكان لابد أن يتنحوا عن طريقها ولا يصبحوا عقبات فى وجهها .

لم يجهروا بأنهم ضد الاشتراكية . . ولا بأنهم لسبب ما . .
عاجزون عن ملاحقتها . . كل ما فعلوه أنهم بدأوا يحفرون فى جدار الثورة . . ليتداعى البناء ويسقط بين أيديهم . . ولم يأبه عبد الناصر بما يفعلون . . فانه كان قد تخطاهم تماماً . . وبدأ يبنى الاشتراكية . . وإذا كانت القرارات الاشتراكية فى يوليو سنة ١٩٦١ قد أثارت قوى الرجعية والاستعمار فاشتركا فى هجمة شرسة ضد الوحدة حتى سقطت . . فان عبد الناصر لم يتراجع عن القرارات الاشتراكية . . لم يسحبها من الأسواق كعملة مزيفة . . كانت هذه عملة الشعب التى ضاعت منه طويلا . . فلما جاء عبد الناصر استطاع أن يعثر عليها فى أكوام الرمال المتراكمة . . عبد الناصر لم يهادن . . قرر أن يواجه كل التحديات . . الجماهير وراءه وطليعة الضباط الأحرار معه . . والشعب كله معه . .

إلا أن عبد الناصر ككل أنسان له فضائله . . وكانت أسوأ فضائله ألا يشطب من قائمته من كانوا معه فى يوم من الأيام . . و . . ومن ثاروا معه . . كان عليه أن يرضى بالعلقم فى فمه ويحتفظ بهم .

وفى الوقت نفسه كان التحول الاشتراكى ـ كما قلنا ـ قد بدأ . . وكان الميثاق الوطنى — دليل العمل — قد صدر ، . .

أن النصوص الجامدة يجب أن تترجم إلى أحـــلام الجماهير وأمانيها . .

ولم تكن الساحة خالية من الأعداء .. ولم يكن الطريق مفروشاً بالورود . . فأعداء الاشتراكية يتربصون بالثورة الوليدة ، . . والرجعيون يخفون الأسلحة تحت طيات الثياب . . وكان من الضرورى أن يكون فى قمة السلطة قيادة واعية . . اشتراكية غير متناقضة لا مع نفسها . . ولا مع الآخرين . . وكان الصامتون فى القمة فعلا . . ولكنهم كانوا مصابين بعقدة « الدونية » . . وكان بينهم وبين الاشتراكية مسافة طويلة . . لم يسيروا فى هذه الطريق أبداً . . ما حاولوا فى يوم من الأيام أن ينزلوا على حكم التاريخ ويسيروا فى هذه الطريق . . تصوروا أن العفاريت والأشباح والجن تنتظرهم هناك . . كانت الجماهير هناك . . وكان لديهم — الصامتين — قصص مفزعة عن الجماهير . . كانوا يخافونها . . ما تصوروا أبداً أن يكونوا معها على طريق واحد . . ولذا كان من المستحيل أن يلتقوا معها إلا وجهاً لوجه .

كانت جلساتهم الخاصة تساعد على تعميق الهوة بينهم وبين الجماهير . . فى الجلسات الخاصة هذه كانت الجماهير هى مادة النكات والضحكات . . وكانت الجماهير تعرف وتردد « من

يضحك أخيراً يضحك كثيراً . . وكان جمال عبد الناصر يقول مشيراً إلى هذه الجلسات بـ « القعدات الطرية . . . » .

وكان الصامتون مع غيرهم قد بدأوا يكبرون بالسلطة التى فى أيديهم ، واصبحوا يشكلون مراكز قوى من مواقع سلطاتهم ومناصبهم العديدة . . . ولم تمكن هذه المراكز — بالطبع — نابعة من الولاء للثورة ولأهدافها الاشتراكية . . إنما كانت هذه المراكز تستمد وجودها من الماضى . . وحياتها من قوى الرفض للمجتمع الجديد . . وكان الرافضون — بالطبع — هم الباشوات السابقون . . والرأسماليون السابقون . . وأنصار المضاربات وتجار الربا فى البورصات والبنوك . . والاقطاعيون الذين تنز ثيابهم سماً ضد الثورة . . وكان هؤلاء جميعاً يكونون مجالا خصباً للقوى المعادية . . ولأسراب الجراد القادمة من الغرب تبحث فى صناديق القمامة عن بقايا طعام الليلة الماضية ليعرفوا نوعية الرجال . . وما تقيأته نفوسهم . .

السلطة للشعب . . والحرية للشعب لا لاعداء الشعب . . لا بد من توظيف السلطة . . ومراكز القوى . . كل القوى لمصلحة الجماهير . . ولمصلحة التحول الاشتراكى .

ولهذا كان لا بد أن تسقط مراكز القوة من يد الصامتين إلى يد الجماهير . .

وأحس الصامتون وأصدقاؤهم أنهم هووا من حالق . . وسقطوا فى هوة لا قرار لها . .

لقد رفع ناصر أيديهم من كل السلطات التى كانوا يديرون منها مراكز قواهم . . ثم . . وفى لحظة . . استيقظت أسوأ الفضائل عند الرجل العظيم « ناصر » . فقرر أن يحتفظ بهم فى أية صورة وعلى أى شكل . . كانت لديه صورة يحتفظ بها ولا يريد التفريط فيها . . وهى أن تظل شخصيات الضباط الأحرار بشكلها كما قامت الثورة . . لا ينفرط عقدهم مهما حدث من اختلاف فى وجهات النظر . . فقط ألا تؤدى هذه الاختلافات إلى معاداة أهداف الثورة الاشتراكية . . وألا تنعكس هذه الاختلافات على مصالح الجماهير . . وألا تؤدى إلى عرقلة حركة المجتمع نحو التقدم . .

ظلت هذه الفضيلة نقية . . يحتفظ بها فى حنايا نفسه حتى اللحظات الأخيرة من حياته . . . وكان حريصاً على أن يلتقى بهم . . ويتحدث معهم . . ويقضى بينهم وقتاً طيباً كلما سنحت له الفرصة . .

وفى مايو سنة ١٩٧٠ أى قبل وفاته بأربعة أشهر كان موجوداً فى بيت عبد اللطيف البغدادى القائم على الربوة العالية فى مدينة

نصر بمناسبة عقد قران ابنته . . وهناك . . فى حفلة عقد القران التقى بالجميع . .

* * *

وهكذا أبعدهم عبد الناصر عن المناصب التنفيذية التى تجعل السلطة فى أيديهم سلاحاً قد يؤثر على مسيرة التحول . . ويدفع بالثورة إلى معارك فرعية . . ووضعهم فى مجلس الرئاسة بهدف توسيع القيادة السياسية . .

كان مجلس الرئاسة مجرد شكل للاحتفاظ ببعض أعضاء مجلس الثورة القدامى بعيداً عن المجتمع الجديد الذى بدأ يمور بتيارات جديدة لا قبل لهم بها . .

إلا أن عبد الناصر رأى أن يعطيه بعض الأهمية فوزع المسئولية بين أعضائه . .

وبدأت اجتماعات المجلس بأزمة كما يقول الصامتون .

« . . وبدأت أولى الأزمات . . لم ينس عبد الناصر أن المشير عامر عارضه وهدد بالاستقالة وتقدم عبد الناصر بمشروع قرار لتحديد سلطة القائد العام للقوات المسلحة فى تعيين قادة الأسلحة وعزلهم وجعل ذلك من اختصاص مجلس الرئاسة بصفة السلطة العليا للبلاد . . (١٢) »

... ولم يحضر عبدالناصر الجلسة التي نوقش فيها هذا القرار وتولى البغدادي رئاسة الجلسة . . وعارض المشير القرار كما عارضه كمال حسين . . ووافق عليه بقية الأعضاء . . وطلب المشير ألا يبدأ تنفيذ القرار إلا بعد ثلاثة شهور فقد كانت البلاد قد تورطت في حرب اليمن وكانت معلومات عبد الناصر والمشير عامر أنها لن تستمر سوى ثلاثة شهور . . ومضت المهلة . . ولم يستجب المشير لتنفيذ القرار . وسانده عبدالناصر في ذلك .(١٣)»

وهذا الكلام لا نعرف مصدره . فهو فضلا عن تناقضه لا يستقيم والسرد الطبيعي للأحداث . . فكيف يطلب عبد الناصر تحديد سلطة المشير عامر ويوافق مجلس الرئاسة على ذلك . . ثم لا يستجيب المشير عامر لتنفيذ القرار ويسانده عبد الناصر في ذلك . . ؟

ويستند الكتاب في وصم الحكم في هذه الفترة بالديكتاتورية إلى تصريح أدلى به الدكتور نور الدين طراف .

« . . هذه الفترة بإيجاز كانت حكماً ظاهره الديمقراطية وحقيقته الديكتاتورية . .(١٤)»

مع أن الدكتور طراف كان رئيساً للمجلس التنفيذي في

حكومة الوحدة . . ولم يثبت له فى يوم من الأيام أن قال كلمة : لا . . ولم يكن له موقف . . وكل فضائله تتصل بشىء اسمه الوفاء لعبدالناصر !! ولكن لأمر ما ينال من ثورة يوليو . . تلك الثورة التى تحمس لها هذا الطبيب . . وتكالب على كل موائدها . . ثم استدار ليطعنها مع الطاعنين . .

على كل . . لندع هذا الآن . . فإن شيئاً يستوقفنا فى هذه الحكاية المحشورة عن مجلس الرئاسة هو أنها وردت بمقدمة عن عبد الحكيم عامر . . وذيلت بقصة القرار ١١٩ لسنة ١٩٦٤ .

فى المقدمة عن عبد الحكيم عامر يظهر فيها هذا القائد كالشهيد وضحية من ضحايا سوء الفهم . . وأن الانفصال مأساة بطلها عبد الناصر بسبب خطيئته . . وأن ناصر ، أراد أن يلقى بتبعية الخطأ على غيره . . أراد أن يلقيها على المشير عامر على أساس أن الذين قاموا بالانفصال من ضباط مكتبه ولم يشأ أن يقوم بالخطوة مرة واحدة . . بدأ بأن عرض على المشير عزل الفريق صدقى محمود قائد الطيران على أساس مسئوليته عن تأخر وصول الامدادات . .(١٥) . . الخ .

وقصة المشير عامر مع عبد الناصر ينبغى النظر إليها من الزاوية المنطقية . . ومن خلال الوقائع الحقيقية والأدلة والشواهد التى لا خلاف عليها .

لقد قال هيكل عن المشير عامر فى معرض الحديث عن كفاءته العسكرية أن عبد الحكيم عامر توقف عند رتبة الصاغ ، أى أنه يستطيع أن يقود كتيبة لكنه لا يستطيع أن يقود جيشاً .. لقد أصبح عبد الحكيم عامر ضابطاً سياسياً والضابط السياسى لا يمكن أن يكون مسئولا عن قيادة جيوش ..(١٦) ،

وكلام هيكل يعتبر أول تقييم حقيقى للمشير عامر .. لكنه جاء متأخراً جداً فلم يتفضل به هيكل ويقدمه لجمال عبد الناصر -- الذى يزعم أنه كان وراءه فى كل خطوة .. وأنه كان يسمع دقات قلبه .. وتردد أنفاسه - فى الوقت المناسب .

وحتى لو كان قدمه فى الوقت المناسب ..

فهل كان يأخذ به عبد الناصر ..؟ .. وهل عبد الناصر غائب عن فهم الكفاءة العسكرية لعبد الحكيم عامر ..؟

على أن هذا التقييم المتأخر من جانب هيكل لكفاءة المشير عامر العسكرية لا يقصد به الآن

وجه الحقيقة . . ومن الأفضل العودة إلى البداية . . إلى الهزة الأولى لثقة عبد الناصر فى كفاءة المشير . . وتأثير هـــذه الهزة على العلاقة بين الرجلين .

كانت البداية فى عام ١٩٥٦ عندما قرر عبد الناصر تأميم شركة قناة السويس استمراراً ودعماً للسياسة الوطنية المستقلة التى ينتهجها . . واعتبر آنذاك أن سحب تمويل السد العالى مناسبة صالحة لإصدار قرار التأميم وتنفيذه على الفور . . ويجب التركيز فى هذا الشأن على أن تأميم شركة قناة السويس لم يكن رد فعل رفض التمويل ، فالأمر لم يكن يعدو مجرد اختيار الوقت المناسب لهذه الخطوات نحو التحرر الاقتصادى . .(١٧) ،

ويقول كمال رفعت أن تأميم شركة قناة السويس كان فى ترتيب الاولويات .. يأتى فى الرتبة الثالثه .. فقد كان الهدف الأول هو القضاء على الاستعمار .. ثم القضاء على الاقطاع .. ثم القضاء على سيطرة رأس المال على الحكم . . وكان هذا الهدف الأخير .. يعنى تمصير واسترداد المصالح الوطنية .. وكان على رأس هذه المصالح قناة السويس .. فتأميمها كان هدفا واردا ومحددا .. انما لم يكن الوقت قد حان للتنفيذ .. وجاء سحب تمويل السد العالى فعجل بالتنفيذ .

ويقول اللواء أمين الشريف (١٨) أنه كلف بدراسة أوضاع شركة قناة السويس فى منتصف عام ١٩٥٥ ..

ويؤكد هذا ما جاء فى مذكرات المهندس عبد الحميد أبو بكر وهو من الضباط الأحرار وأحد اثنين قاما بتنفيذ عملية التأميم برئاسة المهندس محمود يونس .. ويذكر أيضاً أنه عندما ذهب مع محمود يونس لمقابلة الرئيس فى مكتبه بمبنى مجلس الوزراء (الحالى) ظهر يوم ٢٤ يوليو سنه ١٩٥٦ وأخبره الرئيس بقرار التأميم وسأله : ما معلوماتكم عن القناة ؟ فأجابه محمود يونس أنه لا يعلم أى شىء عن قناة السويس سوى معلوماته القليلة أثناء خدمته فى القوات المسلحة فى الحرب العالمية الثانية وأنه كان يتناول طعامه هو وضيوفه أثناء عمله فى البترول فى نادى هيئة قناة السويس ببور توفيق فأعطاه السيد الرئيس بعض الكتب عن القناة ودوسيها من إدارة التعبئة وأخبره أن يحتفظ بهذه المعلومات على أعلى مستوى من السرية وأن يحضر فى اليوم التالى لمقابلته ..

ويستطرد المهندس عبد الحميد أبو بكر فى الصفحة الثالثة من مذكراته : كان الدوسيه المقدم من إدارة التعبئة هو أول الخيط لإعطاء صورة عن التنظيمات والأوضاع المبدئية للقناة موقعاً من اللواء أنور الشريف ومقدم الصاغ المهندس البحرى قاسم سلطان .

وذكر لى الفريق جمال عسكر رئيس هيئة التعبئة والاحصاء وكان نائباً للواء أمين الشريف فى إدارة التعبئة عند ذاك — ١٩٥٦ أننا توصلنا إلى العلاقات الخاصة باشارات كل سفينة من الحجرات السرية بشركة قناة السويس بواسطة عدد من الضباط المصريين البحريين الذين كانوا يعملون فى الهيئة .. ولم يكن يسمح لهم بالاطلاع على هذه الإشارات إلا أن ضباطنا استطاعوا الاستيلاء على الكتب الخاصة بهـــذه الإشارات وتصويرها واعادتها إلى مكانها فى نفس الليلة ..

هذه الدلائل تشير كلها إلى أن التفكير فى تأميم قناة السويس لم يكن وليد الساعة .. وأن التأميم لم يكن رد فعل بسحب التمويل.. ولكن هذا عجل بالأمر فقط .

فاذا عدنا إلى موضوعنا الأصلى .. وهو حديث الصامتين الثلاثة وتصويرهم المشير عامر بأنه ضحية سوء الفهم .. فإننا لابد نضيف أن المشير عامر .. وهم — أى الصامتين — الثلاثة لم يكونوا بعيدين عن الظروف الدوليه التى صدر فيها القرار التاريخى ولا بمنأى عن ردود الفعل والنتائج التى يمكن أن تترتب عن موقف مصر واصرارها على استرداد مصالحها الوطنية .. هذا وقد نجحت الإدارة المصرية فى ضمان استمرار الملاحة فى القناة بعد انسحاب المرشدين الأجانب .. على خلاف ماكان متوقعاً — ويرجع هذا

إلى نجاح المخابرات المصرية فى معرفة موعد انسحاب المرشدين الأجانب قبل تنفيذه بأسبوعين بواسطه تقرير القنصلية الفرنسية ببور سعيد وبهذا أمكن تفادى ماكان متوقعاً وهو توقف العمل فى القناة .

ثم بدأت المؤامرة بهجوم إسرائيل على سيناء فى ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، وتلا ذلك توجيه الانذار البريطانى الفرنسى لمصر طبقاً للخطة المدبرة .. ورفض عبدالناصر الانذار وأعلن أن مصر ستدافع عن نفسها .. وانها ستحارب ولن تسلم .. وحاول إيدن أن يفرق بين شعب مصر وبين زعيمه فأعلن — على الطريقة الانجليزية — أن انجلترا ليست على نزاع مع مصر وإنما على نزاع مع عبد الناصر .. ورد ناصر .. أنا هنا أمثل شعب مصر ، لا أمثل إرادة ايدن أو تجار الحروب والمستعمرين (٢٠) » .. وهتف الشعب في صوت واحد « كلنا جمال عبد الناصر » .

وعندما اتضحت أبعاد المؤامرة الثلاثية على مصر « كان لابد لنا من أن نتخذ قراراً سريعاً وحاسماً لاحباط خطة العدو ... فأصدرت الأمر إلى القائد العام للقوات المسلحة بسحب جميع القوات المصرية من سيناء إلى غرب قناة

السويس حتى تكون بجانب الشعب لملاقاة قوات الاستعمار .. (٢١) .

وأصدر ناصر قراره بانسحاب الجيش من سيناء مساء الأربعاء ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ وأعلن بالأزهر يوم الجمعة ٢ نوفمبر أن الجيش سليم وسينضم إلى الشعب ، والجيش الآن غرب القنال ، وقد وحدنا جبهاتنا كلها فى جبهة واحدة هى قناة السويس .

كان المشير عامر قد رفض أن تتوحد الجبهة المصريه فى قناة السويس .. وإنما فى الشرقية .. وأمر الفريق على عامر بنقل مقر قيادته الشرقية من الاسماعيلية إلى الزقازيق وترك مدن القناة الثلاث بحيث إذا اراد للعدو الاتجاه نحو القاهرة أمكن التصدى له وتهديده ...

وكانت وجهه نظر عبد الناصر فى توحيد الجبهة فى القناة هى أن العدو لايريد غير القناة .. فاذا ما تركنا له جهة القناة يسهل عليه احتلالها وبهذا يحقق هدفه ولن يحاول بعدئذ الاتجاه نحو القاهرة .. ومن هنا فلا بد أن يتوحد الجيش فى مدن القناة الثلاث وتعمل المقاومة الشعبية بين المدن .

وقد بدأ عبد الناصر تنفيذ خطته على الفور فعين قائداً لكل

مدينة .. صلاح سالم قائداً للسويس بقوات من الجيش المتمركزة في السويس .. وكذلك كمال الدين حسين قائداً فى الاسماعيلية وكمال رفعت قائداً للمقاومة الشعبية بين المدن وداخل بورسعيد بعد سقوطها، وكان عبد الناصر قد قرر الذهاب إلى بور سعيد والدفاع عنها وذهب فعلا إلى الاسماعيلية وكان بصحبته عبداللطيف البغدادى .. إلا أن كمال رفعت وكان قد تلقى معلومات تفيد أن الانذار الانجليزى والفرنسى على وشك البدء فى بور سعيد .. وهذا ما دعاه إلى أن يطلب من عبد الناصر أن يؤجل دخوله بور سعيد إلى الصباح .. وفى فجر اليوم التالى .. وفى الساعة الخامسة و ١٥ دقيقة كانت أسراب الطائرات الانجليزية والفرنسية تهاجم فى كثافة بور سعيد تمهيداً للانذار .. وهكذا تحتم على عبد الناصر أن يعود إلى القاهرة .. ويكون على رأس جماهير الشعب كله ضد العدوان .

لقد تحول عدوان الثلاث دول على مصر .. إلى هزيمة كاملة للمؤامرة الثلاثية .. وانتصرت مصر .. وأصبحت رمزاً للمقاومة الباسلة ضد الاستعمار .. وتحول عبد الناصر إلى بطل قومى .. ليس فى مصر فقط .. بل فى البلاد العربية كلها .. وتردد صدى هذا الانتصار العظيم فى العالم كله .

ولا شك أنه قد ثبتت سلامة خطة عبدالناصر لمواجهة العدوان..

من الناحيتين العسكرية والسياسية .. على أنه لم يتدارك الاخطاء التى نجمت وقتئذ .. والتى كان لابد من محاكمة المسئولين عنها .
ولا شك أيضا أنه رأى فى موقف المشير عامر .. الافتقار إلى النظرة البعيدة وانعدام الرؤية لحقيقة مايجرى على مسرح العمليات وصلته بأهداف العدوان . . وهذه الرؤية لموقف المشير عامر قد لا تمتد إلى الشك فى كفاءته العسكرية . . وهــذا ماجعله يغض الطرف عنه .. لكنه لم يستطع فى الوقت نفسه أن يتهاون مع القيادات التى تخاذلت ولم تحارب .. ومن الأمثلة الصارخة على ذلك الفريق محمد صدقى محمود قائد الطيران . . ولا شك أن أخطاءنا فى عام ١٩٥٦ لاتغتفر أيضاً .. وقد ترددت أقوال رسمية تقول بأنه كان على المشير عامر بعد ١٩٥٦ اعتزال العمل العسكرى والاتجاه إلى العمل السياسى وكان المفروض أن يعين قائد جديد لسلاح الطيران بدلا من صدقى محمود (٢٢) .

وقد يبرر عدم طرد صدقى محمود أو غيره بأن طبيعة المشير عامر كانت تتغلب عليه . . فقد تمسك بصدقى محمود وغيره بشعور حماية الوفاء . . وكانت هذه هى طبيعة المشير عامر التى يغلب فيها المشاعر الإنسانية والعاطفية مع من يعملون معه أو زاملوه . . مهما كانت أخطاؤهم . (٢٣) .

وقد رد المشير على طلب عبد الناصر بعزل صدقى محمود :

صدقى مش مسئول لوحـــده . . أنا المسئول الأول وأنا كان أمشى .

ثم انصرف غاضبا . .(٢٤)

وتتردد : س القصة . . ويتـكرر نفس الموقف بعد الانفصال سنة ١٩٦١ إذ يطلب ناصر من المشير عزل صدقى محمود ولـكن المشير يرفض معلناً . أنه إذا عزل صدقى محمود فإنه هو الآخر سيستقيل . .(٢٥) .

يفسر محمود الجيار سكرتير عبد الناصر وأحد الضباط الأحرار موقف عبد الحكيم عامر بالشهامة . . فقد كان عامر «رجلا شهماً إلى أقصى الحدود ، لا يملك الذى يعرفه إلا أن يحبه . . وقد كانت شهامته نقطة الضعف التى أتاحت لبعض العاملين معه ـ فيما بعد ـ أن يشكلوا مركز قوة بحمايته . .(٢٦) » .

وهذا تفسير جيد ينسجم مع الشعور القبلى الذى كان يكيف علاقة المشير عامر بمرءوسيه . . فقد كان يعتبر نفسه حامياً لهم . . أفراداً فى قبيلته . . وبما أنه شيخ قبيلة . . فعليه الحماية سواء أخطأ هذا الفرد . . ام لم يخطىء . . ظالما أم مظلوما .

كانت المشكلة الأساسية فى المشير عامر أنه يعيش ويعمل بالمنطق القبلى الذى انقرض . . وكان عبد الناصر يحاول جذبه إلى العصر الحديث . ولم يفقد عبد الناصر الأمل فى عملية الجذب هذه التى ظن أنه سينجح فيها، وذلك بوحى من صداقته وزمالته لعبد الحكيم عامر .

غاب عن عبدالناصر أنه كلما تراكمت السنون على كاهل المرء . كان صعباً عليه أن يتعلم . . كان من الصعب فعلا أن يتخلى المشير عامر عن منطقه القبلى . . بل ازداد امعاناً فيه، واستحساناً له . . فهذا المنطق يجمع حوله الأصدقاء . . والمعــــارف . . والأنصار .

وإذا كنا نتفق مع تفسير محمود الجيار فى شخصية المشير عامر . . إلا أننا نختلف معه تماماً فى الأسباب الملفقة التى يدعى أنها كانت سبب الأزمة بين الرجلين فى عام ١٩٥٦ — خلال العدوان الثلاثى — ، كذلك نرفض التلفيق الآخر الذى لا يخلو من طرافة . . والذى يتبرع به الجيار أيضاً عن مسئولية الانفصال سنة ١٩٦١ . . لماذا . . . ؟ . . لست أدرى .

يقول الجيار :

«عاد عبد الحكيم عامر من دمشق مهزوماً جريح الكرامة ، ليجد عبد الناصر يعنفه ويضاعف من آلام جرحه .. لكنه لم يقدم استقالته هذه المرة .. فقد وجد من يقدم إليه — فى لحظات هزيمته هذه — شماعة يعلق عليها كل المسئولية .. وكانت الشماعة : جمال عبد الناصر .. قالوا لعبد الحكيم أن عبد الناصر هو الذى حفر له حفرة العدوان الثلاثى ، ثم حفرة الانفصال السورى .. وفسروا له المسألة كلها بأن عبد الناصر يخشاه ، ويهمه أن «يحرقه» أمام الرأى العام حتى ينفرد وحده «بالزعامة وحب الجماهير» .

وهو لهذا يختار له المهام الصعبة .. قيادة الجيش فى مواجهة ثلاث دول ، ثم حكم سوريا عشية انقلاب كان يعرف أنه مدبر .

وطبيعى أن يميل الإنسان إلى تصديق ما يرفع العبء عنه ويلقى مسئولية أخطائه على غيره .. وعبد الحكيم عامر فى النهاية إنسان(٢٧)» .

هذا التلفيق الطريف ينطلق من الشعور القبلى أيضاً .. فيما

إن عبد الحكيم يعيش بمشاعر القبيلة التي تقوم على التساند والتضامن وانصر أخاك ظالماً أو مظلوماً . . فلا بد أن ينصر ناصر أخاه عبد الحكيم عامر ظالماً أو مظلوماً . . !

وعبد الحكيم فى هذه الحكاية الطريفة ينظر إلى عبد الناصر من هذه الزاوية . . لا ينظر إليه من زاوية أنه زعيم ومسئول عن أخطاء الرجال الذين يختارهم . . ولا من زاوية أنه رئيس جمهورية وملتزم أمامه بمهام عليه القيام بها وإلا كان عرضة للحساب واللوم .

ومن خلال هذه النظرة القبلية كان يهبط المشير عامر ومن يتولون التفسير عنه إلى النزول بالأماني القومية . . وبمصلحة الوطن العليا إلى مستوى العلاقات الشخصية . . والمؤامرات على المناصب والمراكز والحكم . . ، والتنافس على الزعامة . . كأن عبد الحكيم عامر كان قائداً جماهيرياً . . أو زعيماً شعبياً يخشاه عبد الناصر . . !

على أننا نغرق فى الضحك عندما نستوعب ذلك القول الذى يدعى فيه الراوى أن أصدقاء السوء أوهموا المشير عامر بأن عبد الناصر يضعه دائماً فى المواقف الصعبة . . والدليل على ذلك أنه اختاره لقيادة الجيش فى مواجهة الدول الثلاث سنة ١٩٥٦ . . !

إن عبد الناصر لم يختر المشير عامر . . لأن المشير كان هو القائد العام للقوات المسلحة سنة ١٩٥٦ . . فإذا ما وقع تهديد . . فمن الذى يصد . ويدافع . . ؟ . . أنستورد قائداً من « بلاد بره » أم نستأجر عبقرياً من المرتزقة لقيادة الجيش . . ؟

وهل كان يتوقع المشير عامر . . أو صديقه محمود الجيار أن تتركنا الدول الاستعمارية نسترد مصالحنا الوطنية ونبنى الاشتراكية . . ونقود العالم العربى إلى منطقة الحياد وتبارك خطواتنا .

كان العدوان متوقعاً .

وكانت المشكلة هى : من أين تأتى الضربة . ؟ . . من الغرب . . أم من الساحل الشمالى . أم من سيناء . . أى من إسرائيل . . ؟

ونحن ندرك . . والعالم كله يدرك معنا . . أن هذه المعركة غير متكافئة .

لم يكن مطلوباً من المشير عامر أن ينتصر على بريطانيا ولا على فرنسا .

كذلك لم تمكن القوات المسلحة قد استطاعت أن تقف على قدميها .. وكان هدف « بناء جيش قوى » لم يتحقق بعد .. وكان احتكار السلاح مضروباً علينا .. لم نكسره إلا فى عام ١٩٥٥ .. هذا وما كادت الدفعات الأولى من سلاح الكتلة الشرقية يصل إلينا .. ونخرج قطعه من صناديقها .. حتى كان العدوان يضرب بلادنا .

كان انعدام التكافؤ واضحاً لا شك فيه .

ولكن متى كان التكافؤ معياراً لمعارك التحرير .. ؟

أكان هناك تكافؤ بين الجنرال جياب .. وبين القوات الفرنسية .. ؟

أكان هناك تكافؤ بين شعب رشيد لأعزل .. وبين قوات الجنرال فريزر الانجليزى سنة ١٨٠٧ .. ؟

لقد انتصر شعب رشيد الأعزل .. البسيط على قوات الامبراطورية البريطانية التى كانت لا تغرب عنها الشمس .. ؟

التكافؤ عملة ممنوعة من التداول فى معارك التحرير .

عملة لا يخرجها من جيبه إلا أصحاب الياقات البيضاء . . وهؤلاء الذين لا يعرفون امكانيات الشعوب فى ساعات الخطر . . وطاقاتها الهائلة . . وكنوزها الضخمة المملوءة بالشجاعة والإقدام . . والمبادرات والتضحيات التى لا حد لها .

وعلى كل حال . . بالنسبة للمشير عامر . . ولغيره من القادة أمثال صدقى محمود . . ومحمد صادق . . وغيرهم . . لم يكن مطلوباً المواجهة الحاسمة . . فهذا ما يتكفل به الجيش الوطنى . . والشعب اليقظ . . انما المطلوب هو المحافظة على الشكل .

هذا ما كان مطلوباً .

أن تراعى قواعد الضبط والربط العسكرية ليس إلا .

أن يصدر القائد الأعلى أمراً . . فيكون على القائد العـــام الذى هو أدنى منه : الطاعة والتنفيذ والمتابعة .

أما أن يأمر ناصر القائد الأعلى .. بأن تتوحد الجبهة فى القناة ويقول القائد الذى هو أدنى منه : لا . . فى الشرقية .

فإن هذا ما نرفضه .. وهذا ما يلام عليه .. وغير ذلك مجاملة .. مثيرة للتقزز والاشمئزاز ..!

على أن المشير عامر لم يتشرف بقيادة الجيش فى عدوان ١٩٥٦ ضد الدول الثلاث . . فلم تكن المعركة معركة الجيش . . كانت معركة الجيش والشعب وهذا ما أكسبها القدسية والشرف والاستبسال وأضفى على ضحاياها صفة الاستشهاد والتضحية . . وارتفعت فيها التضحية إلى الحد الذى تفدى فيه الألوف الرابضة على القناة شعب مصر كله . . وأن تفدى فيه مدينة بور سعيد .. كل المدن والقرى المصرية .

عفواً .. إننا لانختلف كلية مع محمود الجيار . نحن نتفق معه فى شىء واحد .. هو أن المشير عامر كان ضحية .

يقول الجيار : إن المشير عامر كان ضحية

شمس بدران من ناحية وضحية على صبرى من ناحية أخرى (٢٨).

هنا نختلف على شخص المضحى من أجله .. فلم يكن شمس بدران أو على صبرى .. انما كان الضحية والمضحى له هو: المشير عامر نفسه.

كان المشير عامر ضحية نفسه ..!

* * *

تحكم منطق القبيلة فى المشير عامر .. واستحوذ نفس المنطق على الصامتين الثلاثة .. فكانوا يرون أنفسهم وأصدقاءهم وزملاءهم ومعارفهم وأقاربهم شيئا واحدا .. شيئا واحدا .. تتحطم أمامه القوانين .. وتذلل أمامه العقبات .. لم يكن للقانون .. أو المصلحة العليا للوطن اعتبار .. أمام الاعتبار القبلى .. وهو ما اصطلح عليه فى العصر الحديث بالشلة.

الشلة هى كل شىء.

والشلة تبدأ من حلقة صغيرة مختارة .. تتسع باتساع صلات أفرادها وعلاقاتهم ومصالحهم .. والرابطة الوحيدة القائمة بينهم هى: المصلحة .. أو «شيلنى وأشيلك».

كان عبد الناصر قد تخطى مرحلة القبيلة . .
كانت المصلحة العليا قد تغلبت نهائياً على مصلحته الشخصية . . ، كان قد عبر إلى القرن العشرين وإلى العصر الحديث بآفاقه السياسية الرحبة وتلاشى منطق القبيلة وانتفى نهائياً من ذات نفسه . . لم يعد لديه إلا الوطن . . والأمانى القومية للأمة العربية . . لم يعد يعنيه إلا الشعب فـ « الشعب أبقى وأخلد من كل قائد مهما بلغ اسهامه فى نضال أمته . .»(٢٩) ، « وأنا أدرك وأقدر أن هذا الشعب العظيم أعطانى من تأييده وتقديره ما لم أكن أتصوره يوماً أو أحلم به . لقد قدمت له عمرى . ولكنه أعطانى ما هو أكثر من عمر أى إنسان . .»(٣٠) .

وعندما عجز مجموع ابنته فى الثانوية العامة عن دفعها إلى أبواب الجامعة . . لم ير من حقه أن يطلب امتيازاً خاصاً لابنة رئيس الجمهورية وقائد القومية العربية .. وزعيم العالم العربى بلا منازع .. فى الوقت الذى كانت فيه وما تزال امتيازات كثيرة تمنح لأبناء المعلمين . . وأبناء المقاتلين . . وأبناء أساتذة الجامعات . . والرياضيين . . و . . . الخ .

وعندما صعد عبد الناصر إلى الرفيق الأعلى كانت كل ممتلكاته ، هي عبارة عن أشياء شخصية . ثلاث أو أربع كاميرات تصوير جاءته هدية ، نحو عشر بدلات وسبعة أو ثمانية أزواج أحذية كان يحرص على استعمال اثنين منها لأنهما كانا يريحان قدميه . نحو مائتي ربطة عنق معظمها هدايا من الزعماء اللبنانيين . سيارة واحدة وقديمة من نوع أوستن فكر مرة في أن يبيعها . . لا بيت له لأنه ضد التملك . ولا سيارات له . ولا عقارات له . ولم يترك أموالا ولا أطياناً . (٣١) ،

من المهم جداً أن يتحرر الزعيم من الشعور القبلي وأن يموت لديه كل احساس بالشخصي . . وينمو فيه كل شعور واحساس بالعام . . ، الفرق بين الزعيم وغير الزعيم أن الزعيم يكون للناس جميعاً . . أما غير الزعيم فانه يكون لنفسه . . وكلما تطور هذا الغير . . ووصل إلى درجة عليا من التطور الفكرى والروحى والسياسى ارتقى إلى درجة الزعامة . . فيقترب من العام تدريجياً ويتخلى عن الخاص .

ولا بد من التسليم بأن مرحلة القبيلة تظل سائدة فى قيادات بعض الدول النامية . . والمتخلفة وحديثة الاستقلال . . وهناك

أمثلة كثيرة على هذه القيادات التي تملأ مناصب الدولة بالأقارب والمعارف والأبناء والأحفاد والأصدقاء وأصدقاء الأصدقاء . . والمهم أن على هذه القيادات أن تغمض عينها عن الأخطاء . . الفادحة في بعض الأحيان .

وكان عبد الناصر يرى هذا المرض متفشياً في عدد من زملائه أعضاء مجلس قيادة الثورة . . وكان يدرك أن الوعي كفيل بشفائهم من هذا المرض . . لم يكن يدرك أن المرض قد تأصل داخل نفوسهم . . وأنه لا أمل في اقتلاعه إلا باقتلاعهم .

كان يرى مظاهر هذا المرض . . وكان بعضهم يفلح في إخفاء هذه المظاهر . . وكانت قنوات التوصيل تصاب بوعكة هي الأخرى فلا ترصد المظاهر أحياناً . . ولا تقدم له الحقائق . . كان يلتزم الصمت أحياناً . . وأحياناً أخرى يثور .

ونحن نعتبر أن هذا من أخطاء الزعيم .

إذ كان عليه أن يضرب بشدة وأن يستأصل بالقسوة هذه الأمراض وأن يتخلص من أصحابها . . هذه المخلوقات المنقرضة التي كانت لا تتورع عن القيام بأي شيء من مصالحها وأغراضها .

هذه المخلوقات المنقرضة هي التي عوقت الثورة الاشتراكية . . وأصابتها بالنكسات والهزائم .

يقال : يكفى أن ثورة يوليو . . حققت الجلاء . . وأعلنت الجمهورية . . وضربت الاقطاع . . واستردت المصالح الوطنية . . وأممت القناة . . وأقامت السد . . وأنشأت آلاف المصانع والمدارس . . والمعامل . . وجعلت لمصر اسماً . . ودفعت عجلة الثورة العربية فى الدول العربية الأخرى . . فى العراق . الجزائر . . اليمن . . سوريا . . ورفعت العرب إلى فوق . . وجعلت راية الاشتراكية خفاقة فى هذه المنطقة من العالم .

لكننا نقول : لا يكفى .

كان على الثورة أن تكون قوية عملاقة ، تتخطى الحواجز . . وتقضى على الأمراض والأخطاء .

فلماذا تردد ناصر . . ؟

لماذا لم يضرب بعنف وقسوة . . ؟

لو كان فعل ذلك . . لما أصبحنا الآن حيث كنا . ، لو كان ناصر استأصل هذا القلب المزروع بين جوانحه ينبض بالإنسانية وبالوفاء لزملائه . . لو استأصله ووجه لطمات متتالية وشديدة إلى هذه المخلوقات المقرضة وقضى على كل أمراض السأم والتراخي والتهاون والتهادن . لما استباح العثران الاقتراب من أقراص الجبن .

السبب فى ذلك يرجع — فى تقديرنا — إلى الوهم الكاذب

الذى اوقعوا فيه عبدالناصر بطلاء الإنسانية الكاذب الذى دلسوا به على الثورة وأرغموها على ارتداء الثوب الأبيض .

أية ثورة بيضاء تلك التى تستبيح التنازل عن أهدافها لدوافع إنسانية خاصة بفئة أو أفراد يعدون على أصابع اليدين .

ان الثورة عنـــدما تقتل فرداً . . فانما تفعل ذلك حتى لا يقتل الآلاف والملايين فيما بعد .

وهى عندما تنزع قطعة الزبد من فم الإقطاعى المسكين . . فانها تفعل ذلك لتوزعها على آلاف الأطفال الذين يتضورون جوعاً ويموتون فى الصقيع .

ان مئات العمال يسقطون من مقطورة مقاول الأنفار فى الرياحات . . والترع . . وعندما يطلب من هذا المقاول نفسه أن يؤمن على العمال ضد الحوادث .. يدمغ هذا الطلب بالديكتاتورية . . والإرهابية . . والدموية .

فمن هو الديكتاتور . . والإرهابى والدموى . . ؟ !

• • •

وإذا عدنا الآن إلى ثقة مجلس الرئاسة وأول أزمة عنده

اقترح الرئيس ناصر تحديد سلطة المشير عامر فى تعيين قادة الأسلحة وعزلهم وجعل ذلك من اختصاص مجلس الرئاسة .. وأن الاقتراح عارضه المشير وكمال الدين حسين .. ووافق عليه بقية الأعضاء .. ولم ينفذ وساعد عبد الناصر على عدم تنفيذه .

وهذه الواقعة تحتاج إلى تصحيح . وبعد التصحيح سنتركها بدون تعليق .. ونحن نستند فى التصحيح إلى كمال رفعت وهو أحد أعضاء مجلس الرئاسة .

يقول كمال رفعت :

كان الاجتماع فى قصر القبة .. وبدأ الساعة السابعة مساء ذلك اليوم .. وتولى بغدادى رئاسة الجلسة .. وقال إن الرئيس مش جاى النهاردة .. وسأتولى رئاسة الجلسة .. وكان واضحاً أن هناك اتفاقاً مسبقاً بين ناصر والبغدادى على عدم حضور ناصر .. وطرح بغدادى الموضوع .. وهو بالتحديد : تحديد سلطة القائد العام للقـــوات المسلحة فى تعيين قادة الأسلحة والوحدات وعزلهم وجعل ذلك من اختصاص مجلس الرئاسة .

واعترض المشير عامر . . وكانت وجهة نظره أن الجيش قائم على السلطة ، وأن عملية قيادة جماعية فى الجيش ما تمشيش . . بل تهدم الضبط والربط فى الجيش . . لأنه إذا كان ليس لرئيس الأركان أن ينقل أو يعزل قائد فرقة أو وحدة أو لواء إلى آخره . . معناه أن الضبط والربط ينحل فى الجيش . . وكنت أعتقد — الكلام لكمال رفعت — ان وجهة النظر هذه سليمة بصرف النظر عن خلفيات الموضوع . . ومعناه أيضاً أن مجلس الرياسة ح يبقى له شلة ضباط بتوعه . . وده يفتت الجيش .

لكن أنور السادات دافع عن وجهة نظر عبد الناصر فى القيادة الجماعية .. فما دام احنا ماشيين فى القيادة الجماعية داخل البلد . . فلا بد أن تمشى فى الجيش كمان .

ووافق حسين الشافعى على وجهة نظر أنور السادات .

أما كمال حسين فاقترح تأجيل الموضوع إلى جلسة أخرى بسبب الخلاف الحادث فيه . . واقترح أن تكون الجلسة التى ينظر فيها الموضوع بحضرها الرئيس .

لكن بغدادى عارض التأجيل وأصر على البت فى الموضوع فى هذه الجلسة . . وعرض التصويت على الموافقة على المشروع أو تأجيله .

ووافق على المشروع :

١ — عبد اللطيف البغدادى .

٢ — حسين الشافعى .

٣ — زكريا محيى الدين .

٤ — أنور السادات .

٥ — على صبرى .

٦ — نور الدين طراف .

أما الذين أقروا التأجيل فهم :

١ — المشير عامر .

٢ — كمال الدين حسين .

٣ — كمال رفعت .

٤ — الشرباصى .

٥ — حسن ابراهيم .

فلم يوافق الجميع إذن على المشروع . . ولم يكن المعارض هو كمال حسين فقط . . !

بعد ذلك جمع المشير أوراقه وترك الجلسة غاضباً .

ويعود كمال رفعت لاستكمال القصة :

ذهبت إلى الرئيس عبد الناصر فى اليوم التالى . . قال لى ما رأيك . .؟ . . قلت له : بصرف النظر عن الخلفيات ، العملية دى غير سليمة وخصوصاً ان لنا قوات فى اليمن . . وهذا بالطبع يؤثر فيها . . واقترحت على عبد الناصر أن يحل الموضوع بطريقة أو بأخرى إلى أن تنتهى حرب اليمن .

لكنى وجدت عبد الناصر لديه إصرار على المشروع ، فقلت له أنا ح أروح لعامر وأكلمه فى الموضوع . . فقال : طيب روح اتكلم معاه وفوت على تانى .

وذهبت إلى المشير عامر . . وتناقشنا . . وكان لديه هو الآخر إصرار على رفض المشروع . . وقلت له إن لنا قوات فى اليمن ولازم الموضوع يتحل . . فرد المشير : ما هو عبد الناصر يعرف إن لنا قوات فى اليمن ولازم يعمل حسابه . . وأخرج من درج مكتبه خطاب استقالة . . وكان يحمل كالعادة بعض الجمل عن الديمقراطية والحرية . . !

وبعد أن قرأت الخطاب تناقشنا سوياً . . وأبدى المشير تأثره جداً . . كان يقول لى : كيف يعاملنى عبد الناصر هكذا . . ؟ وكاد يبكى . . !

كان عبد الناصر قد طلب منى أن أرجع إليه بعد مقابلة المشير . . فذهبت إليه فى نفس اليوم بالبيت بعد الظهر . . كان وحيداً . . وأول ما قابلته بادر بسؤالى : هل قلت الذى دار بيننا للمشير؟ قلت : لأ . . مش معقول .

قال : طيب . . كويس .

وظهر عليه الارتياح .

وكان المشير عامر قد ذهب إلى الاسكندرية غاضباً . . فاتصلت بشمس بدران وقلت له يشوفه وإذا كان فعلا فى الاسكندرية يروح له ويرجعه . . لأن أكثر حاجة حساسة فى الوقت ده كانت قواتنا فى اليمن .

وفى المساء كان المشير عامر قد وصل وجاء إلى بيت عبدالناصر . . وتصافيا . . ولكن عبد الناصر أصر على موقفه . . وهو ضرورة أن يكون تعيين قادة الأسلحة وعزلهم من حق مجلس الرئاسة . . انما نظراً لاعتبارات اليمن ووجود قواتنا هناك فقد أجل تنفيذ المشروع لمدة ستة أشهر .

وكان واضحاً أن عملية التأجيل هذه تعنى وضع المشروع على الرف . . ولذا . . فى مقابلة أخرى مع عبد الناصر .. أراد أن يشرح لى لماذا رجع فى كلامه .

قال لى عبد الناصر :

فى الواقع أنا رجعت اسكندرية ولقيت أعضاء مجلس الثورة القديم مجتمعين . . كانوا بيتفقوا ازاى يتخلصوا من عبد الحكيم عامر .. ووصلوا فعلا إلى اتفاق انهم يدوه أجازة ٣ أشهر يقضيهم فى يوغسلافيا . . شعرت انهم عايزين يدبحوه .. وفرصة وخلاص . . ودى حزازات قديمة كان سببها أساساً تعيين عامر قائداً للجيش(٣٢) . . المسائل لا تؤخذ بهذه الطريقة . . ولذا فقد أجلت عرض المشروع .

- هذا الموقف من ناصر ازاء عامر يوضح إلى حد بعيد العلاقة بين ناصر وعامر . . فناصر — كما يقول كمال رفعت — كان غير راض عن تصرفات عامر، وفى بعض الأحيان يحاول تنحيته عن المسئولية . . إلا أن الناحية الإنسانية تتدخل . . والعلاقة القديمة تجعله يتراجع .

- ما الذى كان يريده ناصر بالضبط . . ؟ . .

قال كمال رفعت :

كان يريد قائدا محترفا فى الجيش . . مش

قائد سياسى . . منعه من ذلك . . صداقته . . وزمالته . . وعاطفته والوفاء .

ويختلف كمال رفعت مع كل الذين يقولون بأن لعبد الحكيم عامر تأثيراً متزايداً فى الجيش . . ويرى أن تأثير عبد الناصر كان كبيراً جداً . . لا عبد الحكيم ولا غيره . . .

يستطرد كمال رفعت : كانت فكرة وحدة رجال الثورة تتحكم فى ناصر . . المحافظة على وحدة رجال الثورة . . وهذه المسألة كانت تحكم علاقته بالآخرين على الرغم من الخلافات التى كانت تقع والتناقضات الموجودة بينهم .

والقول بأنه كان يتخلص منهم واحداً بعد واحد قول غير صحيح .

* * *

وبلا تعليق كثير . . ينبغى القول أن فكرة القيادة الجماعية ترتبط أكثر بالتحولات الاجتماعية . . وقيادة الاتحاد الاشتراكى باعتباره التنظيم السياسى الذى يضم تحالف قوى الشعب العامل

. . وان مجلس الرئاسة لم يكن أكثر من لجنة استشارية . أو مكان جيل لإبعاد بعض الذين لا يتفقون مع التحولات الاجتماعية التي تجرى فى المجتمع .. وأن محاولة الربط بينه وبين فكرة القيادة الجماعية خطأ جسيم .

* * *

ويأتى بعد هذا ما أصدره مجلس الرئاسة من قرارات وأبرزها القرار رقم ١١٩ لسنة ١٩٦٤ الذى يخول لرئيس الجمهورية فى غير الحالات الاستثنائية والطارئة المقررة فى قانون الطوارىء وبدون إبداء الأسباب القبض عليهم واحتجازهم فى مكان أمين .. وأن يؤمن الحراسة على أموالهم وممتلكاتهم .

ويقول كمال حسين إن فرعون نفسه لا يصدر مثل هذا القرار . . ويجب أن يكون مفهوماً أن كمال الدين حسين كان بعيداً عن السلطة . . وكان مجلس الرئاسة قد صفيت أعماله . . أى لم يكن هناك داع لعرض مشروع القرار عليه . . كذلك . . لم يكن مجلس الأمة الجديد قد بدأ دورته بعد ليصدق على القانون أو يقره أو يرفضه .

ونحن نرى أن أسباب صدور هذا القرار واضحة ويعرفها

جيداً السادة الصامتون الذين تكلموا .. وبتلخيص شديد نعيدها .. وهي :

١ – قيام الحلف المسمى بالإسلامي بالتآمر على الجمهورية العربية وتجنيده بقايا التنظيمات السياسية والدينية المنحلة للقيام بالمؤامرات في الداخل .

٢ – اشتداد عـــداوة بعض الأنظمة الرجعية في العالم العربي .

٣ – اكتشاف عدد من شبكات التجسس لصالح اسرائيل والغرب .

٤ – استمرار الحرب في اليمن وضرورة تأمين خطوط مواصلاتها لمدها بالتموين والعتاد .

٥ – وجود دلائل تشير إلى وجود مؤامرة ينظمها الإخوان المسلمون . . وقد ثبت هذا فيما بعد .

ومن أجل هذا كان من الضروري أن يستند الحاكم إلى قانون لمواجهة هذه الحالات . . ولو كان عبد الناصر يريد أن يدوس القانون أو يصبح فرعون . . فما كان أحراه أن يفعل ما يريد دونما حاجة إلى قانون أو قرار . . ؟!

ونحن بالطبع لا نريد أن نكشف - أكثر من ذلك - سر القضية التى رفعها من يدعى مصطفى ابراهيم عبد المنعم العالم رئيس قسم التربية الإسلامية بمنطقة جدة بالسعودية والتى نظرتها غرفة المشورة بمحكمة جنوب القاهرة يوم الأحد ٢٦ يونيو سنة ١٩٧٥ واستدعى للشهادة فيها بعض الصامتين . وكان موضوع القضية هو الأضرار التى لحقت بالمدعى من هذا القرار .. والتى كان من نتيجتها هروبه إلى السعودية والعمل بها منذ عام ١٩٦٥ .. ان هذا السيد لم يقبض عليه . ولم يمتهن . ولم يعذب .. لقد فضل أن يفر ولا يواجه العدالة .. وصدر ضده الحكم غيابياً .. والآن فقط حلا له أن يرفع قضية .. ليقول فيها إن هذا القرار كان غير دستورى .. وأنه أضير منه .. لماذا أضير منه .. ثم لماذا ترك البلاد .. لماذا لم يثق بقضاء بلاده .. ويقف أمامه .. ويقول ما عنده .. ؟!

هذا لون من الناس الذين أضيروا بالقرار ١١٩ لسنة ١٩٦٤ .. والأمر بعد هذا .. لا يمكن أن يكون عليه تعليق .. !

هوامش الفصل الخامس

(١) د . جمال المطيعي - أيام خالدة في حياة عبد الناصر - اقرأ - العدد ٢٣٥ - القاهرة .

(٢) جمال عبدالناصر - خطابه في مجلس الأمة يوم ١٩٦٤/٣/٢٦ .

(٣) جمال عبد الناصر — خطابه في ١٩٦٥/١/٢٠ .

(٤) جمال عبد الناصر — خطابه في ١٩٦٤/٥/٩ .

(٥) قانون الاتحاد الاشتراكي العربي — المقدمة والأهداف — ١٩٦٢ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) الميثاق الوطني — الباب الخامس — عن الديمقراطية السليمة .

(٨) محاضر جلسات المؤتمر الوطني للقوى الشعبية في ١٩٦٢/٧/٤ .

(٩) إن الحل الاشتراكي هو المخرج الوحيد إلى التقدم الاقتصادي والاجتماعي ، وهـــو طريق الديمقراطية بكل أشكالها السياسية والاجتماعية - الميثاق — الباب السادس - في حتمية الحل الاشتراكي .

(١٠) هيكل في حوار عن عبدالناصر بقلم فؤاد مطر — ص ٩٥ ، ٩٦ — دار القضايا — بيروت — ١٩٧٥ .

(١١) المصدر السابق ص ٢٢٤ .

(١٢) سامى جوهر - الصامتون يتكلمون - ص ٥٦ - القاهرة -

(١٣) المصدر السابق ص ٥٦ .

(١٤) المصدر السابق ص ٥٦ .

(١٥) المصدر السابق ص ٥٣ .

(١٦) فؤاد مطر - حوار مع هيكل .. بصراحة عن عبدالناصر - ص ١٠٠ - بيروت - دار القضايا - يناير ١٩٧٥ .

(١٧) المذكرة الإيضاحية لقانون تأميم قناة السويس فى ١٩٥٦/٧/٢٦

(١٨) رئيس هيئة إدارة التعبئة العامة سنة ١٩٥٦ .. وقد أجرى الحديث معه قبل وفاته بعام تقريباً :

(١٩) مذكرات خاصة فى حوزة المؤلف .

(٢٠) جمال عبد الناصر فى خطابه - ١٩٥٦/١١/٩ .

(٢١) جمال عبد الناصر فى خطابه - ١٩٥٦/١١/٢

(٢٢) موسى صبرى - أخطر أسرار ثورة يوليو - أخبار اليوم ١٩٧٥/١٠/٤؛

(٢٣) المصدر السابق

(٢٤) عبد اللطيف البغدادى فى (الصامتون يتكلمون) ص ٥٤

(٢٥) المصدر السابق ص ٥٣

(٢٦) محمود الجبار — روزاليوسف — ١٩٧٥/١٢/٢٩

(٢٧) المصدر السابق

(٢٨) المصدر السابق

(٢٩) جمال عبد الناصر — خطبته فى ~~١٩٧٥/١٢/٢٥~~ ١٩٦٤/٣/٢٦

(٣٠) المصدر السابق

(٣١) هيكل — بصراحة عن عبد الناصر — بقلم فؤاد مطر — ص ١٧٦ — دار القضايا — بيروت

(٣٢) كان يوجد صراع على منصب القائد العام للقوات المسلحة بين عبد اللطيف البغدادى وعبد الحكيم عامر . . وعين عامر قائداً عاماً وعين عبد اللطيف البغداد وزيراً للحربية والبحرية . . ثم أصبح عامر يجمع بين المنصبين — كما كان كمال الدين حسين يرى أنه أحق بهذا المنصب من عامر لكفاءته العسكرية . . وكان عدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة القديمة يريد الاستئثار بالجيش للسيطرة واستخدامه كمركز قوة . . وهذا ما حدا بإقامة جدار من العزلة بين عامر وعدد من أعضاء مجلس قيادة الثورة مما أتاح الفرصة لبعض العناصر لمشاركة عامر فى موقعه من القوات المسلحة .. بحيث أصبحوا فى السنوات الأخيرة من حياة عبد الناصر يمثلون مراكز قوة داخـــل أجهزة السلطة ..

المؤلف

٦

لسنا في هـذه المنطقة من العـالم لتحصيل الجمارك .

(...)

يقرر الصامتون الثلاثة أن عبدالناصر قد دفع بالشعب المصرى فى حربين لا ناقة لنا فيهما ولا جمل . . وهما حرب اليمن وحرب يونيو ١٩٦٧ . . وخسر الشعب المصرى فى هذين الحربين الكثير من الأرواح والأموال .

يقول حسن ابراهيم عن حرب اليمن (ص ٦٠) من كتاب « الصامتون يتكلمون » :

حقيقة كانت حرب لا مبرر لها لتورطنا فيها .

ويقول البغدادى (ص ٦١) :

كانت حرب اليمن . . وسقط آلاف الضحايا . . وخسرت مصر الملايين . . ورفض عبد الناصر الاستماع إلى كل نصيحة بالانسحاب من اليمن و التوقف عن الحرب .

ويقول كمال حسين (ص ٦١) :

انها حرب ضد الإسلام الذى لا يجيز الحرب إلا إذا كانت فى سبيل الله .

ولا خلاف على أن الحربين : حرب اليمن ١٩٦٢ وحرب اسرائيل ١٩٦٧ قد كلفتا مصر كثيراً من الأرواح والأموال .

فهل كان لا مفر من هذين الحربين . . ؟ . . أكان يمكن التغاضي عنهما . . أكان يمكن أن نعطى لليمن ظهرنا . . وندير وجوهنا لإسرائيل . . ؟

أكان يمكن أن ننعم فى بيوتنا . . ونستمتع بمسراتنا . . ونعيش حياتنا دون مبالاة بما يحدث فى حدودنا الشرقية . . شمالا وجنوباً . . ؟

يظن بعض الناس أن جمال عبد الناصر كان يهوى القيام بدور الفارس الذى يمتطى صهوة جواده الأشهب .. فى ذراعه القوس .. وفى يده الرمح .. يقتحم المخاطر .. داعياً القوم إلى الحرب والنزال .

وهذا الظن هو الذى قاد بعض الناس إلى الوقوع فى خطأ الأحكام المسبقة . . وعندما بحثوا عن دعائم وأدلة وحيثيات لهذه الأحكام لم يجدوا شيئاً .

ولكى لا نقع فى نفس الخطأ . . أو ننقـــاد إلى مثل هذه الظنون ينبغى علينا أن نعرف بعض الأمور .. منها .. أن ثورة

يوليو عندما قامت بالتزاماتها لمساعدة بلد عربي فقد قامت من منطلق واقعي بأن تحرير كل بلد عربي يعني تحريراً وسنداً لمصر . . ودعماً لمصر . . ولكل بلد عربي .

ومصر عندما قامت بمساعدة اليمن لدعم ثورة شعبها . . في اطار مصر الثورة . . وليس مصر الدولة .

مصر الدولة قد تقدم أوراق اعتماد سفيرها الرسمي إلى رئيس الدولة . . ويتفوه وزير خارجيتها بعـدة كلمات منمقة بينما المصورون يسلطون عدسات كاميراتهم على وجهه لانتزاع بسمة مصنوعة بدقة .

مصر الثورة لا يعنيها هذا الشكل .

مصر الثورة يعنيها الجوهر .

جوهر ثورة اليمن تغيير واقع شعب اليمن . . إلى واقع أحسن وأفضل . . والسفراء والأوراق . . والكاميرات . . والبسمات . . والشعارات ، لن تساعد شعب اليمن على تغيير واقعه . . لأن الواقع لا يتغير بالأماني أو الأحلام . . ولذا كان لمصر أسلوب آخر . . أن تقف مع شعب اليمن . . بالدم . . والروح . . والسلاح . . وكل الإمكانيات .

وهذا ما ينقلنا إلى مستوى آخر من تطوير الاشتراكية الناصرية التى ترى أن الثورة هى أرقى أنواع العمل للتغيير . . وأهم أدوات العمل . . الحرب والسياسة . . وأداة الحرب هى الجيش . . وأداة السياسة هى الوعى .

إن هدف الثورة هو تغيير واقع الجماهير . . فالجماهير هم أداة الثورة الرئيسية . . وهذه الأداة تنتظم فى شكلين : الحرب والسياسة .

الأصل فى الثورة هم الجماهير .

والجماهير تصنع أشكال العمل للتغيير . . وقد تستخدم أسلوباً يختلف عن الحرب . . وعن السياسة . . وقد تبتكر . . وقد تخلق .

الجماهير تخلق كل أشكال العمل . . والكفاح والنضال . . لأن الجماهير هى التى تحارب . . هى التى تبذل . . وهى التى تضحى . . وكل ما تقوم به يعود عليها . . فالجماهير تدفع وتتقاضى الثمن على الفور . . تدفع روحها وتتقاضى الحرية . . تبذل دمها وتتقاضى التغيير ومجتمعاً أفضل .

إن الجماهير هى التى تختار أداة التعامل فى سوق التغيير ..
لأن الجماهير هى الرابحة وهى الخاسرة .. ولذا تختار الرصاص .. وتختار الكلمة .. تختار القذيفة .. وتختار الأغنية .. تختار الصرخة .. وتختار النشيد .. وليس معنى هذا أن الجماهير ماهى إلا كتل متراصة ، أو جماهير مظاهرة ، أو مجموعة عشوائية من الناس .. الجماهير هنا هى الجماهير المنظمة التى تعرف أين مصالحها .. وأين قدرها .. وأين زمانها .. وأين مكانها .

إن مانعيش فيه الآن لم نحصل عليه نتيجة اتفاق .. أو صلح ما .. لقد توصل إليه الآباء والأجداد والأصدقاء .. بعد أن دفعوا .. « مفيش حاجة بتاخد بثمن بخس ، مفيش حاجة بتتحقق بثمن رخيص ، كل حاجة بتتحقق بالدم ، كل شىء بيتحقق بالعرق ، كل حاجة بتتحقق بالجهاد ، .. كل شىء بيتحقق بالكفاح ..(١) » .

الثورة خلق .

الثورة عملية إبداع فى المجتمع .. وفى الحياة .. وفى الناس .

الثورة صناعة قدسية يقوم بها أناس على موعد مع القدر .

الثورة لا تلتزم بقواعد موضوعة للعمل .. وللحركة .. وللفعل .

فقط تلتزم بقانون الصراع . . فمن الصراع يتولد المثال . . ويخرج النموذج .

إنها تلتزم بالصراع لأنها تعطى وتأخذ . . فالأخذ والعطاء ضدان . . وجهان . . شيء مع وشيء ضد .

إذا لم تتقدم . . ترتد .

ضدان يحكمان كل حركة . . وكل فعل . . وكل عمل .

إذا تقدمت الثورة تأخذ . . وإذا ارتدت ينتزع منها . . أو تعطى عن طواعية . . أو عن قسر . . أو عن إرهاب .

الخلق ثورة على الطبيعة . . لتغيير الطبيعة . . وإخضاعها لقانون . . وقاعدة .

الثورة حياة . . إنها أرقى أنواع الحياة لأنها تنشد التغيير دائماً . . قانونها الأساسي هو التغيير .

ومن أساليب الثورة ومن أسلحتها : الحرب .

الحرب سلاح من أسلحة الثورة وأداة من أدواتها . . وطريق من طرقها .

ان الحرب نوعان :

حرب استعمارية .. وحرب وطنية :

- الحرب الاستعمارية تستهدف الغزو والاستعمار .
- والحرب الوطنية . . تستهدف الحرية والتحرير .

وطبقاً لهذا التقسيم الموضوعى تصبح هناك حرب عادلة وحرب غير عادلة .

بالطبع هناك أشكال مختلفة من الحروب . . وتسميات لا حصر لها . . إلا أنها فى النهاية تندرج تحت هذين التقسيمين . . حرب وطنية وحرب استعمارية .

وتبعاً لهذا التقسيم النهائى فاننى أرى أن الحرب لا يجب أن تكون مجالا للظنون أو تخرصات الهواة . . لأن الحرب ليست نزهة . . ولا عدداً من الرجال يرتدون البزات العسكرية ويقفون أمام الكاميرات .

الحرب عمل يخص الوجود الاجتماعى للأمة . . نزاع بين المصالح الكبرى يسوى بالدم .

ويجب أن يعرف الثوريون . . وخاصة

الاشتراكيين الناصريين أن الحرب بهذا المعنى المحدد لا يجب أن تترك للعسكريين وحدهم .. ولا للسياسيين وحدهم .. لأن الحرب إذا كانت عملا يخص الوجود الاجتماعى ولا تهم سياسة الدول لأنها دول .. إنما الحرب تهم أيضاً وبالدرجة الأولى مختلف الطبقات الاجتماعية التى تتصادم .. فإن من الطبيعى أن تهتم بها .. وأن تكون مثاراً لاهتمام الشعب كله ..

ومن هذا المنطق نحن نناقش ما أثاره الصامتون عن حربى اليمن ١٩٦٢ وإسرائيل ١٩٦٧ .. لأن الحرب بمفهومها الضيق عمل فنى .. يختص به العسكريون الذين يستخدمون آلة الحرب المتطورة .. وبالتالى نحن لا نسأل الصامتين الذين تكلموا عن هاتين الحربين من الناحية العسكرية .. أى لا يجب أن نحرجهم بأسئلة عن أرض العمليات . والخطط .. والأسلحة .. وكيف نفذت هذه الخطة .. وكيف تعثرت .. أو كيف نجحت .. وما هى المؤثرات .. وما هى الدروس المستفادة .. وهل استخدمت هـــذه الدروس فى الخطط التالية .. وروعيت الملاحظات .. ونحن لا نسأل عن حركة الجيوش .. وكيف كانت تستخدم العربات .. أو المصفحات .. أو الدواب فى

بعض الأحيان . . وكيف تلاءم الجندى المصرى مع الطبيعة القاسية فى اليمن . . وكيف عاش . . ثم كيف حارب . . وكيف تستمر فى الحرب . . ؟

هذه كلها أسئلة هامة . . وحاسمة أيضاً . . لأن الخطط الجيدة يمكن أن تتحول إلى نتائج فاشلة إذا وقعت فى أيدى رجال يثقوون فيها ولا يؤمنون بأهدافها الاجتماعية .

على أننا قلنا أننا لا نناقش الحرب بمفهوم الحرب للحرب . . إنما نحن نناقش الحرب لأنها تخص الوجود الاجتماعى لنا جميعاً .

وقد قلنا أن الحرب نوعان . . حرب وطنية وحرب استعمارية . . وقلنا أن هذين التقسيمين هما تقسيمان أساسيان .

ولنلق نظرة على ميدان المعركة فى الحرب الأولى . . أى حرب اليمن . .

بدأت حرب اليمن بثورة اليمن فى ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢ وكانت القوى الاستعمارية الرجعية تحتفل بانتصارها المؤقت بانفصال سوريا عن مصر . . فقد كان الانفصال قد وقع فى ٢٨ سبتمبر سنة ١٩٦١ . . هذا وقد نجحت الثورة فى أن تقصف بالإمامة والرجعية فى اليمن وتقيم لأول مرة حكماً متحرراً تقدمياً فى تلك البلاد . .

والمعروف أن اليمن فى ظل الحكم الإمامى ، يمثل أشد أجزاء الوطن العربى رجعية . وكان اختيار الإمام يتم على أساس البيعة من مجلس مؤلف من السادة الزيدية ، ولذا فقد تركزت السلطة المطلقة الكاملة بيد الإمام طوال حياته . وصار الإمام يستخدم نظام الرهائن من كافة القبائل للتحكم فى ولائها ، كما استخدم الدين ذريعة للبطش بالشعب — مع أن الدين من ذلك براء — وللقضاء على أية معارضة سياسية واجتماعية لسلطته ، ولإخفاء الاستغلال والاستبداد الطائفى ، ولتدعيم الامتيازات الاقتصادية وحقوق ملكية الأرض واحتكارها لفئة مستغلة هى فى حقيقة الأمر الطبقة المالكة فى اليمن . وقد أدركت هذه الطبقة أن العلاقات بالعالم الخارجى تهدد كيانها وتضعف من قبضتها على مقاليد السلطة ، فعملت على قطع كافة العلاقات بدول العالم ، وعلى وجه الخصوص العالم العربى ودول المحيط الهندى .. وقد سمحت الأوضاع الاقتصادية باليمن بنجاح هذه السياسة ، إذ على الرغم من وسائل الإنتاج البدائية ، إلا أن ثراء وخصوبة الأراضى وتنوع المنتجات الزراعية ، أتاح امكانية خلق نوع من الاكتفاء الذاتى لسد الاحتياجات الغذائية الرئيسية للشعب .. بالإضافة إلى أن هجرة عدد كبير من السكان فراراً من الاستبداد الإمامى ، وكثرة الوفيات بسبب تدهور الحالة الصحيه ، خففت من حدة المشكلة الغذائية .(٢)

، وقد لعب الاستعمار دوراً رئيسياً – غير مباشر – فى تجميد الاوضاع باليمن ودفعها إلى التخلف ، وذلك عن طريق تسلطه على البلاد المجاورة لليمن فى آسيا وأفريقيا . فقد عمل الاستعمار على تحطيم أى اتجاه إلى التصنيع محتفظاً بالمنطقة كلها فى حالة من التخلف انعكس أثرها على اليمن ، بل وقد هددت الأوضاع السياسية والاقتصادية فى اليمن أكثر منه فى البلاد المجاورة ، بسبب سياسة العزلة التى فرضتها السلطة الإمامية . وعلى العموم ، كان التخلف السياسى مجسداً فى النظام الإمامى هو العقبة الرئيسية فى طريق أى تنمية إقتصادية أو تقدم اجتماعى فى اليمن (٣) .

وكانت هناك دول عربية تدعم هذا التخلف وتغذيه إن كانت تصلح عملية تغذية التخلف . . وكانت هذه الدولة هى السعودية .. ولم تكن السعودية قد برأت بعد من بعض الأمراض التى كانت تضعها على رأس الدول التى تساند التخلف وتحميه . . وليس أدل على ذلك من أنه فى المؤتمر البرلمانى الدولى الذى عقد فى طوكيو سنة ١٩٦٠ أثير موضوع الرق فى المملكة العربية السعودية .. أثاره حزب العمال البريطانى وحزب العمـــل الإسرائيلى .. وحاول الوفد المصرى أن يرد .. أن يدافع .. أن يقول : لا .. لا .. الرق .. الرق غير موجود .

ولكن الإخوة العرب الذين كانوا فى المؤتمر .. قالوا : لا تقل لا .. ، لا تنكر .. لا تكذب .. لأن الرق حقيقة موجودة فى السعودية .. وهى أمر معترف به .. ورسمى .. ومشروع وكان أول صدى لثورة اليمن فى السعودية هو : إلغاء الرق !

فالثورة فى اليمن كانت استجابة لارادة الجماهير فى اليمن .. وصدى لصرخات الجماهير فى البلاد الاقرب المجاورة التى تعيش فى التخلف . والظلام .. كانت الثورة اليمنية تعبيرا عن مشاعر ورغبات الجماهير الشعبية اليمنية .. تعكس مطالبهم وآمالهم فى التخلص من النظام الاستبدادى الإمامى ، ضرورة وحتمية بالنسبة للشعب اليمنى .. كانت هذه الثورة هى العلاج الوحيد لأمراض التخلف المزمنة التى ملأ بها الأئمة وأعوانهم أرض اليمن ، ولأنها كانت الديناميت الذى فجر السدود الرهيبة التى وضعت فى طريق الشعب اليمنى نحو مستقبله .. ولذا فقد عبر الشعب اليمنى عن تأييده الكامل لهذه الثورة منذ لحظاتها الأولى .

وككل ثورة شعبية ذات أهداف واضحة بدأت القوى الاستعمارية والرجعية الضاريه تقاومها .

لقد فتحت الثورة آفاقاً جديدة للتطور والرخاء ومهدت الطريق للقضاء على كافة آثار التخلف والعبودية وأكثر من

ذلك فإن هذه الحركة الثورية فى تطورها كانت قادرة على التحول إلى ثورة شاملة عميقة ، من خلال العمل على تغيير الأوضاع البائدة فى اليمن تغييراً جذرياً كاملا .. وليس هناك شك فى أن هذه التغييرات الثورية ستمتد آثارها إلى المناطق المجاورة لليمن والتى يبذل الاستعمار والرجعية جهدهما لابقائها متخلفة اقتصاديا واجتماعياً وسياسياً .. ومن هنا كان عداء الاستعمار والرجعية لثورة اليمن التحررية والاقدام على تقديم المال والسلاح بسخاء لتعضيد الرجعية المحلية المنهارة ، التى تحاول استعادة نفوذها وإعادة تكبيل اليمن بقيود الحكم الاستبدادى البائد والقائه فى وهدة التخلف والظلام . هوة التخلف

إن الاستعمار لم يتوقع أن تكون الثورة قادرة بعد أن أطاحت بنظام الأمامة ، على المضى فى طريق المستقبل .. ولذا فقد حاول بشتى الطرق القضاء عليها فى مهدها متخيلا أن القضاء عليها لن يكون لمهمة صعبة .. ولذا فانه من جهة راح يغذى أعداء الثورة بالسلاح والمال والوعود البراقة .. وراح يعمل بطرق ملتوية على تفتيت الوحدة الوطنية .. ومن جهة أخرى أخذ يمنى الإمام المخلوع بالعودة السريعة .

كان الاستعمار الذى يرتدى ثوب الرجعية يريد تطويق الثورة

وحصارها فى مكان واحـــد ثم ضربها حتى لا تنتشر داخل الجزيرة العربية وتهدد الانظمة الرجعيه واحداً اثر الآخر .

الا أن محاولات الاستعمار فشلت ، ذلك لأن الثورة اليمنية عندما قامت .. قامت فى اطار الانتصارات التى حققتها الثورة العربية الشاملة .. ولأن القاهرة بادرت بالاستجابة لنداء الثورة اليمنية ايمانا بوحدة العمل الثورى على النطاق العربى وعملا بمبادىء القومية العربية التقدمية ، وحماية للأهداف العربية الكبيرة ، ولذا فقد عززت ثورة اليمن بقوة ضاربة من جيشها تحت راية اليمن وساندت الشعب اليمنى وقواته فى ردع العدوان الخارجى .. وبفضل التضحيات البطولية المشتركة المصرية واليمنية استطاعت الجمهورية اليمنية أن تطهر أراضيها — أخيرا — من عصابات المرتزقة .

ويقول عبد الناصر :

« .. لقد أثبتت قدرة اليمن أنه لم يعد فى أمكان أية قوة مهما كانت أن تعزل شعباً عربياً عن أمله المشروع فى توجيه حياته ، ولقد كان موقفنا منذ اللحظة الأولى ، هو تأييد ثورة الشعب اليمنى معنوياً وترك الشعب اليمنى لمسئولياته التى قرر

تحصلها . لكن الشعب اليمنى مالبث أن تعرض لكل القوى المعادية للثورة العربية ، التقدم العربى ، وهى الاستعمار والرجعية . وبعد الأيام الأولى لمفاجأة الثورة ، كانت الأرض اليمنية بدأت تتعرض لغارات من وراء الحدود اتخذت شكل الغزو الخارجى ، وقررت حكومة الثورة اليمنية أن تطلب معونة الجمهورية العربية المتحدة ولم يكن هناك مجال للتردد . إن السماح بضرب ثورة عربية بقوة السلاح الأجنبى ، كان سابقة خطيرة ، وإذا تركت بغير مراجعة ، فان كل الآمال العربية سوف تستباح وتنتهك . ولقد أدت القوات المصرية التى عملت فى اليمن دوراً وطنياً وقومياً وثورياً على أعلى درجة من الكفاءة والإخلاص .

* * *

وشجعت ثورة اليمن .. الثورات التحررية فى منطقة الخليج وأذنت شمس الاستعمار بالمغيب .. وكان على رأس هذه الثورات ثورة عدن .. وكان من الطبيعى أن تقدم القاهرة العون الكامل .. فان اليمن الجنوبية (عدن) .. واليمن الشمالية جزء واحد فى جسم

الأمة العربية .. وقد أعلن عبدالناصر عندما زار صنعاء لأول مرة أنه يعاهدالله على إخراج بريطانيامن آخر شبر من الأراضى العربية .

وكانت عدن تعتبر درة فى التاج بريطانيا فى المحيط الهندى وكانت قد استولت عليها عام ١٨٠٢ بموجب معاهدة مع سلطان لحج وافق بمقتضاها على فتح ميناء عدن لجميع البضائع التى تحملها السفن البريطانية .. وخلال القرن ١٩ أخذت بريطانيا تتوغل فى السلطنات والامارات حتى أخضعت المنطقة لنفوذها ووضعتها تحت حمايتها .. وفى عام ١٩٣٧ اصبحت عـدن مستعمرة بريطانية من أملاك التاج .. وفى عام ١٩٥٤ حاولت بريطانيا أن تضم عدن إلى اتحادها الذى صنعته .. وعندما أعلن هذا الاتحاد عام ١٩٥٩ أعادت الكرة الا أن الحركة الوطنية فى عدن ردتها على أعقابها .. واستمرت الثورة فى الجنوب اليمنى إلى أن خرج الانجليز وتحررت وأعلنت جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية .

ولكن لماذا تحدثنا عن عدن .. ؟

ولماذا ربطنا عدن بحرب اليمن .. ؟

ذلك لأن الشمال اليمنى والجنوب اليمنى يملكان جداراً واحداً يواجه حدودنا الجنوبية الشرقية .. وعدن مع باب المندب يعتبران عنق الزجاجة للبحر الأحمر إذ يمكن منهما التحكم فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر بعد قناة السويس التى تتحكم فى مدخله الشمالى .. ومن

أجل هذا طار صواب الاستعمار .. وجن جنون الرجعية .. كيف فعلها ناصر .. ؟

هل كان عبد الناصر نازيا ومستعمراً فى حرب اليمن . . ؟

يقول عبد الناصر :

« احنا أيدنا ثورة اليمن لأننا كنا ننصر الإنسان العربى فى اليمن على التخلف ، ننصر الإنسان العربى فى اليمن على الاستعمار . . ننصر الإنسان العربى فى اليمن من أجل أن ينتقل إلى الحضارة ويتقدم عشرة قرون مرة واحدة ، رحنا بدون أن نبغى شىء ، ما فيش فى اليمن حاجة أبداً نأخذها ، كل مناصرتنا لليمن أن إحنا بناصر العرب اليمنيين ، بناصر الثوار اليمنيين . . بناصر الدعوة لنقل اليمن المتأخر إلى اليمن المتحضر . . ونقل اليمن المعزول إلى يمن يعيش مع الأمة العربية ويتفاعل معها ، ويعمل معها . . من أجل هذا ناصرنا ثورة اليمن . . . »

إن عبد الناصر هو الذى بدأ يضرب بمعوله فى صرح الامبراطورية البريطانية . . هو أطفأ شمسها التى كانت لا تغيب . ومع ذلك فإنه حتى لم يستجب لطلب الوحدة . . لأنه كان يستجيب لطلب الحرية والتحرر .

« . . لقد رفضنا الوحدة السياسية مع اليمن طالما لنا قوات فى اليمن ، حتى يكون اليمن بعد خروج قواتنا وبعد استقراره ، حراً كل الحرية فى أن يقرر الوحدة اللى عاوزها . (٤) »

إن حرب اليمن لم تكن حرب الجيش المصرى . . إنما كانت معركة . . ليست معركة الشعب اليمنى ولا هى معركة شعب مصر . . بل معركة الأمة العربية ومعركة الشعب العربى . . ، فالميثاق الوطنى الذى صدر فى شهر مايو سنة ١٩٦٢ أشار إلى أنه على القوات المسلحة أن تؤيد الثورات التقدمية التى تقوم فى العالم العربى . . وبعد مؤامرة انفصال سوريا فى سبتمبر سنة ١٩٦١ والتى لعبت فيها الرجعية العربية والاستعمار الدور الأساسى بدأ الهجوم الرجعى بهدف القضاء على النظام الثورى فى مصر . . ووصل هذا المد الرجعى مداه فى مؤتمر شتورا بلبنان عام ١٩٦٢ حيث تكاتفت الرجعية العربية مدعمة من الاستعمار لنقل المعركة داخل الجمهورية العربية وأصبحنا نتلقى الطعنات من كل الجهات . . وجاءت ثورة اليمن ودعمتها القاهرة . . فانتقلت المعركة إلى معاقل الرجعية وقواعد الاستعمار فى الجزيرة العربية وأصبحنا فى موقف الهجوم ، نهدد الرجعية ونهدد الاستعمار فى قواعده ومناطق نفوذه . . وهكذا زال الخطر الواقع علينا وتمكنا من توسيع الجبهة أمام الاستعمار نشتت قواه ونضطره إلى سحب قواعده العسكرية من عدن والجنوب المحتل . . هذه القواعد التى استخدمها الاستعمار فى هجومه العدوانى علينا عام ١٩٥٦ . . إننا نرى أن دعم ثورة شعب اليمن هو دعم لحركة التحرر العربى كله ولحركة القومية العربية وتأكيد لدور الرسالة التاريخية التى

تحملها الشعب العربي بمصر على مر العصور والقرون ليحافظ على سلامة المنطقة العربية وتراثها ومقدماتها ،

« .. لقد تمكن الشعب المصرى نتيجة كفاحه الطويل أن يطرد الاستعمار من مصر وأن يحرر قناة السويس من سيطرته وأن يجعل المداخل الشمالية للبحر الأحمر تحت سيطرة القوى الثورية ، وتدعيمنا لثورة اليمن واجبار الاستعمار على التخلى عن قواعده فى عدن والجنوب سيحرر هذه المنـــاطق من النفوذ الاستعمارى ويجعل المداخل الجنوبية للبحر الأحمر تحت سيطرة القوى الثورية الممثلة فى ثورة اليمن .. وبذلك يصبح البحر الأحمر بحراً عربياً خالصاً لا أثر فيه لأى نفوذ استعمارى . كما أن ذلك يعتبر فى حد ذاته حماية لقناة السويس من أى تهديد يأتى من المداخل الجنوبية للبحر الأحمر . .(٥) ».

هذه هى أبعاد دعم ثورة اليمن بقوات مسلحة مصرية فى عام ١٩٦٢ .. ومن خلال هذه الأبعاد الحقيقية لهذه الحرب . التى خاضها الجيش المصرى لدعم الثورة اليمنية . . يكون السؤال :
أكانت حرباً استعمارية تستهدف ضم اليمن إلى مصر . . ؟ . .
أكانت غزواً لبلد عربى . . ؟ . . أكانت مشروعاً للاحتلال . . ؟ .

بالطبع كانت حرباً وطنية .. فهى حرب دفاع وتأمين ودعم للجدار الجنوبى الشرقى لحدودنا .

وهى حرب وطنية تستهدف تحرير شعب عربى شقيق . . وانتشاله من هاوية الرجعية والظلام والتخلف .

ونتيجة لهذه الحرب التى قامت سنة ١٩٦٢ كانت المداخل الجنوبية للبحر الأحمر فى يد مصر خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ . . وكانت سلاحاً فى يد القوة العربية ضد اسرائيل . . وكانت ورقة رابحة فى مفاوضات الانسحاب .

× ألا يساوى هـــذا ما بذل فى حرب اليمن من الرجال والعتاد . . ؟

× ألا يساوى اخراج شعب عربى من ظلمات العصور الوسطى إلى القرن العشرين . . ألا يساوى ما بذل . . ؟

× ألا يساوى أن يكون للشعب المصرى موقف . . ورأى . . وكلمة مسموعة فيما ينشأ فى المنطقة العربية . . وما يجرى فيها . . ألا يساوى هذا كل شىء . . ؟

أكان يمكن التغاضى عن كل هذا . . ؟

أكان يمكن أن نغمض أعيننا . . وننغلق على ذواتنا . . ثم نعض بنان الندم . . ؟

وكيف كان يمكن أن نغض الطـــرف عن ثورة تقوم

ولا نساندها . . ؟ . . كيف يمكن ونحن فى موقع القلب من الأمة العربية . . ؟

ان العالم لم يعد أجزاء منعزلة عن بعضها البعض .

لا يمكن اصطياد شعب واغتياله فى غابة كما كان يحدث فى الماضى . . ولا يمكن أن يقف شعب يتفرج على آخر والقوى الظالمة تسحقه .

لقد وقفت كل شعوب الأمة العربية معنا فى عدوان ١٩٥٦ . . بل ان الرأى العام العالمى لعب دوراً مؤثراً ضد العدوان .

وفى حرب ١٩٧٣ . كانت تشترك فى الحرب قوات من كل الدول العربية بلا استثناء . . فلماذا ننعزل . . ونتخلى عن الأشقاء والأصدقاء فى ساعات المحن والشدائد .

لـــماذا . . ؟

وأية خدمة عظمى نؤديها للاستعمار بهذا . . أية خدمة كنا سوف نؤديها للاستعمار إذا لزمنا الصمت . . وأنكرنا أنهم أشقاء لنا . . وأصدقاء . . وأننا نتكلم لغة واحـــدة . . وتاريخنا مشترك . . وتراثنا غير منفصل .

. . والآن . . وبعد أن مضت السنون . . ان هذا الجدار الجنوبى

الشرقى لحدودنا . . دولتان عظيمتان . . تقفان معنا . . لقد انزرع اسم مصر فى قلوب الجماهير اليمنية بالدم . . والروح .

من كان يستطيع أن يفلح فى هذه الأرض إلا مصر .

ومن كان يأخذ ويربح أيام الحصاد إلا الأمة العربية كلها . . ومصر . . من . . ؟

الحرب نوعان : حرب وطنية وحرب استعمارية .

وهم يقولون أن عبد الناصر قد تورط . . وأنه لم يستمع إلى النصائح التى كانت تدعوه للانسحاب من اليمن .

كيف تورط . . ؟

لقد أصدر عبد الناصر قرار ارسال قوات لمساعدة اليمن بمطلق الحرية والإرادة . . ولو أعيد الموقف الآن . . فان أى قائد سياسى . . شجاع . . لن يتردد فى إرسال قوات إلى هناك .

لكن حسن ابراهيم يقول حكاية أخرى . . حكاية تجعله . . وتجعل أصدقاءه الصامتين يستحقون شرف الموافقة على إرسال قوات مصرية لدعم ثورة اليمن . . فلنسمع ما يقول :

« . . التاريخ عبد الناصر لم يكن معتزماً

الاشتراك والتورط فى هذه الحرب .. انما أعطيت له معلومات خاطئة وقدمت لنا فى مجلس الرئاسة فوافقنا بالإجماع على تأييدها تأييداً رمزياً .. وكانت المعلومات الخاطئة هى :

× الملك البدر قتل .

× القبائل كلها تؤيد الثورة .

× السلال يسيطر تماماً على الموقف .

وأن المطلوب من مصر التأييد الرمزى العسكرى للثورة ولمنع قوات السعودية من التحرك لضرب الثورة .. ثم بعد ذلك تبين أن كل المعلومات كانت خطأ ..(٦) ».

لكن البغدادى لم يترك زملاءه يهنأون بالشرف الذى أسبغه عليهم زميلهم بقوله إنهم وافقوا فى مجلس الرئاسة على تأييد ثورة اليمن .. إذ يحكى رواية أخرى ص ٦٠ :

« .. كنا فى الاسكندرية فى صيف ١٩٦٢ وأبلغنا أنور السادات أنه علم من عبد الرحمن البيضانى – وكان لاجئاً سياسياً فى القاهرة ومن أبناء اليمن – أن الجيش فى اليمن سيقوم بثورة على حكم البدر فى خلال أيام .. ثم بدأنا نتابع أخبار قيام الثورة .. وتأجل قيامها عشرة أيام ثم قامت الثورة ..(٧) ».

ولا يرد ذكر لمجلس الرئاسة فى كلام البغدادى .. ويستطرد :

« وطلب البيضانى طائرة مصرية حربية للسفر إلى اليمن لاستطلاع الموقف .. وعرض السادات هذا الطلب على عبد الناصر ورفض عبد الناصر حتى لا يتردد أن لمصر يداً فى الثورة . . . . .
وجاءت المعلومات أن الثورة نجحت وقتل الإمام البدر وأن البيضانى يقترح إرسال مساندة حتى يقال فى التاريخ أن مصر ساهمت فى تحرير اليمن من حكم الأئمة . (٨) » .

ان البغدادى لا يكتفى بنفى رواية صديقه حسن ابراهيم .. بل يمعن فى تشويه معنى إرسال قوات إلى اليمن . . « حتى يقال فى التاريخ . . الخ . . . » . كأن ثورة اليمن لم تكن مهددة .. وكأن المرتزقة لم يقتحموا الحدود بالسلاح والعتاد والأموال لإجهاض الثورة . . والقضاء عليها . . ان السبب الرئيسى لإرسال قوات إلى اليمن هو : العدوان الخارجى عليها . . ولولا هذا ما كان هناك تهديد للثورة .. لأن أكثر القبائل اليمنية أيدت الثورة . . فى حينها .. وفيما بعد أيضاً .. ولا ينفى هذا أن عدداً من القبائل كان يحارب فى صفوف المنشقين الملكيين .. ولا ينفى أيضاً أن بعض القبائل قد تقاضت ثمن ولائها للإمام المخلوع مالا وعقاراً .

وهذه كلها تفاصيل .. لاقيمة لها الآن .. بعد أن أصبحت اليمن دولة حرة مستقلة .. وبعد ما أصبحت هاتان الدولتان تمثلان قوة ايجابية ونشطة فى البحر الأحمر .. قوة أثبتت وجودها فى حرب ١٩٧٣ .. وهذا أقرب مثل الينا الآن .. أرجو يكون الصامتون مازالوا يذكرونه .

ويقول كمال حسين أن حرب اليمن ضد الاسلام .. فهل حكم الإمامة كما كانت فى اليمن وارد فى الإسلام .. هل وارد فى الإسلام نظام الرهائن .. والقتل بالجملة .. واعتقال الابرياء .. وإغلاق البلاد .. واستعباد العباد .. هل وارد فى الإسلام التخلف بدلا من التقدم .. والظلام بدلا من النور .. والشر مكان الخير .

كيف يمكن أن يرضى الإسلام عن نظام كنظام الإمام أحمد الذى كان يسود أن اليمن .. ؟ لقد كان الإمام يتسلى قبل صلاة الجمعة بمشهد السياف وهو يجز رقاب المواطنين فى ساحه قصره .. « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً .. » (٩)

وفى الواقع أن كمال حسين له أفكاره الخاصة فى هذا الشأن.. فحرام على المصرى المسلم أن يقتل أخاه المسلم .. وفى الوقت نفسه حلال على أى مسلم يقتل المصرى المسلم .. لماذا .. ؟ .. لماذا

لم يكتب للذين سلحوا المرتزقة ورفعوا لهم .. وأمدوهم بكل شيء .. لماذا لم يكتب لهم . ويقول « لا يعقل أن يقتل المسلم أخاه .. » ؟ .

لقد كان كال الدين حسين أقرب الناس إلى جمال عبد الناصر وكان فى وقت من الأوقات يشغل أكثر من منصب سياسى سواء كوزير للتربية والتعليم أو الحكم المحلى ونقيبا للمعلمين أو رئيسا لمجلس الوزراء أو مشرفا على الاتحاد القومى .. الخ .. وبالرغم من ميزاته المختلفة الا أنه كان ينظر إلى الأمور نظرة من زاوية واحدة . ولا يقبل أى نقاش فى أى موضوع يخالف هذه النظرة تصل فى بعض الأحيـــــان إلى اتهام معارضيه فى الرأى بالكفر والالحاد . وهو هنا يقع فى الخطأ الذى وقع فيه الكثيرون باعتبارهم الاسلام نظرية ومنهجا لا يجوز التغيير والتبديل فيه ، بدلا من اعتبارهم الإسلام قيما ومبادىء عامة صالحة للتطبيق فى كل زمان ومكان ، ومن هنا يقع التناقض فى الرأى المنادى بهذا الاتجاه ، فمن المعروف أن أية نظرية أو منهج قابلان للتغيير وهذا لا يجوز أن ينطبق على الإسلام باعتباره رسالة سماوية ذات قيم ومبادىء ، تعنى أن الإسلام فيه روح النظرية لا النظرية نفسها وجوهر المنهج لا المنهج ذاته . وهذا يؤكد أصالة القرآن الكريم وإعجازه الذى قدم للإنسان مبادىء عامة استهدفت خير البشرية فى كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والفكرية ، وكان منزها

عن أن يكون مجرد مباحث نظرية فلسفية مجردة ، والمفكرون الإسلاميون قليل منهم من فطن إلى ذلك الجانب الاعجازى فى القرآن ، ومعظمهم التزموا بحرفية النصوص فجمدوا الفكر الإسلامى وبذلك وقفوا دون تطور المجتمعات الإسلاميه .

وكان الدين حسين — مثل كثيرين — التبست عليهم الأمور ولم يستطيعوا التفريق بين ما هو ايجابى و بين ماهو سلبى فى الفكر الإسلامى وكان يمثل فكرا مختلفا فى إطار ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ فنظرته إلى المجتمع أنه مجتمع الاغنياء ، والفقراء أى مجتمع الذين يملكون والذين لا يملكون ، وأن الغنى والفقر مسألة قدرية لادخل فيها للفكر والعقل الإنسانى . وبالرغم من هذا التناقض فهو يرى أنه لا توجد طبقية فى الإسلام ، وأن وظيفة الدولة هى تنظيم العلاقة بين الأغنياء والفقراء وحماية الذين يملكون من الذين لا يملكون ، وذلك بتنظيم عمليات الصدقة والإحسان بالنسبة للفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، وكأنه حينما يتكلم القرآن عن هؤلاء فمن المفروض أن يظلوا موجودين فى المجتمع إلى يوم الدين هذا لاشك قصور عن فهم القيم والمبادىء التى نادت بها رسالة الإسلام ، وعن العلاقة بين العقل الفعال الأعظم الذى وضع العموميات وبين العقل المنفعل أى العقل البشرى الذى يصوغ النظريات ويضع المناهج . والتى فى إطارها يكيف المسلمون نظمهم فى الحكم والسياسة وفق طبيعة العصر ومقتضياته .

وفى هذا الإطار الضيق والمفهوم المتخلف كان يتحرك كمال الدين حسين دون أن يعى الأبعاد الحقيقية لثورة يوليو سنة ١٩٥٢ بمفاهيمها السياسية والاجتماعية .. فليس بالحماس وحده تساس الأمور ، ولكن بالتفكير والمنطق العلمى السليم .. (١٠)

* * *

إن الشعوب لاتكتسب حيويتها وحركتها الديناميه من مجرد الوقوف على هامش التاريخ .

إننا لم نوجد فى هذه المنطقة من العالم لتحصيل الجمارك .. والتفرج على خيرات الدنيا .. ومعاركها .. وتقدمها من بعيد .. ، هل نستطيع أن ننظر إلى خريطة العالم نظرة بلاد لا ندرك بها مكاننا على هذه الخريطة ودورنا بحكم هذا المكان .. ؟ أيمكن أن نتجاهل أن هناك دائرة عربية تحيط بنا ، وأن هذه الدائرة منا ونحن منها امتزاج تاريخنا بتاريخها ، وارتبطت مصالحنا بمصالحها حقيقة وفعلا لا مجرد كلام . (١١)

* * *

الحرب نوعان : حرب وطنية وحرب استعمارية .. وفى عام ١٩٦٧ لايمكن القول بأنها حرب .. لأنها فى الحقيقة كانت

شكلا من أشكال الدفاع وضعنا أنفسنا فيه بمحض ارادتنا ونتيجة لحسابات سياسية وعسكرية غير دقيقة .

على أنها أيضاً وفى هذا الإطار لا يمكن عزلها عن الظروف الدولية .. فى شهر ابريل من عام ١٩٦٧ .. وقبل أن يقع الانقلاب العسكرى فى اليونان . وقبل حرب يونيو بشهر واحد نشرت هذه المجلة الأمريكية الوثيقة الصلة بالسلطات الأمريكية تقريراً عن منطقة الشرق الأوسط بعنوان مثلث الخطر وحددت رءوس أضلاعه فى طهران والقاهرة ومقديشيو .. وقالت المجلة انها تتوقع صدور تعليمات إلى قوة امريكية خاصة لتكون على أهبة الاستعداد للتدخل فى المنطقة فى وقت قريب .

لقد تلقى الاستعمار فى الفترة من ١٩٥٢ إلى سنة ١٩٦١ ضربات سريعة ومتلاحقة أصابته بالانكماش .. إلا أنه بدأ فى الستينيات يحاول القيام بنشاط غير عادى لاسترداد مواقعه التى فقدها . فبدأ بالهجوم .. وتتالت الانقلابات العسكرية .. فى اليونان .. فى أندونيسيا .. فى غانا .

وكان المعقل المصرى ما يزال صامداً وكان لا بد من جذبه إلى حلبة المصارعة واصطياده وضربه .

وقد هيء الرأى العام .. والقوات المسلحة ، لهذه الضربة

فيما سمي بالضربة الأولى .. وكان المبشر بها السيد هيكل نتيجة حضوره اجتماع عسكرى بالقيادة قبل أن عبد الناصر حضره واتفق فيه على عدم البدء بالهجوم .. حتى لا يغضب الرأى العام العالمي .. وأن نتلقى الضربة الأولى ونستوعبها ثم نرد ونكيل الصاع صاعين .

لكن هذه الحسابات كانت خطأ كما ثبت فيما بعد .

لأنهم .. الغرب وإسرائيل كانوا يعدون لهذه الضربة، وهناك أمثلة كثيرة منها أن عدداً من أصحاب شركات البترول والناقلات .. ومنهم أوناسيس أخلوا عدة مستودعات ضخمة فى موانى إيطاليا وجزر البحر المتوسط وملأوها بملايين الأطنان من البترول قبل الحرب بأسبوع واحد .. وعندما اندلعت الحرب وانقطع البترول كان فى يدهم ثروة .. ويقال أن أرباح أوناسيس من هذه العملية زادت على ٢٠ مليون جنيه إسترليني .

ومنذ أوائل شهر مايو سنة ١٩٦٧ كانت إسرائيل تتلقى شحنات من الأسلحة .. وأفواجا من المتطوعين .. الطيارين وغيرهم .

العملية كانت جاهزة للضربة .. إلا أننا نحن لم نكن جاهزين .. إن الحقيقة الكاملة ما زالت خافية .. ولا شك أنه عندما تذاع أسرار حرب ١٩٦٧ كاملة .. يمكن عندئذ تقييمها .. أما والأمر

الآن لا يتعدى مجرد مؤشرات . . فانه يجب العودة إلى التقسيم الأساسى للحروب . . ونتساءل : أهذه الحرب من جانبنا . . كانت حرباً استعمارية أم حرباً وطنية . . ؟ أكنا نستهدف استعماراً أم نستهدف تحريراً لاجزاء من أراضينا وثرواتنا . . ؟ أكنا نزيد قطعة من الأرض . . أم دفاعاً عن وجودنا وكياننا ؟

ونسأل من جديد : أكانت هذه الحرب لا مفر منها . ؟ .

أكانت ضرورية .

ونحن نقول : أن قادة أوروبا وأمريكا والاتحاد السوفيتى . . لم يسألوا أنفسهم عنـــدما فوجئوا بالجيوش النازية تقتحم تشيكوسلوفاكيا وتلتهم بولاندا . . لم يسأل العالم ، الحر ، نفسه إن كانت هذه الحرب ضرورية أم لا . . لكنه دفع بقواته وبموارده وثرواته وبخيرة شبابه فى غمارها دفاعاً عن الحرية . وحتى لا ينتهك استقلال الدول الصغيرة ويعتدى عليها فيما بعد .

إن السؤال الذى يبحثونه فى لجنة التاريخ الآن هو : من الذى أصدر قرار حرب ١٩٦٧ ؟

مع أنهم أول من يعلم أنه لا يوجد قرار بالحرب . . بل قرار بالدفاع وقرار بالانسحاب وهناك خلافات كثيرة حول القرار السياسى والقرار العسكرى . . وحول الكفاءة وانعدام الكفاءة

العسكرية . وحول الكادر العسكرى الذى كان فى الجيش . . وحول القيادة العليا للجيش . . ونحن ما زلنا نقول ونؤكد أن أسرار ١٩٦٧ لم تكشف بعد . . وأن لعدوان ١٩٦٧ أبعاداً دولية . . وأن الامبريالية لعبت دوراً هاماً فيها . . وأن الباخرة ليبرتى التى كانت تتجسس لم تكن هى الشىء الوحيد الذى قدمته الولايات المتحدة لإسرائيل . . وأن التأييد السياسى لم يكن هو السند الوحيد لإسرائيل . . وأن السلاح المتقدم والكثيف ليس هو كل شىء . . هناك أسرار لم تكشف بعد .

ولكننا نتجاوز كل هذا .

نحن نتجاوز الأسباب والتفاصيل

ونتجاوز المؤمرات المسلم بوجودها .

ونتجاوز المستفيد والذى استفاد من حرب ١٩٦٧ .

لكننا لانستطيع أن نتجاوز أن التهديد لبلادنا تصاعد لدرجة العدوان .. وكان لابد من الدفاع .. وأن عملية الدفاع كانت معركة . . وقد هزمنا فى هذه المعركة .

ان دخول مصر معركة يونيو سنة ١٩٦٧ لم يكن مفاجأة للصامتين الثلاثة .. لقد كانوا يعلمون بكل شىء .. كانو يعلمون بحالة الجيش . . بل انهم كانوا فى السلطة إلى ماقبل العدوان بقليل . .

وكانوا ينادون بالدخول فى جولة مع اسرائيل وتنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك مع سوريا .

لقد قال البغدادى وحسن ابراهيم فى رسالة إلى جمال عبد الناصر مؤرخة فى ١٧ مايو سنة ١٩٦٧ :

« نحن نحب أن نؤكد أننا نؤيد ونقف وراء كل قرار يتخذ ويكون الغرض منه التصدى لإسرائيل ومنعها من الاعتداء أو التوسع على حساب أى دولة عربية بصرف النظر عن طبيعة النظام السياسى والاجتماعى فى تلك الدولة ومدى موافقتنا أو معارضتنا لهذه الأنظمة .»(١٢)

ويحلل الصامتان فى رسالتهما إلى عبد الناصر الاستنتاجات الظاهرة من وراء الحشد الإسرائيلى . . ويتساءلان عن الدافع وراء ذلك . . « أهى مظاهرة عسكرية من اسرائيل تلفت أنظار العالم وتأزيم الموقف لحل مشكلة المنطقة المنزوعة السلاح . . ؟ . . هل تستعد لمعركة مع سوريا . . هل . . . . هل الدافع لإسرائيل معرفة رد الفعل عندنا ، وهل نحن على استعداد لتحقيق ما أعلناه عن تنفيذ اتفاقية الدفاع المشترك مع

سوريا أم أننا لسنا على استعداد . . ؟ . . هل الغرض من الحشود الإسرائيلية يكمن فى معركة اليمن ، والقصد هو تثبيت قوات لنا فى سيناء حتى لا يمكن مساندة قواتنا فى اليمن عندما يتطلب الأمر ذلك . .(١٣) ».

ويقرران صراحة أن الاستعمار وراء كل هذا :

« . . الذى لا شك فيه هو أن الاستعمار وراء هذه العملية أيضاً ، فهو يعمل بكل قواه فى الوقت الحاضر مدافعاً عن كيانه فى منطقة الشرق الأوسط ، وهو فى سبيل ذلك يسعى إلى عزل الجمهورية العربية المتحدة ، عن باقى شقيقاتها العربيات وفى الوقت نفسه يسعى إلى استنزاف مواردنا الاقتصادية . . ولعزل الجمهورية العربية المتحدة عن غيرها من المنطقة يتخذ إجراءات أهمها :

١ — ايجاد جو من الخوف من حركة التحول التقدمى الذى تتحوله الجمهورية والتهديد بأن هذا التحول يقضى على مصالح الحاكمين فى هذه الدول .

٢ – ايجاد جو من التشكك فيما حققته الجمهورية من تقدم اقتصادى لمصلحة المجتمع حتى لا يطالب بمثله الآخرون .

٣ – تحطيم هيبة الجمهورية العربية بإيجاد جو من عدم الثقة فى تصريحاتها عن قدرتها على الدفاع عن الدول العربية إذا اعتدت عليها اسرائيل أو غيرها من الدول .

٤ – تحطيم كل ما يدعو إلى الوحدة العربية الحقيقية . .(١٤)

ويستطردان فى التحليل :

« لاستنزاف مواردنا الاقتصادية يتخذ الاستعمار الخطوات الآتية . . . .

« المهم هو أن مصالح الاستعمار تلتقى دائماً مع مصالح ربيبته والمهم أيضاً أن نكون على أتم استعداد لنقضى على كل ما يقومون به من مناورات أو تحركات وملافاة أى خطوات تتخذ منهما . .(١٥) »

ولا يكتفى حسن ابراهيم من جانبه بما أرسله مع زميله

البغدادى إلى عبد الناصر . . انما ينفرد بكتابة رسالة أخرى إلى عبد الناصر فى أول يونيو سنة ١٩٦٧ .

ويقول حسن ابراهيم فى هذه الرسالة :

« أعتقد أن المخطط الأمريكى الإسرائيلى يمكن تلخيصه فى النقط الآتية :

١ - عدم دخول أمريكا بجنودها وقواتها مباشرة ضدنا حتى لا تفقد البقية الباقية لها من علاقة فى الشرق الأوسط وتصبح عدوا لكل الشعوب العربية ، وكان الملحوظة الذكية بوضع القوات العربية المشتركة فى شرم الشيخ أكبر الأثر فى تراجع أمريكا عن مهاجمة تلك المنطقة عسكرياً حتى لا تصبح فى معركة مع الدول المشتركة فى الدفاع عنها .

٢ - كسب الوقت لتجهيز اسرائيل وتأهيلها عسكرياً خلال بضعة أشهر حتى تستطيع أن تدخل الحرب منفردة بعمل سريع ومباغت تحتل به جزءاً من الأراضى العربية .

٣ – تتدخل الهيئات الدولية سريعاً بقيادة أمريكا لإيقاف القتال قبل أن نستطيع رد الجزء الذى فقد منا ويكون أسطول امريكا مدعماً ببعض قطع بحرية لبعض الدول البحرية الكبرى جاهزاً للتدخل بادعاء تنفيذ أمر إيقاف القتال وضمناً يتدخل هذا الأسطول لفتح خليج العقبة .

٤ – المساومة . . وتبدأ ويكون من نتيجتها فتح خليج العقبة بشكل أو بآخر مقابل إرجاع الجزء الذى استولى عليه الصهاينة ..(١٦) ،

ويدلل حسن ابراهيم بذكاء على حقيقة هذا المخطط :

- تدعيم اسرائيل عسكرياً وتأهيلها للمعركة .
- سيل الأسلحة وقطع الغيار الذى ينهال عليها .
- أفواج المتطوعين التى غادرت أمريكا وتجمعت فى كندا .
- وزارة الحرب فى اسرائيل .
- كسب الوقت .

وينصح حسن ابراهيم عبد الناصر بدخول المعركة ويقول له بالحرف الواحد :

« وعدم دخول معركة حاسمة وشاملة ضد اسرائيل سيترتب عليه صدمة فادحة وخيبة أمل كبيرة لا يمكن أن يعوضها أية مكاسب اقليمية مهما كانت . .(١٧) »

نعم . . حرب ١٩٦٧ لم تكن مفاجأة للصامتين الثلاثة . . فالكل كان متفقاً على أنه لابد من دخول معركة حاسمة . . إلا أن هذه المعركة قد انتهت بالهزيمة . . وكان حجم الهزيمة أكبر لأن إدارة العمليات على أرض المعركة كانت مهزلة .

ونحن الآن لا نبحث عن المسئول والمسئولين . . فكلنا مسئول عما وقع فى سنة ١٩٦٧ ، وكلنا شاركنا فيه بطريقة أو بأخرى . . وعبد الناصر نفسه أعلن بلا مواربة « إننى على استعداد لتحمل المسئولية كلها . (١٨) »

لقد كان حجم الهزيمة ضخماً . . ولكن مصر لم تركع . . لم تستسلم . . واستطاعت أن تستوعب الهزيمة . . واستطاعت

أن تقف على قدميها . . وبدأت تواصل الحياة وتغسل آثار الهزيمة .

وتبقى الحقيقة واضحة . . وهى أن ما حدث فى يونيو سنة ١٩٦٧ كان لا مفر منه .. هناك بالطبع مسئولية وإدانة .. واتهامات . . وهـــذه أمور طبيعية ولابد أن تأخذ مجراها . . بعنف وقسوة .

عبد الناصر كان يجب أن يدافع .

كان على مصر أن تواجه .

قد نختلف فى أسلوب المواجهة .. وفى تفاصيل هذه المواجهة . . وقد نختلف أو نتفق فى العناصر التى تتولى قيادة المواجهة . . وقد نرى كما يرى آخرون أن هزيمة ١٩٦٧ كانت الفرصة الذهبية لتغسل الثورة أخطاءها . . وتصحح مسارها .. وترتبط بحلفائها الطبيعيين . . وتتخلص من النفايات التى سيطرت على الحياة السياسية والعسكرية التى تخصصت فى إهدار قيم الثورة .. ولوثت مثلها العليا . . واستباحت شرفها . . . ، وقد نتفق أو نختلف فى الرؤية . . قد نرى أن حركة المد الاستعمارى وأمواجها العاتية كانت تتجه نحونا . . لتغرق سفينتنا . . وقد نرى أن عدداً من

البحارة داخل السفينة كانت تجرى فى عروقهم دماء القرصنة فساعد على إغراق السفينة لينهب ما فيها ويستولى على كل ما يريد فى زحمة الغرق . . ومحاولات الإنقاذ .

قد نرى أشياء ونتفق أو نختلف فيها . . لكن الذى لا شك فيه أننا نتفق على أنه لم يكن بوسعنا أن نقف مكتوفى الأيدى . . وليس هذا بدعاً . . أو خرقاً للمألوف . . وليس معنى أن جاءت الرياح بما لا تشتهى السفن أن السماء أطبقت على الأرض ولا مفر من الموت تحت الأنقاض .

فى كل ثورة معارك وحروب . . وهزائم وانتصارات . . وهذا لا يلغى الثورة . . ولا يجعلها ترتد وتلغى كل ما فات . . وتشطب على كل ما أنجز .

لقد قامت الثورة فى فرنسا ورفعت راية الحرية والإخاء والمساواة . . وبعد أقل من عشرين عاماً انتهت بهزيمة فرنسا . . ودخلت باريس الجيوش الأوروبية لتفرض الاستسلام . . ومع ذلك فقد ظلت مبادىء الثورة الفرنسية قائمة . . ورايانها مرفوعة .

ولم يكن مطلوباً بالطبع أن نهزم لتبقى مبادىء الثورة . . لم

يكن أحد يريد الهزيمة . . لا يوجد مصرى أو عربى يريد هزيمة مصر . . أو يتمنى هزيمة مصر . . أو يرغب فى أن تركع مصر .

الذى كان يريد الهزيمة . . هناك . . فى واشنطن . . وتل أبيب . . وفى قصور بعض العواصم العربية .

على كل ، لقد وقعت الهزيمة ولم نستسلم . . لقد استوعب الشعب الهزيمة . وبإرادة حديدية استرد أنفاسه واستصرخ قوته وبدأ من جديد .

هوامش الفصل السادس:

(١) جمال عبد الناصر — خطاب ١٩٦٤/٥/١

(٢) د. محمد أنيس، د. رجب حراز ثورة ٢٣ يوليو وأصولها التاريخية — القاهرة

(٣) جمال عبد الناصر — خطاب ١١/٢٥ ١٩٦٥

(٤) جمال عبد الناصر — خطاب ١٩٦٤/٥/١

(٥) كمال رفعت — في مؤتمر المبعوثين الذى حضره عبد الناصر — أغسطس ١٩٦٦.

(٦) الصامتون يتكلمون ص ٥٩.

(٧) المصدر السابق ص ٦٠.

(٨) المصدر السابق ص ٦١.

(٩) قرآن كريم - سورة المائدة: ٣٢

(١٠) كمال رفعت — مذكرات خاصة عن ثورة يوليو.

(١١) جمال عبد الناصر — فلسفة الثورة — الجزء الثالث.

(١٢) الصامتون يتكلمون — ص ١٠٥

(١٣) المصدر السابق — ١٠٦

(١٤) المصدر السابق — ص ١٠٧ .

(١٥) المصدر السابق — ص ١٠٨ .

(١٦) المصدر السابق — ص ١٠٩ .

(١٧) المصدر السابق — ص ١١١ .

(١٨) جمال عبد الناصر — بيان ١٩٦٧/٦/٩ .

٧

الثورة باقية .. تزدهر كل يوم ..

نحن ما زلنا عند وجهة نظرنا التي أوضحناها في البداية .. وفي الصفحات السابقة .. وهي أننا عند ما نتعرض لما قاله الصامتون الثلاثة .. فنحن ننطلق من موقع الحرص على ثورة يوليو .. ونحن نرى — أيضاً — أن الثورة لا يمكن أن تدان بكلام يقوله عدد من الذين كانوا في السلطة ثم عند ما غابت عنهم شمسها انطلقوا يهيلون على وجهها التراب . تحت وهم أن الثورة قد انحسرت .. ورإياتها قد سقطت .. ومبادئها تهشمت على أرصفة المواني التي تستقبل سفن الغرب .

ولكنهم مخطئون تماماً .

الثورة باقية .. صامدة .. قوية .. حية .. خصبة .. تزدهر كل يوم في عيون الشباب .. وفي أفكارهم .. وتمتلىء قلوب الرجال بعزتها وكرامتها وإبائها وشرفها .. فهي الثورة التي لم تخن .. ولم تناور .. وواجهت كل القوى .. وانتصرت وانهزمت .. ودخلت معارك .. وحاربت .. وتقدمت .. وفي كل خطوة كانت تكتسب تجربة جديدة تغنيها وتثريها .. وتدفعها إلى الأمام

وإذا كان الصامتون قد خاضوا في الكثير من الموضوعات ..

و تلهف ألسنتهم عن نهش الأصدقاء . . فنحن لن نتردى فيما تردوا فيه .

لن نقول لماذا فرضت الحراسة على سعد البغدادى شقيق عبد اللطيف البغدادى . . فهذا ما تعرفه الهيئات القضائية . . والرقابة الإدارية . . والأجهزة التى تكافح التهريب . . والفساد .

انه من السهل علينا أن نأتى بالملفات ونفتحها لتشهد وتنطق وتقول بالأسباب التى من أجلها فرضت الحراسة على شقيق السيد عبد اللطيف البغدادى .

لن نقول شيئاً عن التعبيرات التى ارتسمت على وجوههم وهم فى القيادة العامة يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ .

ان محمود الجيار يقول : عندما فتح الرئيس جمال عبد الناصر باب المشير عامر يوم ٨ يونيو سنة ١٩٦٧ . . رأى مع المشير فى الداخل كمال حسين وعبد اللطيف بغدادى . . وتعبيرات وجوههم غير مريحة . . (١) »

نحن لن نقول هذا .

ولن نتردى فيما أكثر منه . . ولن نناقش شيئاً من هذا .

كذلك نحن لن ننساق إلى تجريح ما قاله الصامت الثانى كمال الدين

حسين والذى ينضح كراهية وحقداً على جمال عبد الناصر قائد ثورة يوليو .

نحن لا نريد أن نقول له لماذا حددت اقامته فى فيلا بالهرم . . ليس فى سجن . . أو معتقل بل فى فيلا . . فهو يعرف .

وهو يعرف أيضاً أنه كان مع الميثاق سنة ١٩٦٢ وأيده كلمة كلمة . . . ثم سار على سياسة احتضان الميثاق بما يسمى تقرير الميثاق لتطويقه وتفريغه من مضمونه الثورى التقدمى . . بل هو الذى صرح فى ٥ يونيو سنة ١٩٦٢ فى مؤتمر القوى الشعبية ان الشعب هو صاحب الميثاق وهو قادر على تنفيذه . . والشعب هو الذى يضمن تنفيذ الميثاق ويراقب كل القيادات .

ولكن بعد أن انحسرت السلطة عنه . . تحول الميثاق إلى « بعبع » . . وأصبح مادة لهجومه وهجوم حوارييه .

نحن لا نريد أن نقول أنه من الناس الذين وصفهم القرآن بأنهم « فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضاً » . . فبينما كان يؤيد الميثاق . . ويعلن تأييده له . . كان ضده .

ما هذه السلطة السحرية التى تجعل الإنسان يعلن غير ما يبطن .

ففى ابريل من عام ١٩٦٢ . . وبالضبط يوم ٢٨ ابريل سنة

١٩٦٢ . . كان كمال رفعت يقف على رأس سرادق مقام بجانب مسجد عمر مكرم لاستقبال المعزين فى وفاة والدته . . وجاء كمال الدين حسين . . وجلس بجانبه . . وجاء عبد الناصر عزاه ثم جلس فى الناحية الأخرى .

ومال عبد الناصر على أذن كمال رفعت وقال له :

مش بعد بكره أول مايو ؟

وقال كمال رفعت : أيوه .

قال عبد الناصر : عايزين نحتفل بيه .

وقال كمال رفعت : حاضر .

وتحرك كمال رفعت على الفور . . واتصل بخالد فوزى وكان له نشاط كبير فى أوساط العمال .. وكان فى السرادق .. فناداه : خالد ، عايزين نحتفل بأول مايو .

وقال خالد : حاضر .

وقال كمال رفعت : هذا أول احتفال تعمله مصر لعيد أول مايو . . ولم نخطر أحداً بعد . . حتى العمال لا يعلمون حتى الآن . . لازم يعرفوا . . ولازم يحضروا .

إن عيد العمال يحتفل به فى جميع أنحاء العالم .. الدول الاشتراكية والدول الرأسمالية .

وفى ليلة أول مايو .. كان السرادق مقاماً فى ميدان الجمهورية للاحتفال بعيد العمال .. وعما قليل سيحضر جمال عبد الناصر .. ولكن العمال لم يكونوا فى السرادق .

وبدأ كمال رفعت يستقصى الأمر فاكتشف أن كمال الدين حسين بصفة سكرتيراً عاماً للاتحاد القومى — وقتذاك — اتصل بالعمال وحذرهم من الحضور لأن هذا العيد .. عيد أول مايو هو عيد روسى صنعه الشيوعيون الملحدون .. وليس من المعقول أن تحتفل مصر بأعياد الشيوعيين والملحدين .

وصور كمال الدين حسين الأمر للعمال بأنه صراع بين الإسلام والإلحاد .

ولم يكن يستطيع العمال أن يغامروا بالحضور .. إذ معنى أن يصدر مثل هذا التحذير من سكرتير الاتحاد القومى .. معناه أن من يخالفه سيلقى مصير الشيوعيين .. ويومها كان الشيوعيون فى السجون والمعتقلات .

على أننى عرفت أن هذا ليس السبب الوحيد الذى دفع بكمال الدين حسين إلى تحذير العمال من الحضور فى عيد أول مايو ..

فى مناقشة لى مع كمال رفعت – تبينت أن هناك سبباً آخر . . وأن هذين السببين قد دفعا بكمال الدين حسين إلى هذا المسلك . . السبب الثانى هو أن جمال عبد الناصر قد خص كمال رفعت بهذا التكليف دونه . . . ! !

على أن كمال الدين لا ينفرد وحده بهذا اللون من التفكير . . بل يشاركه فيه الصامتون الثلاثة ، وكل على قدر اجتهاده .

فى عرض أحداث يومى ٩ و ١٠ يونيو ١٩٦٧ تتضح الكلمات بما يعتمل فى نفوس هؤلاء السادة .

يصف حسن إبراهيم يومى ٩ و ١٠ يونيو بأنها « كانت مسرحية »(٢) . . ويوافقه بغدادى وكمال حسين على هـــذا الوصف .

ولم يفسر الصامتون الثلاثة ما يعنونه بكلمه « مسرحية » . . أيعنون أن الشعب المصرى كله . . والشعب العربى كله كان متفرجاً . . وكان عبد الناصر هو الذى يلعب الدور الوحيد على المسرح . . والكل يصفق له لأنه لا يستطيع إلا التصفيق ؟ !

إذا كان الأمر كذلك . . وإذا كان هذا هو ما يعنونه . . فمعنى هذا أن عبد الناصر هو أحسن وأقدر وأنبغ ممثل فى العالم .

للحقيقة والتاريخ لم يكن أعظم ممثل فى العالم . . ، فقد كان لسوء

الحظ محروماً من هذه الموهبة التي يتمتع بها كثير من الناس وخاصة السادة الذين تكلموا بعد صمت .

الشيء الوحيد الذى أفلح فيه من ناحية هذه الموهبة .. هو المداراة .. بالتعبير الدارج أن يدارى المرء ما به .. أى أن يخفيه عن الناس . وكان عبد الناصر أستاذاً فى هذه الموهبة .. كان يبتسم .. والألم يمزق قلبه ، .. ويتظاهر بالصحة .. والحيوية والنشاط .. والمرض يعتصر كل قواه .

كان الموت يترصده فى كل ركن .. ، فى كل حركة ، .. وكانت هناك أجهزة فى بلاد متقدمة تريد أن تدفع ثمن نقله إلى الآخرة بأى ثمن .. أى ثمن .. وكم من مؤامرة حيكت لقتله .. وكم من ملايين الدولارات دفعت للتخلص منه .

وعندما وضعت بقايا جماعة الإخوان المسلمين خطة لقلب نظام الحكم واغتياله فى موجة من التهديد والتخريب سنة ١٩٦٥ .. وكان أحد الصامتين يحرق البخور لأسياد هذه المؤامرة .. ولأفكار هذه الجماعة المتعصبة .. رفض أن يرتدى بدلة لا يخترقها الرصاص .. وأبى أن يركب عربة مصفحة وهو عائد من رحلة الاتحاد السوفيتى .. وسار من مطار القاهرة وسط الآلاف المؤلفة من الجماهير التى تهتف به .. وتحيط به .. وتتعلق بثيابه ..

ورجال الأمن يضربون كفاً بكف .. ، يسيطر عليهم ذعر مبعثه أن جيوب المؤامرة لم تتطهر بعد .. ومن السهل أن تخرج فوهة بندقية وتفرغ ما فى جعبتها من رصاص فى صدر الزعيم .

ولكن ناصر العظيم كان يعرف طبيعة هذا الشعب .. فالحقد يموت بين الجماهير .. ، والإرهاب ينهار وسط الأمواج الكاسحة من الكتل الشعبية .. ولذا فانه فى هذا اليوم من عام ١٩٦٥ كان عائداً من رحلته .. مجتازاً المطار .. سائراً أكثر من كيلو مترين على قدميه .. هو يتحدى الإرهاب .. ويواجه الحقد .. ويدوس الكراهية التى تنفث السم .

لا . لم يكن عبد الناصر للاسف يملك موهبة التمثيل والا لعاش مئات السنين .. وصافح مختلف الأيدى التى امتدت اليه ، رهش وبش فى الوجوه الكالحة ذات الأسنان الء فراء .

لكنه للاسف كان خالياً من موهبة التمثيل .

أما مهم.. فقد كانوا أساتذة .. وهذا لا يعيبهم على الاطلاق .. لأنه ينسجم مع طبيعتهم .

أجادوا تمثيل دورهم . فى حياة عبدالناصر قاموا بدور الثوار فى ثورة يوليو .. ودور المتحمسين فى أزمة مارس .. ودور المناضلين فى عدوان ١٩٥٦ .. ودور المشجعين فى وحدة ١٩٥٨ ..

ثم لعبوا دور المحرضين على ضرب سوريا لضمها إلى حظيرة الوحدة بالقوة المسلحة .. ثم كانت النهاية فى مجلس الرئاسة حيث أسدل الستار نهائيا على مسرحيتهم بعد أن أصابوا النظارة بالملل والسآمة .

لقد حاول أحد الذين تربوا فى كنف عبد الناصر .. أن يكتب سطراً يوم ٩ يونيو سنة ١٩٦٧ .. كان قد عرف أن عبد الناصر سيتنحى .. ويضع نفسه تحت تصرف من يتولى القيادة من بعده بعد أن حمل نفسه المسئولية كاملة .

كان على صبرى يظن أن الوقت قد حان ليقضى على الثورة هو وأشباهه .. كان يظن أنها غنيمة .. أو عزبة .. أو رزمة من الأوراق المالية يضعها فى جيبه .. وكانت قد بدأت صلته بالثورة منذ أيامها الأولى .. وأرسلته القيادة ليبلغ الأمريكان والإنجليز بأن الثورة مسأله داخلية بحتة .. وقام بمهمته خير قيام .. ثم اختاره عبد الناصر مديراً لمكتبه .. واستطاع على صبرى أن يتقن البيروقراطية وينشىء لهـا معبداً هو إلهه الوحيد . وألف للبيروقراطية طقوساً . وكهانة .. وكان مكتبه يعج بالموظفين وبالديكورات .. ويمتلىء بأطنان من الأوراق .. كأنه سوف يغير العالم كله .. وكان يقف ببابه عدد لا يحصى من الحراس والسعاة والخدم .. وكانت فضيلة الوحيدة أن ينفذ الأوامر التى

تصله من فوق بكل دقة وبكل حزم .. فاذا قال له عبد الناصر اذهب إلى بلاد الواق الواق . . ولا توجد على خريطة العالم بلاد الواق الواق فانه يزور خريطة ويضع عليها اسم هذه البلاد ثم يذهب اليها أويتوهم أنه وصل اليها .. ثم يكتب حكاية لا أصل لها . ويصف مراسيم الاستقبال التى كانت تنتظره هناك .. ويركب طائرة لاوجود لها ويعود إلى مكتبه ويسهر خمس ليال ليملى نقاط تقرير يكتبه أحد أعضاء منظمة الشباب ثم يتلوه عليه .. فيضيف عليه بالقلم الأحمر عدة ملاحظات .. ثم يرفعه إلى الرئيس ناصر .. ويكتشف الرئيس ناصر أن هذا الرجل ذكى .. وينفذ أوامر لاوجود لها .. ومن الممكن إصلاحه بقليل من الصبر والجلد.

وبمرور الوقت يصبح مدير المكتب وزيراً .. ثم رئيساً للوزراء .. ويتلقى عبد الناصر عشرات الشكاوى من الوزراء ضد رئيس الوزراء الذى ينسى نفسه فى بعض الاحيان ويتصرف كرئيس للجمهورية .. فكان عبد الناصر يستدعيه ويقف أمام الوزراء ويقول لهم أمامه : إنه مدير مكتبى .

وقد ظن عبد الناصر أن مدير مكتبه .. أوالباشكاتب إذا تولى الاتحاد الاشتراكى فانه يستطيع أن ينظمه .. ويرتب أوضاعه بحيث يكون جاهزاً للعمل السياسى .. وذلك فى الفترة التى كان الرئيس

ناصر قد قرر فيها التفرغ للعمل السياسي في الاتحاد الاشتراكي وخصص له الدور ١٢ في الاتحاد الاشتراكي القائم على كورنيش النيل.

ولكن على صبري حول الاتحاد الاشتراكي إلى معبد آخر أكثر بيروقراطيه وكهانة من مكتبه التنفيذي .. وجمع حوله شلة انتهازية .. تنظر إلى المناصب بطمع وجشع .. ولذا كانت تعاونه وتساعده على بناء الإشتراكية بالكلام .. وتنظيم الجماهير بالبيروقراطية، واجتماعات الجماهير بالسياط .. وانتزاع موافقتها بالإرهاب .. وتحول البشكاتب إلى بشكاتب كبير .. وأحاط نفسه بعدد من الباشكواتب الصغار الذين كانوا ينفرون من الكوادر الاشتراكية ويضرون أي اتجاه يظهر منه تطبيق حقيقي لنصوص الميثاق وخطوات صادقة للسير في طريق الاشتراكية.

وكان عبد الناصر على رأس الدولة .. دولة تواجه المشاكل .. كدولة نامية .. وتخوض المعارك .. وكان لابد أن يتحمل عدد من الافراد المسئولية ولابد أن ينطلقوا لاثراء التجارب في كل الاتجاهات ..

ولكن على صبري كان في هذا الوقت يعمل لنفسه .. تحرر نهائيا من إطار مدير المكتب والباشكاتب .. وظن نفسه ..

أنه فوق .. ولأن الناس كانت تنظر اليه باعتباره كان مديراً لمكتب عبد الناصر .. وأن عبد الناصر هو الذى اختاره فان الجماهير تستمع اليه .. وتصغى .. وتصفق أحيانا .. وقد استحسن على صبرى حكاية التصفيق هذه وأدرك الحواريون أن عليهم مهمة ابقاء الناس فى حالة تصفيق حاد .. وهكذا اختلط الحابل بالنابل . وانتشرت عدوى المرض .. مرض الشعارات البراقة .. والتنظير الذى لا فائدة منه ولا طائل .. بينما كان عبد الناصر يقول :

« الإشتراكية هى منع الاستغلال » .

ببساطة ولا تعقيدات ولا فلسفة .

ووجد على صبرى حوله الكثير من الذين لديهم الاستعداد للتصفيق .. هؤلاء الذين يضعون أعينهم على المناصب .. والمراكز والذين يبيعون أى شىء فى سبيل المنصب والجاه .. وانخرط فى هذا العقد عدد من الماركسيين الذين ظنوا أنهم يستطيعون الحصول على شىء من وراء تأييده والسير معه .. وفى الحركة الماركسية المصرية كثير من هذه النماذج التافهة التى باعت .. وتبيع .. ومستعدة دائماً لأن تبيع نفسها فى أى وقت وأى مكان .. وأى زمان .. ولكل عهد .. ولكل عصر .

ووسط كل هذا الخلط .. وقعت الهزيمة .. وقرر ناصر أن

يتنحى . . وتحت تأثير الوهم ظن كل صاحب موقع أنه أولى بالزعامة فى هذا الظرف . . ظن الصامتون أنهم أولى بالزعامة . . وظن المشير عامر أنه أولى بالزعامة . . وظن على صبرى أنه أولى بالزعامة .

وهكذا كتب على صبرى سطراً يوم ٩ يونيو . . وهذا السطر كان مقتله .

كانت الفرصة قد أصبحت مواتية تماماً . . فرصة التخلص من ناصر . . الرجعية تكرهه . . الامبريالية تدفع لقتله . . اسرائيل تحارب للقضاء عليه .

الجماهير فقط هى التى معه . . فقضيته هى قضيتهم . . طريقهم هو طريقه . . أملهم أمله . . أغلى أمانيهم هى نفسها أغلى أمانيه .

وكان يريد الحكم من أجلهم . . السلطة من أجلهم . . الثورة من أجلهم . . الاشتراكية من أجلهم .

لكن أعداء الجماهير كانوا يريدون التخلص من ناصر .

الطبقات القديمة . . الأنظمة العفنة ، الصامتون خارج الحكم مثل البغدادى وكمال حسين وحسن ابراهيم . . والصامتون داخل الحكم مثل على صبرى ومجموعته .

وهكذا انطلقت مظاهرة هزيلة مساء يوم ٩ يونيو فى الجيزة تهتف :

لا زكريا ولا رجعيـــة
على صبرى رئيس الجمهورية(٣)

وتجرأ عدد من منظمى هذه المظاهرة على إنزال صورة عبد الناصر من مقار الاتحاد الاشتراكى بالجيزة . . ولكن الجماهير فى الخارج كانت تجأر مطالبة ببقاء ناصر . . الجماهير العربية كلها فى العالم العربى تصرخ . . وتتظاهر . . ويغمى عليها فى الشوارع . . وتطالب ببقاء ناصر .

ويصف محمود الجيار سكرتير عبد الناصر . . أن على صبرى والذين آزروه فى هذه المؤامرة الرخيصة انما « يضمرون احتقاراً أصيلا للشعب المصرى ، وذكائه ، ووعيه الفطرى الذى دفعه إلى الموقف الصائب فى اللحظة الحرجة . .(٤) » .

ألم يكن هذا متوقعاً من على صبرى وشلته ؟

نعم . . كان هذا متوقعاً . . كانوا ضد

الديمقراطية داخل الاتحاد الاشتراكي . . كانوا ضد أى تجربة ديمقراطية أو اشتراكية داخل اللجان أو فى المؤتمرات .

كانت أى تجربة حقيقية وصادقة تتهم بأنها ضد الخط ، ضد النظام . . كانت أى كلمة تخرج من غير مكتب على صبرى معناها أن هناك تنظيما آخر موازيا . . أو معاديا للاتحاد الاشتراكى . . ومعاديا لعبد الناصر .

يقول محمود الجيار فى مذكراته بمجلة روز اليوسف . العدد ٢٤٨٥ عن يومى ٩ و ١٠ يونيو :

« . . كانت لجان الاتحاد الاشتراكى التى لا تعمل إلا بتعليمات من أعلى (يقصد على صبرى) . . تنزع صور عبد الناصر من مكاتبها . . فى الجيزة ، والغربية والدقهلية .

ولكن أين كان الصامتون الثلاثة . . ؟ . . كان الصامتون الثلاثة ينتظرون . . فى بيوتهم يترقبون . . أهناك ثمرة ما يمكن التقاطها والتهامها بسرعة . . ؟

لقد ثبت فيما بعد أن المشير عامر عندما كون حكومة انقلابية ضد عبد الناصر بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ .. ثبت أن الصامتين الثلاثة كانوا من بين أعضائها .

الله .. الله .

الرجل الوحيد الذي يمكن أن يسأل عن هزيمة يونيو .. يجد الجرأة على الشروع في القيام بانقلاب .. ثم تشكيل حكومة .. فيها، ونواتها : الصامتون الثلاثة .

أي مهزلة تلك .. ؟

على أننا لا نريد أن نستطرد طويلا انما نريد أن نؤكد أن المواهب التمثيلية .. للأسف الشديد لم يكن عبد الناصر يحظى بها .. الأسف الشديد كان خالياً من هذه الموهبة .. وأيضاً كان لا يريد كتابة السيناريوهات المعادية للجماهير .

هذا ما يجب أن يكون مفهوماً .

وقبل أن ننتقل إلى جو ٩ و ١٠ يونيو لابد أن نتعرض لمسألة اختيار زكريا محيي الدين خليفة لعبد الناصر .

لقد أعلن عبد الناصر في بيانه مساء ٩ يونيو سنة ١٩٦٧ أنه

يتنحى عن منصبه وأنه كلف زكريا محيى الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة .

هيكل لم يتورع — كعادته — عن أن يدلى بدلوه فى هذه المسألة . . يقول :

واستقر رأيه — رأى جمال عبد الناصر — على زكريا محيى الدين على أساس أنه أقدم الباقين من أعضاء مجلس قيادة الثورة ، وليس على أساس آخر ، وقد تردد فى حينه أن الاختيار كان لأن زكريا محيى الدين يمكن أن يكون مقبولا من الغرب وهذا هراء . فزكريا محيى الدين من الوطنيين فى مصر ومن الذين شـــاركوا فى الثورة . .(٥) »

كذلك . . فقد انساق الصامتون الثلاثة — أيضا — إلى القول بأن ناصر كان يريد « إحراق » زكريا محي الدين . . نفس الرؤية الشخصية . . ونفس المنطق الذاتى . . ونفس النظرة الضيقة جداً . . النظرة التى لا ترى إلا المصلحة والفائدة . .

« الله يرحمه كان شديد الذكاء . . واختياره

زكريا بالذات يدل على شدة الذكاء فهو استخدمه فى أكثر من عرض من قبل .. عينه رئيس وزراء حتى يرفع الأسعار فى الضروريات من السلع .. فهو كان يخشى حب الناس له وكان لا يستريح إليه .. كان دائما يريد أن يحرقه .. »

وبالطبع لا بد أن نكون على وعى شديد عندما نقرأ أو نسمع كلام هؤلاء الصامتين .. ولا بد فى الوقت نفسه أن نكون على بينة من مقصدهم .

لقد قال عبد الناصر فى بيانه يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ .

« تطبيقاً لنص المادة ١١٠ من الدستور المؤقت الصادر فى مارس سنة ١٩٦٤ فقد كلفت زميلى وصديقى وأخى زكريا محيى الدين بأن يتولى منصب رئيس الجمهورية .. وأن يعمل بالنصوص الدستورية المقررة .. الخ .. »

وهذا النص يقول :

« فى حالة استقالة الرئيس ، أو عجزه الدائم عن العمل ، أو وفاته يتولى الرئاسة — مؤقتاً — النائب الأول لرئيس الجمهورية .. »

. . وفى هذا الوقت كان النائب الأول لرئيس الجمهورية هو المشير عبد الحكيم عامر . . وكما نعرف جميعاً . . فان كل المسئولين قد قدموا استقالاتهم وجمعت بمعرفة الرئيس أنور السادات .. ومن هذه الاستقالات استقالة المشير عبد الحكيم عامر . . ولذا فقد سقط اسم المشير عامر لاستقالته . . وأصبح الذى يليه مباشرة هو زكريا محى الدين باعتباره نائب رئيس الجمهورية وهو الذى يلى مباشرة المشير عامر .

ومن هنا . . فإن الرئيس ناصر كان يستند إلى الدستور فى اتخاذ قرار التنحى وفى اختيار رئيس الجمهورية الجديد . . وهذا أمر لا صلة له بالغرب . . أو بأيديولوجية زكريا محى الدين .

لكن هيكل . . والصامتين الثلاثة وعلى صبرى وأمثاله . . والذين لم يتكلموا بعد وكلهم من طينة واحدة . . يريدون تأويل الكلام والباس الحق ثوب الباطل . . ولكنهم لا يفلحون . .

خلاصة القول .

إن الشعب العربى بنظرته . . وإحساسه . . ومشاعره الصادقة . . رفض تنحى عبد الناصر . . وطالبه بأن يستمر فى موقعه ..

. . والشعب العربى . . سواء فى مصر أو سوريا . . أو لبنان . . أو أى بلد عربى لم يناد بعبد الناصر . . ويطلب استمراره فى القيادة إلا لأنه يعرف ويدرك . . أن ناصر هو الذى خاض المعارك مع الشعب العربى . . ناصر دائماً كان معهم . . كان معنا فى كل انتصار . . فى كل معركة . . فليبق . . فسوف نزيل آثار العدوان .

لقد كانت صيحة الشعب يا سادة . . أسمعتموها . . صيحته هنا فى مصر . . وفى الأردن . . وفى حلب . . وفى دمشق . . وفى بيروت . . وطرابلس . . والجزائر . . وفى كل بلاد تتكلم العربية كان اسم ناصر . . وصيحة ناصر . . لا للهزيمة . . لا للتنحى . . لا قائد إلا ناصر .

لقد ارتفعت الأمة العربية فوق جراحها وآلامها ورأت بعين المستقبل ما يعنيه تنحى ناصر وإبعاده عن القيادة . . ، وأدركت بحسها الصادق . . أن الثورة لا تسير على طريق مفروش بالورود . . معبد بالأمانى فقط . . إن طريق الثورة نضال . . ومعارك . . وحرب . . ودم . . وفى الطريق عثرات . . ومشاكل . . وهزائم وانتصارات . . والقائد الذى غنت الشعوب العربية تحت

قيادته أغانى النصر . . قادر أن يجمع الشتات . . ويلم الشمل ويقود . . ليمحو آثار الهزيمة . . والذل .

إن قانون الكون فيه الحياة وفيه الموت . . . فيه الانتصار والهزيمة . من كان يعبد ناصر . . فان ناصر قد هزم . . ومن كان يعبد الثورة فإن الثورة باقية ولن تموت .

إلا أنه لا فرق بين ناصر وبين الثورة . . هـــذا ما قالته الشعوب العربية كلها يومى ٩ و ١٠ يونيو . . لقد ذاقت على يديه العزة والكرامة . . التحرير والنصر . . الوحدة والاشتراكية . ألئن هزم أو مرض انقلبت الشعوب على أعقابها . ؟!

الشعوب لها منطق آخر . . وتعرف أكثر . . وتفهم أكثر . . وتعى أكثر . . يا سادة .

إن الشعب العربى لم ينقلب . . لم يتنكر لا لناصر ولا للثورة ولا لنفسه . . لقد تماسك تحت قيادته . . وسارت قيادته . . وضمد جراحه تحت قيادته . . وبدأ من جديد . . يحارب . . ويدخل المعارك . . ويفتح عينيه أكثر . . فالأعداء هذه المرة أكثر . . ويقفون وراء الأبواب . . يتربصون . .

لكن ما الذى أحنقهم على صرخة الشعب المطالب بناصر . . وباستمراره قائداً فى ٩ و ١٠ يونيو .

هنا تظهر عقدة « الدونية » التي يعانون منها منذ زمن طويل .. لقد استقالوا .. وخرجوا .. ونحوا .. أو أقيلوا .. ولم يرتفع صوت من أجلهم .. ولم يشعر أحد بأن شيئاً قد نقص .. أو أن صورة الثورة قد شابها شيء .

إن المشكلة الحادة التي يعانيها الصامتون هي أنهم ما زالوا حيث كانوا .. لم يتقدموا .. لم يخطوا الخطوات الضرورية ليلحقوا بالثورة التي كانوا في يوم ما بعض أفرادها .. لم يستطيعوا أن يفهموا أين نحن .. وفي أي زمان .. وكيف نفكر .. وكيف نعيش .. وما هي آفاق المستقبل .

هوامش الفصل السابع :

(١) محمود الجبار — روز اليوسف — ١٩-١-١٩٧٦ .

(٢) الصامتون يتكلمون — ص ١٦٧ .

(٣) محمود الجبار — روز اليوسف — ٢٦-١-١٩٧٦ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) هيكل — حوار مع عبد الناصر — دار القضايا .

فهرس

كتب القاهرة للثقافة العربية

١ ــ الوعى المفقود	محمد عودة
٢ ــ فجر اليقظة القومية	محمد عمارة
٣ ــ المسرح حياتى	نعمان عاشور
٤ ــ الإسلام والمرأة	محمد عمارة
٥ ــ موقف الكنيسة المصرية من إسرائيل والصهيونية	مجدى نصيف
٦ ــ وانتصرت الثورة فى فيتنام.	ليلى الجبالى
٧ ــ البوليس السياسى يحكم مصر.	جمال سليم
٨ ــ عام الإنكسار فى العالم الثالث	لطفى الخولى
٩ ــ المدير المصرى فى طراز عصرى	محمود المراغى
١٠ ــ الإسلام عبر التاريخ ..	عبد المغنى سعيد
١١ ــ هو .. والذين كانوا معه	حسين قدرى
١٢ ــ علماء من القاهرة	ماهر عبدالحميد
١٣ ــ الصامتون فى الميزان ...	جمال سليم

رقم الإيداع ٢٣٤١ / ١٩٧٦

مطبعة عابدين ٩ شارع حمودة القادول ت ٩٠٢٧٧٤







☐ هناك رجال يكونون أكثر خطرا فى مماتهم منهم فى حياتهم .. هكذا جمال عبد الناصر .. انه بالنسبة لنا يعيش .. والثورة تسير قدما .. والناصرية تندفع الى الأمام تحتضنها الجماهير .. وهناك نفر من الناس عجز عن ملاحقة الثورة .. فتخلفوا عن مسيرتها وأوقعهم الوهم فى كمين الظن بأن الثورة قد انطفأت .. والشمس غابت الى الابد ..

ايها القوم .. الثورة باقية .. ومستمرة .. تشرق كل صباح .. والامطار تغسل العقول وتطهر النفوس .. ورياح المستقبل تندفع وتقتلع الحشائش السامة من ارضنا الطيبة ☐

(....)

الثمن ٨٥ قرشا

القاهرة للثقافة العربية
٢٤ شارع الجمهورية
القاهرة ت ٩١٣٣٩٩